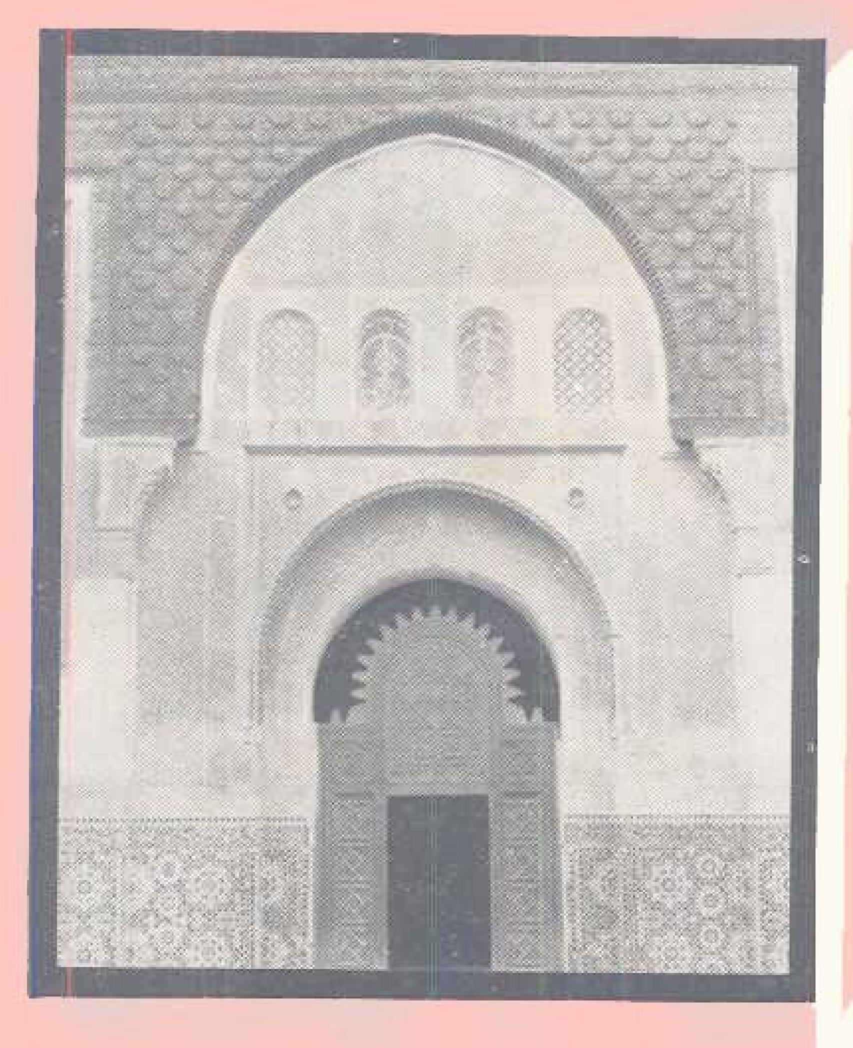
دعوة الحق

الشورى والفكر

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية



على هامش الاجتماع الأخير لوزراء خارجية الدول الإسلامية :

لماذا السارية المفعول

الإسلام والالتزام الخلقي عند الفرد والجماعة

مدخل إلى الظاهرة القرآنية

معركة لبنة

العدد الخامس ● السنة 18 ● جمادى الثانية 1397 - يونيو 1977 ● ثمن العدد 3 دراهم

تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
(مديرية الشؤون الاسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الخامس
السنة الثامنة عشرة
• جمادى الثانية 1397
يونيو 1977.
ثمن العدد : 3 دراهم

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 ـ الرباط ـ المغرب
الهاتف : 85،235 ـ 30،338

الاشتراك العادى عن سنة 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدى 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55
à Rabat

او تبعث رأسا فى حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التى لم تنشر

فهرس العدد الخامس - السنة الثامنة عشرة

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الشورى والفكر

● دخل المغرب مرحلة جديدة من تاريخه المعاصر بالاحداث الحاسمة التي ابتدأت بالمسيرة الخضراء وانتهت اليوم باستكمال عناصر الديمقراطية بعد انتخاب البرلمان الجديد . ويتهيا الشعب لخوض المعركة المقبلة فى ظروف مواتية ومناخ صحي لمواصلة البناء الاقتصادي على هدى الاختيارات الاساسية المستمدة من تعاليم القرآن استئنافا لدورنا التاريخي واستمرارا فى الطريق الذي اخترناه عن اقتناع ويقين وتطلعا الى اقامة المجتمع الاسلامي بالعلم والايمان .

لقد استغرقتنا معارك التحرير والوحدة وشغلتنا بالصراعات الشاقة التي خضناها مع جبهات الارهاب الدولي المستتر وراء الواجهات الإيديولوجية الخادعة . وصرفتنا شواغل ومشاكل السيادة عن مسؤولية البناء التقليدي للكيان الديمقراطي ، وان لم يؤثر ذلك على ايماننا بمعطيات الدستور او ينال من حماستنا وعزمنا وارادتنا .

وعلى الرغم من ضراوة المعركة وشراسة التحديات التي واجهناها من الاشقاء والاصدقاء على السواء فلم نعمد قط الى الاجراءات الاستثنائية وفرض الديكتاتورية والارهاب بحجة او بأخرى ، ولم نقف تيار الحرية المتدفق بدعوى من هذه الدعاوي التي يتعلل بها انصار الاستبداد لقهر الشعوب ، مع ما كان يخوله لنا القانون من اسكات كل صوت يعلو فوق صوت المعركة ، وهو منطق وجيه ومتفق عليه ولا يثير اية شبهة . وظلت الحرية الطابع المميز للحياة السياسية والاجواء الفكرية ؛ واستمرت الاحزاب والنقابات قائمة تمارس نشاطاتها فى وضح النهار ، واستمرت الصحافة تكتب وتنتقد ، والكتب تنشر ، والندوات والمحاضرات تقام، والتجمعات واللقاءات تنظم فى جو منفتح أثار اعجاب الصحافة العالمية ان

لم نقل اثار خوفها . ولذلك لا يصح القول ان الديمقراطيـة انتكسـت او توقفت وتستأنف اليوم مسيرتها . ذلك ان المغرب لم يحد قط عن طريق الشورى والديمقراطية الاسلامية طيلة عهود التاريخ . وحتى قبل اقـرار الدستور الجديد للمملكة كانت البلاد تسير وفق سياسة رشيدة تقوم على التعاون والتشاور وتبعد أشد البعد عن الاكراه والارهاب والقهر والاستبداد والحجر على الافكار . وأستمر التطور الاجتماعي فى تصاعد مطرد ، ولم يعرف المغرب فى عهد من عهوده حالة واحدة من حـالات « فتر الـدم السياسي » التي يختفي فيها القانون بصفة رسمية ويرتع فيها الظلـم وتمتهن كرامة الانسان وتنتهك الحرمات التي أوصى الله أن تصـان على النحو الذي عانت منه شعوب كثيرة فى المشرق والمغرب .

وليس صحيحا ان المرحلة الديمقراطية الراهنة هي تجربة جديدة ، لاننا فى هذه الحالة نقرن المغرب بالدول حديثة العهد بالحكم وتسييـر شؤونها بنفسها ، كما هو الشأن مثلا ببعض الـدول الافريقيـة ، ولكـن الصحيح اننا أعطينا نفسا جديدا لواقع قائم ولم يرتفع قـط ، وجددنـا الحيوية والحماس والعزم على المضي فى الطريق ذاته . بمعنى ان ما يتم اليوم فى المغرب تقنين للديمقراطية وليس اقرارا لها من لا شيء . وهذا هو منطلق الاختلاف بين تاريخنا وبين تاريخ كثير من البلاد النامية بالمفهوم الاقتصادي للمصطلح ، لا بالمفهوم الايديولوجي والحضاري والفكري .

ومنذ أن قامت الدولة المغربية وشعبنا يتشبث بالشورى تشبثـه باسباب الكرامة وعوامل العزة ، ويتعلق بالاستقلال تعلقه بالقيم والمقدسات، وينزع الى الحرية نزوعه الى الحياة ، فما قهر ولا اهين ، وما استكان ولا استسلم ، وكلما حاصرته الاطماع ازداد التفافا بالعـرش ، وارتباطـا بالمقومات والمقدسات . وأكسبه ذلك صلابة ومناعة وحصانـة ضـد المؤثـرات الخارجيـة .

وحينما وقعت الواقعة وفرضت عليه الحماية الاجنبية فرضا لـم يرضخ للمستعمر ، ولم يلق من يده السلاح الا بعد مرور اثنتين وعشرين سنة لا ليتنازل ويذعن لارادة المغتصب وانما ليبدأ معركة جديدة انطلقت أساسا من رحاب بيوت الله وعمت أنحاء البلاد من أقصى الصحـراء الى البحر الابيض المتوسط . ثم عاد مرة اخرى الى السلاح ليبـدأ مرحلـة متميزة من المقاومة المسلحة استمرت فى اقليم الصحراء وسيدي ايفني الى ما بعد اعلان الاستقلال . وينشغل بمعارك وطنية على مستوى التنمية والبناء والتشييد وينغمر فيها بقواه وطاقاته دون أن يغفل لحظة واحدة أن ورأءه مهاما شاقة عليه ان يتحمل تبعاتها ليستكمل الوحـدة الترابيـة للمملكة . حتى اذا ما حانت ساعة العمل التحريري هبت عناصر منه الى السلاح لتواجه الاستعمار فى الصحراء . وتطورت الاحداث تباعا لتنتهي بالمسيرة الخضراء ودخول عامل صاحب الجلالة الى الصحراء وسقوط آخر معقل صليبي وماركسي بجنوب المملكة . وتتوالى الجهود بعد ذلـك على جبهات سياسية وديبلوماسية الى أن حان الوقت الملائم لدخـول المعركة الديمقراطية وظهورنا معززة بالنصـر العسكـري والمكانـة الديبلوماسية المرموقة بين دول العالم .

● فلم يعرف المغرب الفراغ . ولم تفقد الدولة زمام الامر فى لحظة من اللحظات او تحت ظروف قاهرة حتى يقال اليوم اننا نبدأ المرحلة الديمقراطية من الصفر ، فهذا القول يتعارض ـ على طول الخط ـ مع حقائق التاريخ ومنطق الاحداث وشهادات الواقع .

● فكيف ـ اذن ـ حافظ المغرب على كيانه المعنوي فى ظل الضغوط الاجنبية ومؤامرات الخصوم واطماع الاشقاء والاصدقاء ؟

● ما السر فى هذا الصمود الحضاري الذي يقل نظيره ـ ان لم نقل ينعدم بالمرة ـ فى العالم المعاصر ؟

ان الامر لا يخرج عن قدرة الانسان المغربي وطاقاته الذي كلما داهمه شر فزع الى اسلامه وعرشه ولاذ بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها واخذ باقوى الاسباب الى العزة والكرامة والثبات فلم يذب فى كيان اجنبي ، ولم يفقد هويته الحضارية حتى فى اشد المراحل ظلاما وقتامة ويأسا .

وليس فى الامر ـ قبل هذا وذاك ـ اي نوع من التجريد المثالي كما يسارع البعض الى اتهامنا كلما واجهناهم بهذه الحقائق . ولكن القضية قضية وعي راسخ وايمان قوي اداتهما العقل والوجدان ؛ الوعي المؤمن الحاضر اليقظ المتحفز المتفاعل مع الواقع ، والايمان الواعي الحركي المتبصر الصادق الحي .

ولقد تمخض عن هذا التفاعل الايجابي المؤثر رسوخ مبدأ الشورى واستقامة الخط الفكري وانفراد البلاد بمميزات وخصائص فى الحياة السياسية والاجتماعية تعتبر فى الواقع القاعدة الراسخة للصرح الحضاري الشامخ الذي نستظل به تحت قيادة امير المؤمنين الحسن الثاني .

● شورى قرآنية وديمقراطية اسلامية .

● وفكر اصيل يغذيها ويزكيها ويضبط مسارها ويكبح جماحها ان اقتضى الحال .

واذا كان العدل أساس الملك فان الشورى قاعدة العدل . وهما معا روح الاسلام وخلاصة مبادئه وتعاليمه . وهكذا يكون الاسلام المنطلق الاول لجميع المعارك التي يخوضها المغرب .

لقد قال جلالة الملك فى خطاب افتتاح الحملة الانتخابية الاخيرة : « ان الشورى العمود الفقري للمجتمع الاسلامي » . وبذلك اتضح الخط الفاصل بين الاسلام والايديولوجيات اليهودية المتآمرة ضد الانسانية .

واذا كان المجتمع الاسلامي يقوم أساسا على العقيدة والفكر والسلوك والتطبيق الرشيد والمتفتح للاصول الرئيسية المجمع عليها ، فان للشورى

التي جرى مؤخرا تاطيرها فى اطار البرلمان خلفية فكرية ، بمعنـــى ان الفكر الاسلامي بمثابة بوصلة السير فى طريق الشورى .

وهذا يكفي لتبيان الملامح المميزة للديمقراطية المغربية ، فهي ليست شرقية ولا غربية ، لانه سواء فى المعسكر الرأسمالي او الشيوعي فشلت الديمقراطية واوشكت ان تكون مجرد نظرية فى الحكم تفتقـــد القابليـــة للتطبيق لفساد الايديولوجية السائدة والعقيدة السياسيـــة المستبـــدة بالانســــــان .

والامر فى المغرب على خلاف ذلك تماما . باعتبار ان ديمقراطيتنـــا مستمدة من القرآن ومستوحاة من السنة ومستلهمة من تجارب اربعـــة عشر قرنا من الحضارة والسيادة الفكرية .

● وهكذا فان المغرب المسلم ليس فى حاجة الى استيراد نظرية للحكم قابلة للخطا والصواب . لان الحكم ليس عملية كيماوية كما لا تحتاج ان نقول ، ولكنه وعي وايمان واحساس بالمسؤولية وتفاعل مـع الفكـــر والحيـــــاة .

الشورى - اذن - أصيلة فى شعبنا ، وضاربة فى عمق مجتمعنا ، لم نتخل عنها اطلاقا،ولم نستبدلها بالذي هو ادنى . والديمقراطية باعتبارها مصطلحا معاصرا لمفاهيم ومضامين الشورى الاسلامية ليست تجربـــة جديدة بالنسبـــة لنـــا .

(دعـوة الحـــق)

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في خطاب افتتاح الحملة الانتخابية

• الديمقراطية هي العمود الفقري للمجتمع الإسلامي كما أراده النبي صلى الله عليه وسلم

• نحن دولة إسلامية، ولذلك لابد أن نغير المنكر في قارتنا.

● أكد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في الخطاب السامي الذي وجهه الى الامة بمناسبة بدء الحملة الانتخابية على الطابع الاسلامي الصرف للديمقراطية المغربية، وقال حفظه الله في وضوح كامل ان الشورى هي العمود الفقري للمجتمع الاسلامي كما اراده النبي صلى الله عليه وسلم.

وتحدث جلالة العاهل الكريم عن التضامن بين جميع فئات الشعب في هذه المرحلة المتميزة من تاريخ المغرب وقال ان من خرج عن الجماعة خرج عن الجادة. وقال جلالة الملك ان هذه الانتخابات تجيب الى رغبة من رغباتنا والى مطمح من مطامحنا، ولم يطلب منا ذاك قهرا ولم نعطه تحت ضغط، وأن ملوك الدولة العلوية الشريفة عرفوا دائما بالاستجابة الرشيدة لتطلعات الشعب المغربي.

وتطرق جلالة الملك الى الوضع في زائير فقال اننا دولة اسلامية ولا بد أن نغير المنكر في قارتنا. وهي اشارة ذكية من جلالة الملك الى ضرورة محاربة كل تيار دخيل على الشعوب الافريقية ومهدد لعقائدها ومقدساتها.

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وءاله وصحبه

شعبي العزيز

اعتدنا ان نخاطبك جريا على عادة الفناها وسنة سنناها كلما اعتبرنا أن الداعي يدفع الى مخاطبتك بشيء له صلة بمستقبلك او يمس بمصيرك ومآلك.

ومما لا شك فيه ان الفترة الزمنية التي ستجتازها شعبي العزيز في هذه الايام المقبلة من الفترات الحاسمة في حياتك كشعب وفي حياتك كعنصر من عناصر العالم والمجتمع العالمي سواء في قارتك او في جهتك.

اننا حينما نقول ان الفترة التي ستجتازها فترة مهمة وحاسمة نعتبر انها ستكون لك بمثابة امتحانين: الامتحان الاول في حسن فراستك عندما ستختار فلانا دون فلان لا لان لك قرابة او صلة او صداقة بفلان،

ولكن لان نظرياته وتفكيراته وتخطيطاته وتصميماته تطابق وتساير مصلحة البلاد حسبما تعتقد وكيفما ترى .

اما انا شخصيا فمطمئن جدا على حسن اختياراتك ذلك انني كلما دعوتك لركوب طريق او للقيام بعملية او لبناء صرح جديد من بناءات امجادك لم تسارع فقط للتشييد والبناء ، ولكن تسارع وانت فاهم كل الفهم واع كل الوعي مقاصدنا ومرامينا الشيء الذي يدل ان دل على شيء على ان المغرب ولله الحمد شعب واع شعب يعرف اختياراته ، وحينما يقرر اختياراته يعرف كيف يختار السبل للوصول اليها .

ان الانتخابات المقبلة ، شعبي العزيز التي اردنا ان تنتهي يوم ثالث يونيو المقبل باقتراع ، اقول ان هذه الانتخابات تجيب تماما الى رغبة من رغباتنا والى مطمح من مطامحنا ، ذلك انه لم يطلب منا ذلك قهرا ولم نعطه تحت ضغط بل كان دائما الشأن فى اسرتنا ولله الحمد ، كلما شعرنا بحاجة من الحاجات او تطلع من التطلعات كان دائما ولله الحمد القائم بأمورك الساهر على شؤونك وراحتك هو الذي يبادر فيجعلك تسير سيرتك دون ان تعتقد ان ما هو بين يديك جاء بالرغم أو بالضغط ، ولكن تحس احساسا عميقا ان ما أتاك وما جاءك انما هو نتيجة لتجاوب عميق اصيل تاريخي بين ملوكك وبينك أنت شعبي العزيز .

انني قلت مرارا بعد مرار ان الديموقراطية ليست شيئا جديدا بالنسبة لنا ، بل هي العمود الفقري للمجتمع الاسلامي كما اراده النبي صلى الله عليه وسلم . ذلك ان الشورى والعمل بالجماعة هما شيئان لهما معنى خاص ولهما مدلول فى القانون والدستور . فالشورى ليست شورى استشارية والعمل بعمل الجماعة ليس عملا اختياريا بل الشورى تلزم والجماعة تلزم . ومن خرج عن الجماعة خرج عن الجادة .

وما معنى الجماعة ؟ ، معنى الجماعة هو أن يخضع الاقل لراي الاكثر ، وهي الروح الرياضية ، وهي روح العدل وروح القسطاس ، فهي تربية وهو تكوين قلما تتوفر عليه شعوب أو يستعمله الاستعمال عدد من الناس او من الدول .

فعلينا اذن ونحن نبتدىء هذه الخطوة ان نكون خاضعين ، خاضعين شكلا وعمقا لراي الجماعة ، خاضعين ، جميعا لارادة الامة ، لان امتي ما اجتمعت على ضلال .

وهكذا شعبي العزيز أن نحن تعلمنا ان نخضع لراي الجماعة ونسير على هديها ونركب سلوكها وطريقها جعلنا مستقبلنا ومستقبل ابنائنا فى مامن من الشغب ، وفى مامن من المغامرات ولا سيما والقرن الذي نعيش فيه كثرت فيه المغامرات وكثر فيه الشغب .

انك مدعو ، شعبي العزيز ، الى اختيار عدد من مواطنيك ليكونوا هم بجانبي وليكونوا السلطة التشريعية مقابل السلطة التنفيذية . فاذا كان هناك فصل السلط فانت واع وانا معك انه لا يمكن ان يكون فى مستواي ، بل فصل السلط هو فى مستوى ما هو ادنى . فالملك يحكم بلاده ويسير سياستها مستعينا بسلطتين : السلطة التنفيذية وهي الحكومة، والسلطة التشريعية وهي البرلمان . ولهذا وذاك حق مزاولة التشريع . الا ان الحكومة عليها أن تنفذ والبرلمان عليه أن يراقب ذلك التنفيذ . ويرى هل زاغت الحكومة فى سيرها عن الطريق الذي سطر لها ام بقيت فى وسط الطريق مستهدفة الاهداف التي خططها الجميع ورغب فيها الجميع واراد ان يجسدها ويجسمها الجميع .

انك شعبي العزيز ، ستسمع كثيرا من الاقوال فى هذه الايام المقبلة . نعم لانها اقول منافسة ، لانها مراهنة ، سباق . ستستمع الكثير فى كثير من الميادين والمجالات : فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والمالية والتربوية والتعليمية ، وفى ميدان السياسة الخارجية وفى عدة ميادين اخرى .

وسوف تكون تلك الكمية التي ستسمعها فى هذه المدة متفاوتة لا فى الاتقان على حسب من يروجها ، ولا فى العمق على حسب من يريد أن يطالب بمطلب ، او بمن يريد ان يطالب بمطلب اكثر من الاول

فعليك اذن شعبي العزيز أن تكون متتبعا لهذا كله بالوعي والراي الثاقب والفكر النقاد حتى يمكنك ان تميز لا اقول الخبيث من الطيب ، لا اريد ولا اظن أن هناك خبيثا فى بلدي ، ولكن تتميز الصائب من المخطىء أو لتميز الواقعي من الذي يحلم .

شعبي العزيز

انك حينما تسمع هذا كله سوف تسمعه من هيئات سياسية أو من اشخاص لا ينتمون الى اية هيئة سياسية فاعلم شعبي العزيز ان هؤلاء الذين سيتقدمون لتصوت عليهم كلهم يحظون برضانا لانهم كلهم مغاربة ، ولانهم كلهم ابنائي ، ولانهم كلهم لا ينتظرون الا النفير للدفاع عن بلادهم ، كلهم مستعدون للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل شرف وطنهم ، فلا يمكن أن اتخيل انني وانت سنسمع في هذه الفترة فترة الحملة الانتخابية ما يضر بسمعة بلدنا او ما يجعلنا نغير الراي او نغير الاحساس او نغير الظن بالنسبة لهيئة دون هيئة او لمرشح دون مرشح .

اذن ، اذا نحن سلمنا أن المغاربة كلهم سواء في محبة بلدهم وتعلقهم بمقدساتهم بقي هناك العنصر الثاني وهو برنامجهم ، وهناك تفاوت في البرامج ، هناك تفاوت في الاهداف ، هناك تفاوت في المطالبات من ذلك التفاوت ما هو ممدوح ، ومن ذلك التفاوت ما هو غير ممدوح ، الممدوح منه هو ما يمكن تطبيقه عاجلا أم اجلا ، والغير الممدوح هو ما هو ناتج عن الديماغوجية وعن الاغراء وعن الجاذبية الكذابة لكل من اراد ان يتخذ السياسة حرفة ولا أريد أن يكون في بلدي من أولئك المحترفين السياسيين الذن لا هم لهم ولا شغل الا المناصب الا الالقاب دون ان يعلموا ان المسؤولية قبل كل شيء هي تكليف اكثر مما هي تشريف .

اذن بقيت البرامج النقط التي سيظهرونها لك وسيعرضونها على انظارك واختيارك ، فعليهم اذن في برامجهم أن يعلموا ان مغربنا تغير كثيرا منذ عشرين سنة ، عليهم أن يعلموا ان بعض المنتخبين الذين كانوا في ارحام امهاتهم سنة 1956 والذين لم يعرفوا ابدا ولم يذوقوا حتى طعما قليلا من الحماية ولعدم التصرف الحر ، والان اصبحوا ناخبين عليهم اذن أن يسايروا روح التطور والعصر ، وعليهم كذلك أن لا يغرروا أولئك الناخبين الشباب الذين لا علم لهم ولا تجربة لهم بامور الدولة وبضروريات الاختيارات .

اننا حينما نمارس شغلنا ومهمتنا لا نجد نفسنا بين صالح وطالح ، ولا نجد انفسنا بين شيء طيب وشيء غير طيب ، بل في غالب الاحيان نجد انفسنا أمام الاختيار بين شيئين ضارين : فالسياسة ليست اختيارا بين الصالح والغير الصالح ، بل هي في بعض الاحوال هي تكون كما يقول الفقهاء « ركوب اخف الضررين » .

فعلينا اذن حينما نعرض برامجنا ان نكون بمثابة مدرسة تفسر البرامج ، ولكن تفسر كذلك وسيلة الوصول الى تلك الاهداف والبرامج دون الاضرار بالميادين الاخرى .

نعم يمكننا ان نثب وثبة هائلة من الناحية الصناعية ، ولكن سيتطلب منا ذلك أن نوقف بناء المدارس وبناء المستشفيات والترفيه على الشغالين

يمكن ان نرفه اكثر مما يمكن على الشغالين بأن نرفع لهم الاجور الى 25 و 30 في المائة ، ولكن سيكون ذلك على حساب جيشنا او على حساب الري او على حساب شبكات الطرق التي هي بمثابة الشرايين للذات .

فلهذا حينما سنسمع الحملة الانتخابية وحينما سنعرض ، وحينما أقول سنعرض أعني سيعرض المرشحون برامجهم عليهم ان يكونوا واقعيين حتى لا يجروا معهم من سينتخبهم الى غلط سوف يكون غلطا مضرا باختياراتنا في المستقبل ، ومضرا بالسير المتوازي والمتوازن الذي تسير عليه الدولة في تجهيزها المادي او البشري .

نعم هناك مسائل كنا قررنا نحن ولا زلنا مقررين على ان تنفذ وعلى ان يشرع في تنفيذها في اقرب وقت ممكن ، كيفما كانت الاحوال ، كانت انتخابات أو لم تكن انتخابات فهذه المسائل وهذه المقررات هي مثلا تحسين أحوال الفلاحين تحسينا يرجع عليهم بالخير ، وتعميم الضمان الاجتماعي للشغالين الفلاحين ، كذلك ضمان بعض المعاشات للموظفين الذين لا يتمتعون بها ، موظفي القطاع الشبه الرسمي او المستخدمين في القوات المساعدة مثلا.

وهناك الرفع من التعاضديات ، وهناك كذلك التعويضات العائلية علينا ان ننظر فيها وان نرفع من مستواها .

وهناك كذلك مراجعة القاعدة للضرائب حتى يمكن ان تصبح الضرائب ذلك الميدان الذي يظهر فيه التكافؤ بكل معناه ، فالدستور يقول : « ان التعاضد ضروري بين جميع أفراد الامة » ، ومن جملة التعاضد هو ان يؤدي الغني عن الفقير ، حتى

يمكن لذلك الفقير أن يصبح بنفسه غنيا او لا بأس في حالته ليقوم بدوره كاملا .

علينا كذلك ان ننظر في مسائل أخرى بالنسبة للثروة الفلاحية حتى يمكننا ان نقضي شيئا ما على الخصاص الذي نحن فيه .

فعلينا اذن في حملتنا ان نضع الثقل كله على توسيع نطاق التصنيع الفلاحي .

علينا ان ننظر في التعليم حتى لا يضيع الجزء الاكبر من شبابنا في الطرقات .

علينا ان ننظر الى ترويج الشباب في بناء المغرب اكثر مما يروج الان ، ان برامجنا تترك الشباب بمعزل عن البناء والتشييد ، ان شبابنا في فترة اقامته بالمدرسة الابتدائية والثانوية والجامعة كأنه يعيش في عالم آخر ، كأنه يعيش في المريخ أو في الزهرة بالنسبة لما يبنى وما يشيد وما يخطط .

هذه شعبي العزيز بعض النقط التي ستروج امامك والتي نريد ان يروجها الناس والمنتخبون ولكن عليهم كذلك ان هم روجوها ان ينظروا الى ضمائرهم حتى لا يكون في تطبيقهم لهذه الافكار التي قلتها وليست محصورة ، حتى لا يكون في تطبيقهم لتلك الافكار اية ديماغوجية او شطط بالخزينة العامة

هناك مجال آخر هو مجال السياسة الخارجية ، فالمغرب معروف انه لا يزال متشبثا بمبدئه بعدم الانحياز ولكن علينا أن نفسر ماذا يعني عدم الانحياز؟

عدم الانحياز يعني ان الانسان المغربي في سياسته الخارجية عليه ان لا يركب طريق الفضول ، فكل مشكل من المشاكل التي لا تهمه لا جغرافيا ولا عقائديا ، عليه ان يبقى بمعزل وان لا ينحاز الى جانب دون جانب نظرا لصداقة او نظرا لجوار .

ولكن اذا اصبح المشكل مشكل معتقدات او مشكل مبادىء ، والمغرب متشبث بها وملتزم بها ، اصبح المغرب غير منحاز ، بل عليه أن ينحاز ، وهذا ما دفعنا مثلا اخيرا الى ان نخوض غمار الحرب في زايير .

ففي زايير مثلا انحزنا لصديقتنا زايير لاسباب متعددة :

اولا ـ لانها دولة معترف بها

ثانيا ـ لانها طلبت منا المعونة

ثالثا ـ لانها لو كانت في خلاف مع دولة صديقة لحاولنا التدخل السلمي مع دولة صديقة ، ولكن هذه الدولة الصديقة الشقيقة وجدت في خلاف مع دولة تضمر لنا العداء ، بل صرحت بموقفها ضد مصالحنا في الصحراء بل اعترفت قضائيا وحلما بما اعترفت به ، واصبح من الواجب على المغرب أن لا يسكت ولا سيما ان تلك الدولة التي هاجمت زايير أرادت ان تدخل على قارتنا مذاهب لا يقول بها المسلمون ولا يقول بها العرب ، ونحن دولة اسلامية ولا يمكننا اذن ان لا نغير المنكر في قارتنا بجانب صديقتنا اذا كان ذلك ممكنا .

وبهذه المناسبة شعبي العزيز اريد ان اقول لك: لك ان تفتخر وانا افتخر بما قدمته قواتنا المسلحة الملكية لهذا البلد الشقيق فالحرب ولله الحمد قد انتهت او اصبحت على وشك الانتهاء ، والتراب الزاييري قد حرر ولله الحمد من الدخلاء والجندي المغربي ظهر مرة اخرى بما يظهر به دائما من انضباط وشجاعة واستماتة .

ومسالة زايير هي حقيقة تجيب ، تجيب على النقطة الاولى التي طرحتها في خطابي هذا حينما قلت ان فراسة المغربي لا تخطىء ، ذلك انني حينما اردت ان ارسل القوات الى زايير لم اطلب الا المتطوعين ، نعم شرحت للضباط وللمسؤولين عن الجيش ، شرحت لهم المرامي والمقاصد والابعاد ، وقلت لهم عليكم ان تشرحوا هذا للجنود حتى لآخر جندي ، حتى اذا اراد ان يتطوع عرف لماذا تطوع ولاي شيء اراد ان يترك اهله وذويه ، ويغادر بلاده وان ينصب نفسه للاخطار ؟

فحينما طلبنا المتطوعين وجدنا ولله الحمد اكثر بكثير مما كنا ننتظر من العدد المطلوب .

وهكذا شعبي العزيز ذلك الجندي الاخير في الدرجة فهم في الحين وادرك في الحين المقاصد والاهداف ووعى بمسؤوليته وسارع الى التطوع .

حقيقة هذا مما يجعلني اطمئن على فراسة المغربي .

نعم حينما طلبنا المتطوعين للجولان او سيناء كان في الامكان أن نقول : الوحدة العربية ، الدافع الاسلامي ، القدس ، مسائل دينية والتضامن . .

ولكن نرى جنودا يسارعون الى التطوع للدفاع عن بلدهم وعن قيم بلدهم على بعد 7000 كلم. هذا يدل على ان المغربي اذا هو فهم المشكل ، ركب طريق الصواب وعرف حسن الاختيار .

شعبي العزيز هذه كلمات الى المنتخبين ، ولا اريد ان اختم كلمتي هذه دون التوجه الى المرشحين واقول لهم :

كيفما كانت النتيجة تعلمون ان بعد يوم الاقتراع الحياة ستستمر ، والمعاملة ستستمر داخل البرلمان او خارج البرلمان ، فعليكم ان لا تستعملوا العبارات النابية ، فعليكم أن لا تتعاطوا الى ما هو مضر بالسمعة والاخلاق والفضيلة والمروءة ، عليكم ان تكونوا اساتذة وقدوة لمنتخبيكم أكثر مما تكونوا بمثابة بهلوانيين يتفرج عليهم الناس ويجيء الناس ليسمعوا خطبهم الفارغة المليئة بالسب او بالطعن ثم يرجع الناخب الى بيته فارغ الذهن وكئيب الفؤاد .

فعليكم اذن ان تعلموا انكم ان فزتم او ان لم تفوزوا ، عليكم ان يكون عراككم عراكا في مستوى الشعب المغربي عليكم ان يكون عراككم في مستوى مطامح هذا الدستور ومطامح هذه الديموقراطية ، عليكم أن يؤخذ من خطبكم ومن توجيهاتكم ومن ايضاحاتكم ، أن يؤخذ منها ما نسميه المدرسة الوطنية ان يتخذ منها كتيبات الجيب تلك الكتيبات التي لا تطبع ولا تروج ولا تباع ، ولكن تبقى راسخة في الذهن مطبوعة في الذاكرة ، على خطبكم وتوجيهاتكم ان تكون بمثابة كتيبات الجيب في حسن السلوك وحسن المواطنة وحسن ادراك المشاكل وادراك الاختيارات وادراك احسن السبل للقيام بممارسة شؤون الدولة .

عليكم ان تعاطيتم الى خوض غمار السياسة الخارجية الا تطغى عليكم عواطفكم أكثر من اللازم ، عليكم ان تعلموا قبل كل شيء أن للتاريخ عناصر وتلك العناصر يمكنها ان تتغير ، الا عنصر واحد لا يمكن ان يتغير ، وهو العنصر الجغرافي .

فعليكم كما قال بسمارك « جميع عناصر التاريخ تتغير الا العنصر الجغرافي لا يمكن ان يتغير » ، فهذه العناصر الجغرافية تدفعهم وتدفع بكم الى الالتزام بالنسبة لافريقيا وبالنسبة للبحر الابيض المتوسط الى الالتزام بالتضامن مع المستضعفين في قارتنا وجهتنا ، تدفع بكم الى الالتزام باحترام الاخوة والصداقة التي تجمعكم باصدقائكم ، عليها ان تلزمكم كذلك بالنظر الى المستقبل بعين متفائلة ، ان نرى الى مستقبل جوارنا بعين متفائلة لان الاحوال لا تدوم والشعوب كيفما كان قادتها يأتي يوم من الايام فيعطيها الله القادة الذين تستحقهم .

ففي جوارنا شعوب ليس لها من المسؤولين ما يجيب الى ما نريد من الاخوة والتعامل ومن الالتحام

ولكن هل معنى هذا ان هذه الشعوب ستبقى دائما محرومة من قادة تريد الالتحام والوئام والوحدة والتعاون ؟

فلهذا حضرات المرشحين أريد منكم ان تكونوا كما قلت لكم كتيب الجيب الذي سيردده في باله وفي ذاكرته كل مغربي ومغربية وكل ناخب وناخبة ، وحتى اذا رجع الى بيته واستقر في فراشه وصار يرجع بذاكرته الى ما سمع وما راى وجد حصيلة مهمة لا بأس بها ونتاجا من أفكاركم وخطبكم سيكون بمثابة المدرسة الوطنية البناءة لمسيرته في بلده .

أن الله سبحانه وتعالى ، شعبي العزيز ، كلما جعلنا أمام اختيارات زودنا دائما ، زودنا بالاطمئنان والطمأنينة ، فلي اليقين أنك مطمئن وفي كامل الطمأنينة وزودنا بالفراسة ، ونحن مؤمنون وفراسة المؤمن لا تخطىء .

فلي اليقين ان فراستك ستكون في هذه المدة فراسة المؤمن . ولي اليقين ، شعبي العزيز ، ان نحن تمكنا من فتح اعماق تفكيرنا ولا اقول قلوبنا ، ان نحن نصبنا لهذه الايام المقبلة طاقتنا في النقد البناء وفي الميز والفرز الدقيق بين ما هو حسن وما هو أحسن، لي اليقين ، شعبي العزيز ، أننا سنخرج جميعا ناخبين ومنتخبين منتصرين غانمين مهيئين لخوض معارك اخرى تنتظرنا لان الحياة معترك دائم ، لخوض معارك اخرى ولتشييد أمجاد أخرى ولوضع سيرة مثلى بالشعوب النامية التي تريد أن تطبع أصالتها بالطابع اليومي ، بالطابع الحديث بالطابع العقلي ، طابع الرشد ، وهو طابع الديموقراطية الحقة .

اننا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدي سبيلنا، وأن ينير مفاهيمنا وأن يصلح منطقنا وأن يطهر افئدتنا حتى نختار احسن ما يمكن أن نختار لخير شعبه المسلم وامته المسلمة ، انه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

● كلمة السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

في المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب :

لهذا الوطن في حكمة عاهله

الضمان الأسمى لتحقيق أرفع الأهداف

انعقد بمدينة اكادير يومي السبت والاحد 7 ـ 8 ماي المنصرم المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب بحضور كل من السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية و السيد صلاح المزيلي وزير الفلاحة والاصلاح الزراعي وبرئاسة الاستاذ عبد الله كنون امين عام لرابطة علماء المغرب . كما حضر الى جانب السيدين الوزيرين عاملا أكادير وتزنيت وعدد من كبار الشخصيات المنتمية الى الثقافة والفكر والدعوة الاسلامية .

وفيما يلي النص الكامل لكلمة السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .

بسم الله الرحمن الرحيم

اصحاب الفضيلة العلماء

ايها السادة الاكارم

اود بادىء بدء ، ان ازجى عبارات الشكر للجنة التنظيمية للمؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب على تفضلها بتوجيه الدعوة الى ، لحضور الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ، معربا عن اخلص تحياتي لجمعكم الكريم هذا وعميق تقديري للروح الاسلامية التى تحدو حوافزه ورؤاه وتثرى عمله الايجابي في خدمة الاسلام والمسلمين .

وانه لمما يسعدني ـ بهذه المناسبة القيمة ، التى تحتضنها مدينة اكادير المتالقة الطلعة ، الفياضة بدفق الحيوية والنشاط ، ان التقى ـ على صعيد هذا الجمع الكريم ، بصفوة مختارة من خيرة العلماء ، واجلة المفكرين ، ممن ندبوا انفسهم للعمل على خدمة اهداف الفضيلة الاسلامية، واصفوا جهودهم لتعميق وعي المجتمع بها . وتنوير بصيرته في مسيرة التقدم والرقي ، وان تتاح لي هذه الفرصة التي أعتز بها ، لمشاركتكم هذا الجو الفكري المتالق ، الذى تشهده ناحية سوس ، العريقة على مدى التاريخ ، بتقاليدها الفكرية، وامجادها العلمية ، والتى ظلت على توالى الحقب والقرون منطلقا لبث دعوة الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء ، ونشر مضامين الثقافة العربية الاسلامية على اوسع نطاق في ارجاء القارة .

ايها السادة :

غنى عن البيان ، ما للموضوع الفكرى فى حياة المجتمعات من وزن فى تقييم مستواها الحضارى وبلورة المدلول الذى تحدده مكانتها المتميزة فى سلم المدنية .

ان معطيات التقدم المادى الذى يحققه كيان اجتماعى ما، لا يمكن ان تستكمل كافة دلالاتها كمؤشر حضارى الا اذا كانت البيئة التى انطلقت منها، ذات قاعدة انسانية راسخة روحيا وفكريا ووجدانيا ، وتوافرت لتلك البيئة - بحكم ذلك - ارتكازات ثقافية ، مستمدة مما ياخذ به المجتمع المعنى .من مبادىء وقيم ، وما يعتمده من مثل نبيلة ،

وقد تهيات لبلادنا - بحكم عراقتها فى التاريخ ، واصالة مقوماتها الفكرية، ارضية معنوية سليمة لاستيعاب التطور الحضارى وتحقيق القدر اللازم من التكامل الضرورى ، بين دينامية البناء المادى للحضارة ومتانة الاصول الروحية والمنطلقات الفكرية والثقافية لهذا البناء .

وهى ميزة جليلة من مميزات هذا الوطن ، امكن له بها ان يحافظ طوال الدهر - على شخصيته متطورة متوازنة متكاملة ، وان يقتدر بفضل ماله من ذلك - على الاضطلاع بدوره التاريخى الكبير فى خدمة القضايا العربية والاسلامية والافريقية ، والذود عن تراثه القومى وصيانة عموم التراث العربى الاسلامى فى الجناح الغربى من عالم الاسلام .

لقد استطاع المغرب - بفضل مناعته هذه - ان يجابه مختلف التحديات التى وجهت اليه ، طوال تاريخه النضالى المشرق ، بل لقد وسعه - اكثر من ذلك ان يصارع التحديات التى وجهت لعموم الجناح الغربى من العالم الاسلامى وان يضطلع - بفاعلية بالذب عن حمى هذه المنطقة الشاسعة ، فيما بين غربى افريقيا وشرقى المتوسط ، وان يحول دون ان تبلغ الهجمات الصليبية والشعوبية مقاصدها . من تحويل الوجهة الطبيعية للتاريخ فى المنطقة ، وامتصاص الوجود الحضارى للعرب والمسلمين فيها .

وفيما كان ما يعرف اليوم بالعالم الثالث قد تهاوى معظمه انطلاقا من بداية العصور الحديثة - تحت وطاة الاحتلال الاستعمارى كان المغرب القوى بايمانه ، وبشخصيته ، وبقيادته - قد اوقف المد الاكتساحى الذى تطاول على شواطئه ، وامكنه ان يصمد طوال قرون وحده كمعسكر حربى وسياسى وحضارى كامل بمواجهة القوى الاستعمارية جميعها ، وان يحتفظ بنفسه الطويل فى هذا العمود الذى اتخذ صورة مواجهة شاملة بين الضفة الجنوبية للبحر المتوسط ممثلة فى المغرب، وبين الغزاة الطامعين فى الاستيلاء على قارتنا الافريقية.



انه لموقع مرموق - تاريخيا وموضوعيا - تبواته بلادنا فى غمرة جهادها من اجل الدفاع عن مثل الحرية والسيادة والكرامة وتتبوؤه اليوم ، وهى تخوض بقيادة جلالة الحسن الثانى نصره الله - انبل الملاحم واسماها ، صيانة لحرية الوطن وسيادته ووحدته وذودا عن مبادىء الحق والخير والسلام ،، ووفاء لمثاليات الشهامة والمروءة ، وحق الاخوة والصداقة .

ان نبل العمل التضامنى المغربى فى الجولان وسينا بالامس القريب وفى زايير اليوم ، لشاهد حى على رفعة هذه المشاعر ، التى تحدو بلدا اصيلا خلقيا وحضاريا كالمغرب ، وقيمة العمل الخلاق الذى تلهمه هذه المشاعر ، وتؤذن به .

لقد ادركت القوات التوسعية بالامس كما تدرك اليوم ان العمل على بلبلة فكر المجتمعات الافريقية وفتنتها عن مثلها العليا ، كفيل بان يمكن من النيل من مناعتها الروحية والفكرية ، وتمييع مرتكزات اخلاقياتها الحضارية ، والنفوذ من ذلك الى استلاب عقول شعوبها توطئة لفرض ما يرى فرضه من ديكتاتورية دائمة على هذه الشعوب ، ومصادرة امكانياتها ومقدراتها .

ومن ثم تتخذ المواجهة بين التوسعية الاجنبية وبين الفكر القومى للشعوب الافريقية بعدا مصيريا ، بحكم هذه الصفة الجذرية للمواجهة ومن ثم بالنتيجة يتجلى بعد المدى الذى تبلغه معركة المثل والقيم فى

القارة ، وماذا يعنيه ، من منظورها ـ مدلـول هـذا الالتزام النبيل الذى ياخذ به المغرب فى مضمار العمل على حماية شخصيته الحضارية والاسهام فى المعركة من اجل صيانة القيم الحضاريـة العربيـة والاسلاميـة والافريقية .



ايهـــا الســـادة :

ان المهمة التى تضطلع بها رابطة علماء المغرب ، مهمة جليلة ومرتبطة باسمى الاهداف فيما يستهدف من رفع مستوى وعى المجتمع بشؤون دينه ، وتعميق مدى تشبعه برفيع مثله وقيمه والاسهام فى رعاية الخط الثابت والاصيل لتربيته الصالحة ، المستمدة من تعاليم كتاب الله ، وسنن رسوله وهدى السلف الصالح رضى الله عنهم .

انها لرسالة مثلى ، تتوقف على حسن ادائها واستيفاء اغراضها ، سلامة الاسس الفكرية والحضارية التى تنهض عليها شخصية هذا الوطن واستمرار قيامه بدوره كمصدر اشعاع فى فريقيا وخط حيوى من خطـوط الدفاع عن تراب القارة الافريقية .

ومن البديهى ، ان النجاح فى العمل على تنوير بصيرة المجتمع ، وشحذ وعيه ضد عوامل الزيغ والانحراف فكرا وسلوكا ، وتقوية عزيمته على مضاعفة السـعي نحو التقدم والتطور، وارتياد واسع الافاق فى مضمار الابداع الحضارى ، ومواكبة متطلبات العصر ورعاية مقومات تفكير الشباب فى دائـرة هويتـه المغربيـة العربيـة الاسلامية ، من البديهى ان النجاح فى كل هذا ، كفيل بان يرسخ قدم هذه الامة امام كافة التحديات ، ويشد ازرها فيما تخوضه من معارك من اجل صيانة شخصيتها الوطنية ، وانجاز اهداف التضامـن العربـى الاسلامى الافريقى الذى يرتكز عليه قطاع اساسى فى سياستها الدولية .

وان لهذا الوطن فى حكمة عاهله وقائده، ورائد وحدته وسيادته ونهضته ، جلالة الحسن الثانى ايده الله واعز امره ، الضمان الاسمى لتحقيق ارفع الاهداف فيما تقطعه البلاد من شاسع الخطوات ، تقدما وتطورا وعزة ومنعة ، وما يتهيأ لها من قدرة خلاقة على الاضطلاع بأجل المهام فى المضمار الوطنى والعالمى .

ابقى الله مولانا امير المومنين ، منارا لهذه الامة تهتدى بهديه ، وتتعزز مفاخرها وامجادها تحت لوائه ويتوالى لها فيض الخير والنماء والازدهار على يديه ، وجعل كل خطواته فى سبيل هذا البلد مقرونة بموفور اليمن والاقبال ، مصحوبة بتحقيق اغلى الامانى والآمال .

وحفظه فى صاحب السمو الملكـى الاميـر الجليـل سيدي محمد وصنوه السعيد مولاي رشيد ، وسائر افراد الاسرة الملكية الشريفة .

والسـلام عليكـم ورحمـة اللـه

الإسلام والالتزام الخلقي عند الفرد والجماعة

للأستاذ محمد العربي الخطابي

ان الاسلام ـ الذي جعل الفرد عنصرا فعالا وحيويا فى بنيان الجماعة وخصه بارادة عاقلة تجعله بذلك مسؤولا ـ حدد منهاجا قويما للاخلاق الزم به الفرد ، كما رسم للجماعة طريقا للسلوك الخلقي لا يستقيم أمرها الا بـه .

وليس المقصود بالخلق المعنى المثالي المجرد للكلمة ، بل المقصود هو التفاعل مع كيان المجتمع الحي اخذا وعطاءا بما يصلح به امر الامة ويستقيم حالها فتصبح جديرة بتحمل الامانة وما يستلزمه ذلك من عزة وقوة ومنعة ورشاد .

وعلى هذا الاساس يجب أن نفهم ما وصف به الله نبيه الكريم حينما خاطبه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » . انه الخلق الذي مكنه من القيام بأعباء الدعوة الاسلامية وتحمل الاذى فى سبيلها والصدع ، دون تهاون ، بما أمره الله به .

وكذلك حينما وصف الله سبحانه عباده الصالحين بقوله : « كنتم خير أمة اخرجت للناس »، علل ذلك بقوله : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ، انه العمل الايجابي الفعال ، والشعور بالتبعة والمسؤولية ، والسعي لاداء الواجب : واجب الدعوة والارشاد وبناء المجتمع بناء صالحا .

على أن العمل يجب ان يكون متمشيا مع الشريعة السمحاء : أوامرها ونواهيها ، ومن هنا وصفه القرآن الكريم : « بالعمل الصالح » وقد قال الامام الغزالي وهو يوصي أحد تلاميذه : « ينبغي لك ان يكون قولك وفعلك موافقا للشرع ، اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة » .

وينبغي الا نفهم من « العمل الصالح » العبادات وحدها ، بل كل عمل من شأنه ان يقوم حياة المجتمع ويصلح حاله ويقيم بين أفراده المودة والمناصحة والتعاون ويمهد لهم طريق العزة والقوة والرفعة لاعلاء كلمة الله وتقويم أحوال الجماعة فى معاش أفرادها وسعيهم وجهادهم اليومي .

اذن فبناء المساجد والمدارس والجامعات والمستشفيات من العمل الصالح وشق الطرق والقنوات ، وتيسير الرى وتجويد وسائل الفلاحة والفراسة من العمل الصالح ، وتوفير العمل للقادرين عليه ورعايتهم فى حالة الصحة والمرض والقدرة والعجز وتحسين ظروف الشغل لهم كلها من العمل الصالح ، والذب عن كرامة المسلمين ومناصرتهم ومد يد المعونة لهم حينما يصيبهم كرب او مكروه من العمل الصالح ايضا .

ان « العمل الصالح » جهاد مستمر لتطهير النفس وتسخير قوى العالم لخير الانسان وسعادته. قال محمد اقبال : « ان هذا العالم مسخر للانسان ، وان للانسان فيه جهادا ، وان لذة الانسان وكماله فى هذا الجهاد ... ان الله جعل هذه الدنيا نصيب

الاخيار ، وجلا محاسنها لعين المؤمن ... هذه الدنيا امتحان لقوة الايمان فسخرها لئلا تسخرك .. » .

ان العمل الصالح ، مع اكتمال الايمان ، جهاد ومجاهدة ، وليس هو مجرد الصلاة والصوم ، وقد جاء في التنزيل « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. » والبر هنا بمعنى الطاعة وصدق النيـة والعمـل .

انه ليس من قبيل الصدفة ان تكـون كلمـة « الخلق » من نفس مصدر كلمة الخلق . وقد قال ابن منظور في لسان العرب : « الخلق ... هو الديـن والطبع والسجية ، وحقيقته انه لصورة الانسـان الباطنة ، وهي نفسه ... بمنزلة الخلـق لصورتـه الظاهرة ... ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة » .

والخلق سجية وعمل ، طبع وممارسة . قالت عائشة ، رضي الله عنها ، متحدثة عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « كان خلقه القرآن » اي انـه كان يسير على هديه ويعمل بأوامره ونواهيه ، ويتحلى بما اشتمل عليه من آداب ومكارم وحكم ، ويتخشـع بتلاوتـه .

وقد جاء في الحديث الشريف « بعثت لاتمـم مكارم الاخلاق » ، والمقصود ، كما سبق ان اشرت، الاخلاق الفاعلة والمتفاعلة التي تجعل من شمائـل الفرد صورة لذاته الحية النامية ، ومن سلوك الجماعة تعبيرا عن تلاحم افرادها وتعاونهم في سبيل النفـع العام طبقا لما تأمر به الشريعة السمحاء ويقره المنطق السليم ، والفطرة الصحيحة ، والطبع القويم .

= × =

ان التزام الفرد بمنهاج خلقي لا يعني ان يكون الافراد متشابهين في كـل شـيء في الانفعـالات والاحاسيس والنظر الى الامور العامة والخاصة . ان من سنة الله اختلاف البشر وتفاوتهـم في المدارك والمشاعر وتقويم الاشياء ، لهذا فان المقصود ، كما ارى ، هو أن يتاح للافراد حظ مشترك من التربيـة الخلقية تؤهلهم للانتظام في جماعة متراصة متعاونة في سبيل الصالح العام وفي ظل تعاليم الدين الحنيف . وان اختلاف الافراد في المشارب والطباع لا يضـر الجماعة ما لم يكن في ذلك معصية أو انحراف عـن الجادة القويمة ، بل انني اذهب اكثر من ذلك فأقول ان في اختلاف الافراد فيما لا ضرر فيه ولا اسراف الخير كل الخير لانه ينمي قدرة الجماعة على الابداع ويزيد في حيويتها ويقوي امكاناتها المعنوية والمادية.

وبعد ، فان أخلاق الفرد يمكن تصنيفها في ثلاث مراتـــب :

تندرج في المرتبة الاولى الاخلاق التي تقـرب الفرد مباشرة من الخالق الاعظم وتكسبه حظوة عنده وتنفعه في دنياه واخراه ، ومن ذلك : الايمان الـذي هو عقيدة وخلق في آن الوقت بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسـه » فالعقيدة وحدها لا تكفي بل لا بد ان يتجه الايمان وجهة عملية وان يصبح حالة خلقيـة تطبع حياة الفرد المؤمن . ومن هذه المرتبة ايضـا التقوى التي هي تحصين النفس بالممارسة الخلقيـة الفعلية التي تكسب صاحبها مناعة تمكنه من التغلب على الاهواء المضلة . والتقوى هي مقياس المفاضلة بين الناس « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وسبيـل التقوى الطاعة التي تؤدي بصاحبها الى امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه .

ومن هذه المرتبة الاولى ايضا الاحسان الذي هو في الواقع تعبير عن طاعة الله سبحانه ، هو « ان تعبد الله كأنك تراه » ـ كما جاء في الحديث الشريف، وهو ايضا اسداء المعروف الى الناس ومواساة من يستحق المواساة منهم .

اما المرتبة الثانية من اخلاق الفرد فتندرج فيها الشمائل التي تؤدي الى تربية الفرد تربيـة ذاتيـة تنفعه في معاشه وجهاده اليومي في معترك الحيـاة فتقوي من عزيمته وتعينه على السداد والرشاد فيما يسعى اليه من تحقيق السعادة والطمأنينة له ولذويه.

ومن هذه المرتبة الصبر الذي هو مجاهـدة النفس وتدريبها على التجلد واحتمال الصعب والمكروه وتعويدها الرضا بقضاء الله دون تواكل او خنوع او استسلام . والصبر هو مواجهة المصاعب والنكبات بقلب ثابت وايمان لا يتزعـزع . قال الله تعالـى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص مـن الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين » .

وقال : « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عـزم الامـور » .

وجاء في الحديث الشريف قـول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن : ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكـان خيـرا له » .

ومن هذه المرتبة ايضا الصـدق في القـول والعمل الذي يكسب الفرد حرمة ومكانة بين أقرانه ويعينه على النجاح في الحيـاة . قال الله تعالـى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» ، وقال : « فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » .

وجاء في الحديث الشريف : « ان الصـدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنـة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقـا ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهـدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عنه الله كذابا» . **والاستقامة** هي علامة الصدق ، لان الذي لا يصدق مع نفسـه لا يمـكن أن يصـدق مـع غيـره . **والاستقامة** لزوم طاعة الله ، وهي من جوامع الكلم . قال الله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحـاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » .

وعن أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك . قال : « قل آمنت بالله ثـم استقـم » .

ومن هذه المرتبة ايضا **الامانة** التي هي الدرجة العليا من درجات الصدق والاخـلاص والنزاهـة والمروءة . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم « بالامين » فكان ذلك من براهين صدق نبوته .

والامانة لفظة واسعة الدلالة بعيدة المرامـي ، فهي الامانة في الدين ، والامانة في تبليغ العلـم ، والامانة في صيانة الاموال المودعة في عهدة الفرد ، والامانة في اداء الواجب ، وتحمل التبعات وصيانـة حقوق الافراد والجماعة ، وهي حفظ الذمة ، وترك الغش ، وهي حسن اداء الشهادة الواجبة ، والامانة هي ايضا تحمل عبء خلافة الله في الارض وحفـظ الايمان وتحقيق العدل في الامر كله ، قال الله تعالى: « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » . ولا أعرف في اللغات الاجنبية كلمة جامعة لمعاني كلمة الامانـة في لغـة الضـاد . **والوفاء بالعهد** ، ضرب من ضروب الامانة . وقد قال الله تعالى : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » وقال : « وكان عهد الله مسؤولا » .

والقناعة هي ايضا من المرتبة الثانية من مراتب اخلاق الفرد . والقناعة لا تعني الخنوع والرضا بالدون والكفاف ، بل هي قبول ما قسم الله لك من رزق مع السعي والجد في سبيل الكسب الحلال بغية تحسين المعاش . انما القناعة قناع يقي من الحسد والطمع واللهفة التي تستعبد الانسان وتبعـده عن المروءة وتنحرف به عن الجادة القويمة .

ومن هذه المرتبة الايثار ، وهـو من اخـلاق السلف الصالح يدل على قوة النفس وسلامة القلب وصفاء الضمير ؛ ويكون المجتمع احوج ما يكـون الى الايثار في وقت الشدائد والكروب فيحفظ سلامـة الجماعة وتماسكها ويقيها من التضعضع والتخاذل .

اما المرتبة الثالثة من اخلاق الفرد فتندرج فيها تلك الشمائل التي تمكن المؤمن من التعامل مع ذويه وقرنائه في صفاء ومودة ، ورفق وبرور ، ورحمـة وعطف مع قصد النفع والمعونة ، وقد جاء عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلكم عيال الله وأحب خلقه اليه انفعهم لعياله » .

ومن هذه **المرتبة البرور بالوالدين** ، وفي القرآن الكريم آيات معروفة تحث على ذلك ، وفي السنـة احاديث تقر هذا البرور وتعظمـه . قال تعالـى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالديـن احسانا وبذي القربى ، واليتامـى ، والمساكيـن ، والجار ذي القربى ، والجار ذي الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت ايمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

وهذه المرتبة ايضا **السعي لقضاء حوائج الناس.** وقد جاء في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: « ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس آلى على نفسه الا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله والناس في الحسـاب » وقال ايضا : « من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله » ، وقال : « من قضـى لاخيه حاجة ، كان كمن عبد الله عمره » .

ومن هـذه المرتبـة من اخـلاق الفـرد **ستر عورة المؤمن** ، وفى الحديث : « لا يستر عبـد عبدا فى الدنيا ، الا ستره الله يوم القيامـة » ومن هذا القبيل **تفريج كربة المؤمن** ومساعدته فيما يلم به من ضيق او فقر ، **ورفع الظلم** عنه ان كان مظلوما . وقد جاء فى حديث جامع قول النبي صلى الله عليـه وسلم : « ليس من نفس ابن آدم الا وعليه صدقة فى كل يوم تطلع فيه الشمس ، قيل يا رسول الله مـن ابن له صدقة يتصدق بها ؟ قال : « ان ابواب الجنة لكثيرة ، والتهليل والتحميد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتميط الاذى عن الطريـق ، وتسمـع الاصم وتهدي الاعمى ، وتدل المستدل على حاجته ، وتسعى شد ساقيك مع اللهفان والمستغيث ، وتحمل شد ذراعيك مع الضعيف ، فهـذا كلـه صدقـة منك على نفسك » ، وهكذا يتضح من هذا الحديث الشريف أن الصدقة فى مدلولها الاسلامي انما هـي صدق المعاملة واخلاص العمل .

والظلم فى مفهوم الاسلام أن يظلم الانسان نفسه بالمعاصي ، أو أن يظلم غيره فى حكم او معاملـة ، قال الله تعالى : « ما للظالمين من حميم ولا شفيـع يطاع » . وقال : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلـم نفسـه » . وقال : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » ، والظلم هنا ظلـم النفس بمعصية الخالق . قال النبي (ص) فيما يرويه عـن الله سبحانه وتعالى : « .. يا عبادي انـي حرمـت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » والمقصود هنا هو الظلم فى الحكم او المعاملة . وفى هذا المعنى قوله (ص) « اتقوا الظلم ، فان الظلـم ظلمات يوم القيامـة » .

ومـن هـذه المرتبـة من اخـلاق الفـرد **ترك الحسد والتباغض** وما اليهما من الخصال التـي تفسد المودة بين افراد المجتمع الاسلامي ؛ وقـد جاء فى الحديث الشريف : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى هاهنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

والسخاء ، والرحمة ، وافشاء السلام ، وعيادة المريض ، وصلة الرحم واقالة عثرة المؤمن ، والمحبة فى الله ، وتعزية المؤمن بما يصيبه ، والعفو عنـد القدرة ، وكظم الغيظ ، وتنفيس الكرب عن المعسر ، كلها من هذا الصنف من اخلاق الفرد . والقرآن الكريم والسنة النبوية زاخران بالحث على هذه الاخـلاق وتحبيبها الى المسلمين ودعوتهم الى الالتزام بهـا وتربية النفس عليها .

= × =

وانتقل الآن الى الحديث عن اخلاق الجماعة ، وأبين قبل ذلك ان تحلي الفرد ذاته بالخلق الحسن على النحو الذي اشرت اليه يؤدي الى قيام نهج خلقي عام يعين على تماسك المجتمع وتعاضد افراده ، ويحدث بينهم مشاركة وجدانية مفيدة تكسب الجماعة قـوة ومناعة وعزة وتجعلها اكثر قدرة على مجابهة مصاعب الحياة وتحمل الاعباء التي تنتظم بها شؤون الامـة ، كل على قدر طاقته .

ويمكننا أن نستفيد من هاتين الآيتين الكريمتين جملة ما يجب ان تكون عليه اخلاق الجماعة . الآيـة الاولى قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

والآية الثانية قوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وبذلك يكون أساس اخلاق الجماعة :

اولا : الدعوة الى الخير ، والمقصود هنا الخير العام الذي يصيب منه كل فرد من افراد الامة ويتيح لكل واحد منهم فرص العيش الكريـم والطمانينـة النفسية والاجتماعية مع العزة والكرامة . ويجب الا نفهم من **الدعوة** الى الخير مجرد الحث والطلب بالقول. فالدعوة تنظيم وبنيان ومثابرة ، بمعنـى أنه لا بـد للمجتمع الاسلامي من أن يقيم النظم الكفيلة بتحقيق الخير العام فى الميادين الاقتصادية والاجتماعيـة خـاصـة .

ثانيـا : الامر بالمعروف والنهي عن المنكـر ، وهذا المبدأ من دعائم الدعوة الاسلامية ، والمراد منه بلوغ الاهداف التي تتوخاها الشريعة السمحة مـن تنظيم المجتمع على أسس العدل والمساواة وسيطرة الحق وانهزام الباطل والظلم ، وانكسار البدع الضالة، واجتناب الحيف والخيانة والغش فى المعاملات ، مع

تبيين الحلال والحرام ، كل ذلك في نظام محكم دقيق تتضح معه الحقوق والواجبات بالقياس الى الفرد والجماعة .

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أركان الرسالة الاسلامية وهو مبدأ يحتل الصدارة في تعاليم الكتاب والسنة . وانه لأمر من الله لا يصح لأولياء الامر التهاون في تنفيذه حماية للامة من التضعضع والفساد . وتنفيذه في عصرنا هذا لن يتم على الوجه الاكمل الا بسن الاحكام التشريعية والتنظيمية المناسبة التي تستمد وجودها من الكتاب والسنة ومن اجماع المسلمين وما تتفق عليه مصلحتهم .

ويمكن القول بصفة عامة ان المعروف هو كل ما يتفق ومصالح الامة ويستوجب الحفاظ على سلامتها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ويبقيها صفا متراصا لا خلل فيه ولا ثلمة ؛ والمنكر عكس ذلك ، هو كل عمل هدام مخالف للشرع ولمصالح الجماعة، سواء كان هذا العمل اجتماعيا أو اقتصاديا أو سياسيا . والعمل بهذا المبدأ الخلقي واجب فردي وجماعي . وتركه يؤدي حتما الى تضعضع الجماعة .

جاء في الحديث الشريف : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » .

والتآزر بين المسلمين قائم على مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

ثالثا : التعاون ، هو المبدأ الثالث الذي يجب أن تقوم عليه أخلاق الجماعة الاسلامية ، والمراد هو التعاون الفعال الايجابي الذي تنتظم به الروابط بدقة بين الحاكمين والمحكومين من جهة ، وبين مختلف فئات المجتمع وقواه الحية العاملة . ولا بد أن يكون هذا التعاون قائما على البر والتقوى والصلاح والاصلاح ، وان يكون هدفه تحقيق استقرار المجتمع وطمأنينة افراده بتمكينهم من فرص العمل وترقية احوالهم المعاشية والمعنوية ، وتوفير سبل الامن والصحة والتعلم لهم كي يصبحوا نافعين وقادرين على الاسهام في بناء عزة الامة وقوتها .

والتعاون القائم على البر والتقوى يتطلب توافر شروط منها : استعداد كل فرد فرد للبذل والعطاء واداء الواجب والانصهار في المجتمع والشعور بالمسؤولية تجاهه .

* * *

وبعد ، فان هذه المبادىء الثلاثة التي ذكرتها في معرض التحدث عن اخلاق الجماعة ، هي مبادىء متكاملة وكفيلة بتحقيق مرامي الاسلام التي هي ايجاد مجتمع صالح يطمح دوما الى الكمال ويسعى ابدا الى اعلاء كلمة الله ، ونشر تعاليم القرآن والسنة ، والتمسك بالوحدة التي فيها قوة الامة ، كل ذلك مع مراعاة العدل بمدلوله الشرعي والاجتماعي والاقتصادي ، والمساواة بمفهومها الايجابي ، وغلبة الحق على الباطل ، والقوة على الضعف ، والهدى على الضلال ، والحكمة على الجهل .

واذا كنت قد استعملت عن قصد كلمة الخلق ، وفرقت بين خلق الفرد وخلق الجماعة ، فانا انما قصدت اللفظ بمعناه الاسلامي الواسع وابعاده الاجتماعية كلها ، ذلك أن الخلق في مفهوم الاسلام ليس مجرد سلك فردي في الحياة والمعايشة ، بل انه منهاج متكامل للسلوك الشخصي والجماعي يتوقف عليه نمو المجتمع وسلامة اركانه .

واذا كانت النية هي الاصل في العبادات والمعاملات فان النية ، اذن ، هي صوت الوجدان وهي العلامة الباطنة الدالة على أن الخلق حسن او قبيح ، قويم او منحرف . والنية هي بداية الالتزام ونقطة الشروع .

ان الاخلاق التي تحدثت عنها ملزمة للفرد المسلم كما هي ملزمة للامة لكونها من صميم الشرع لا تكتمل العبادات والمعاملات الا بها ، وأوامر الكتاب والسنة واضحة في ذلك ، فهي اذن بمنزلة النظام الاجتماعي للاسلام تترتب عنها حقوق وواجبات ، وهي لا تدخل في باب ادب السلوك العام فحسب بل تتعداه الى مرتبة الوجوب بحيث لا يكتمل اسلام المسلم الا بها ولا ينتظم امر الجماعة بدونها .

ان الاخلاق التي تحدثت عنها هي في الواقع من المبادىء الثابتة التي تستمد منها الشريعة الاسلامية وجودها واستمرارها ، هي مبادىء مستقرة راسخة تصلح لهذا العصر كما تصلح لغيره من العصور ، هدفها تحقيق العدل والمساواة والنظام والتعاون في المجتمع الانساني .

وإذا كنا نعيش اليوم فى عالم شديد التعقيد فى اوضاعه ومراميه السياسية والاجتماعية والاقتصادية بطبعه تقدم العلم والتقنولوجيا ، وتشعب اسباب الحياة ووسائلها ومظاهرها ، مع تطاحن المذاهب الفكرية وتضاربها ، فان النظام الخلقي فى الاسلام لا يزداد الا جدة ونضارة فتتأكد الحاجة الى الاخذ به وانتهاج مسلكه وترسيخ قواعده لمجابهة الالحاد الذي تفشى ولتجنب الاضطرابات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي تسود الآن كثيرا من المجتمعات الانسانية .

ومن هنا نطرح بالحاح مسألة تجديد المفاهيم بما يتفق مع تعاليم الاسلام السمحة وانه لمن الخطأ الذي يجب تجنبه أن يدعو البعض الى تجديد الدين الاسلامي كي يصبح ملائما لهذا العصر المضطرب الذي نعرفه ونعيشه . ان الاسلام لا يحتاج الى تجديد ، انما يجب أن نجدد مفهومنا له ونقوم فهمنا لحقائقه ومغازيه ومقاصده . فالاسلام جديد لا يبلى مع الزمن لانه دين العقل والفطرة والنظام ، انما يبلى أتباعه بتخليهم عن تعاليمهم وخوضهم فيما لا يرضي الله والرسول . وقد قال الشيخ محمد عبده : « الاسلام محجوب باهله » فعلينا أن نرفع هذا الحجاب عن الاسلام بتجديد انفسنا ، وتطهير عقولنا وقلوبنا .

لقد توصل أحد فقهاء القانون فى الغرب ، بعد طول البحث والدراسة ، الى أن كل تشريع وضعه البشر لعصر ما لا يصلح بالضرورة لعصر آخر ، ودعا الى الجد فى البحث عن دستور يلائم كل حضارة ، وهذا الدستور الذي يبحث عنه الفلاسفة وعلماء القانون والمفكرون المعاصرون لن يكون سوى التشريع الاسلامي الذي يستمد وجوده من الكتاب والسنة والاجماع ، ذلك أن أصول التشريع الاسلامي وحي من الله ، وقد انفرد الاسلام بين الاديان السماوية الاخرى بأن شرع للناس نظاما قانونيا وخلقيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا قويما مصادره الكتاب والسنة والاجماع ، وباب الاجتهاد فيه مفتوح. واذا كان الهدف الاساسي لكل تشريع هو البحث عن العدل ، كما يقول فقهاء القانون ، فان العدل هو محور التشريع الاسلامي ، وانه لعدل يتوقف على رسوخ الاخلاق التي شرعها الله لعباده كما يتوقف على حسن تطبيق الاحكام الشرعية ، وذلك اقصى ما يمكن أن يطمح اليه البشر .

ان رسالتنا الى الانسانية جمعاء هي الاسلام بصفائه ونقاوته ، ففيه وحده خلاص البشرية مما تعانيه الآن من اضطرابات وما يتهددها من أخطار بسبب هذه المذاهب الالحادية والمادية التي اخذت بها كثير من الامم فأصبحت مصدرا لتعاستها وخوفها وضلالها رغم ما تملكه من أسباب القوة المدمرة والغنى المفرط .

ان الاسلام هو سبيلنا الى العزة والعيش الكريم ، ففى رحابه أمننا وسلامنا ووحدة صفوفنا ، وفى تعاليمه هدايتنا ونجاحنا فى أعمالنا ، وهو رسالتنا الى الانسانية اذا كنا نحرص على أن تكون لنا فى هذا العالم رسالة . فلنعمل بهدى القرآن والسنة ، ولندع الى الاستمساك بهما ما استطعنا .

محمد العربي الخطابي

القاضي أبو بكر بن العربي

(468 - 543 هـ)

للأستاذ سعيد أعراب

ومن بينهم :

18 ــ ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي الامام الحافظ الضابط المتقن ، سمع من ابن العربي عند اجتيازه بسبتة ، وكتب عنه ــ كما يقول ــ فوائد حديثية ، وناوله كتاب المؤتلف والمختلف للدارقطني ، وحدثه بكتاب الاكمال لابن ماكولا ، وقرا عليه مسالة الايمان اللازمة من تاليفه ، واجازه جميع مروياته ، وسمع منه باشبيلية وقرطبة ، وحدث عنه بالرباعيات المروية عن البخاري (ت 544 هـ) (42) .

19 ــ ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن الامين من اهل قرطبة ، كان من اهل الضبط والاتقان ، والتقدم في صناعة الحديث . (544 هـ) (43) .

20 ــ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن احمد العاصي الفهمي من اهل المرية ، يعرف بابن ابي زيد ، كان عالما بالعربية واللغة والادب ، مع الاتصاف بالفضل والصلاح . (ت544 هـ) (44)

21 ــ ابو عبد الرحمان مساعد بن احمد بن مساعد الاصبحي ، ويعرف بابن زعوقة من اهل اوريولة. حج سنة (549 هـ) ، وروى عن كبار المشايخ، فساوى بلقائهم مشيته (ت 545 هـ) (45) .

22 ــ ابو محمد عبد الله بن احمد بن عمروس بن اب من اهل شلب ، قرا التلقين على ابن العربي في مجلس واحد ، وبقراءته سمع ابو بكر بن خير ، وذلك في سنة (532 هـ) ، كان فقيها مشاورا حافظا . (ت 546 هـ) (46) .

23 ــ ابو عبد الله محمد بن يحيى العاصمي الانصاري من اهل المرية ــ عمل بلنسية ، سمع من ابن العربي ، واجاز له سنة (522 هـ) ، تصدر ببلده (ت 547 هـ) (47) .

24 ــ ابو العباس احمد بن حسن بن سليمان بن ابراهيم من اهل بلنسية ، سمع من ابن العربي واكثر عنه ، وكان من اهل الفقه والمعرفة بعقد الشروط ، والعناية برواية الحديث . (ت 547 هـ) (48) .

---

42) الغنية ــ مخطوط خاص ، وانظر في ترجمته ــ التعريف لولده ابي عبد الله ، وازهار الرياض لابي العباس المقري 31/1 .
43) بغية الملتمس 223 ، المعجم 63 ــ 64 .
44) بغية الملتمس 90 ، التكملة 160 ، بغية الوعاة 64 .
45) بغية الملتمس 461 ، المعجم 204 ، نفح الطيب 644/2 .
46) بغية الملتمس 326 ، التكملة 831 ، بغية الوعاة 278 .
47) التكملة 196 .
48) التكملة 56/1 طبع مصر وانظر الذيل والتكملة 91/1 .

25 ــ ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بــن سعيد من اهل دانية ، ويعرف بابن غلام الفرس، كتب اليه ابن العربى ، وكان اماما فاضـــلا ، صاحب ضبط واتقان . (ت 547 هـ) (49) .

26 ــ ابو الحكم عمرو بن زكرياء بن بطال البهرانى من اهل لبلة ، ولى القضاء والخطبة ببلده (ت 549 هـ) (50) .

27 ــ ابو محمد عبد الله بن يحيى الانصارى من اهل لرية ــ عمل بلنسية ، كان له اعتناء بالحديث . (ت 550 هـ) (51) .

28 ــ ابو الوليد محمد بن عبد الله بن خيرة من اهل قرطبة ، كان من احفظ الناس للــراى ، مــع المشاركة فى الادب ، والتفنن فى المعارف . (ت 551 هـ) (52)

29 ــ ابو العباس احمد بن معد بن عيسى التجيبى ، المعروف بابن الاقليشيى ، كان عالما عامــلا . (ت 551 هـ (53) .

30 ــ ابو يونس مغيث بن يونس الانصـــارى ، المعروف بابن الصفار ، من اهل قرطبة ، وكان فقيها مشاورا . (ت 552 هـ) (54) .

31 ــ ابو العرب عبد الوهاب بن محمد بن احمد بن غالب التجيبى البلنسى ، سمع ببلنسية من ابن العربى ــ ولعله عندما قدمها غازيا سنة (522 هـ) ، وكان عارفا بالفقه ، بصيرا بعقد الشروط. (ت 552 هـ) (55) .

32 ــ ابو عبد الله محمد بن صاف بن خلف الانصارى من اهل اوريولة ، ولى قضاء بلده . (ت 552 هـ) (56) .

33 ــ ابو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمى من اهل اشبيلية ، ويعرف بالفلنقى ، كان اماما فى صناعة الاقراء، عالى الرواية، استوطن فاسا ، واقرا بمسجد الحوراء منها . (ت 553 هـ) (57) .

34 ــ ابو الحسن محمد بن عبد العزيز بن واجــب القيسى ، ولى القضاء بقسطنطانية وغيرها من الجهات الشرقية . (553 هـ) (58) .

35 ــ ابو حفص عمر بن محمد بن واجب القيســى البلنسى ، كان فقيها حافظا للمسائل ، بصيــرا بالاحكام مشاورا . (557 هـ) (59) .

36 ــ ابو القاسم خلف بن محمد بن خلف بن فتحون من اهل اوريولة ، له رواية واسعة ، وعنايــة كاملة . (ت 557 هـ) (60) .

37 ــ ابو بكر محمد بن ابى بكر بن ابى الخليل التميمى من اهل المرية ، يعرف بابن ولم ، كان من اهل الفهم واليقظة ، مشاركا فى الادب وعقد الشروط، ولى قضاء بعض جهات شاطبة . (557هـ) . (61)

38 ــ ابو بكر محمد بن عبد الله بن سيدالة التجيبى، من اهل شاطبة ، كتب اليه ابن العربى ، وكان

(49) التكملة 193 ــ 195 ، شجرة النور الزكية 142 .
(50) التكملة 693 .
(51) التكملة 473 .
(52) المعجم 172 ــ 174 ، شجرة النور 143 .
(53) الذيل والتكملة 1 ــ ق 543/2 ، بغية الوعاة 171 ، شجرة النور 154 .
(54) بغية الملتمس 455 . المعجم 204 .
(55) الذيل والتكملة للمراكشى 94/5 .
(56) المعجم 175 .
(57) التكملة ص 206 ، غاية النهاية 242 .
(58) التكملة 207 ، شجرة النور الزكية 134 .
(59) التكملة 655 شجرة النور الزكية 135 .
(60) المعجم 84 .
(61) التكملة 210 .

عارفا بالاخبار ، حافظا لاسماء الـــرواة . (ت 558 هـ) (62) .

39 ــ ابو على حسين بن محمد بن حسين الانصارى، من اهل طرطوشة سمع الحديث عن ابن العربى، وتصدر للاقراء (63) .

40 ــ ابو عبد الله محمد بن عتيق ، من اهل المرية ، لقى ابا بكر وسمع سباعياته (64) .

41 ــ ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد النفطى ، ويعرف بابن الصائغ ، رحل حاجا ، فلقى جماعة من الشيوخ ، وولى الصلاةوالخطبة بتوزور (65)

42 ــ ابو مروان خطاب بن احمد بن موسى بن خطاب الغافقى من اهل موله ــ عمل مرسية ، رحل الى قرطبة فسمع بها من ابن العربى ــ أيام انتقاله اليها من اشبيلية ، عنى بالرواية وسماع الحديث وكان فتيها مشاورا ، كتب بخطه علما كثيرا (66)

43 ــ ابو بكر عبد الرحمان بن احمد بن يحيى الثقفى، من اهل سرقسطة ، سكن قرطبة وكان من اهل العناية بالرواية ، حسن الخط ، معروفا بالاتقان والضبط (67) .

44 ــ ابو عبد الله محمد بن على بن خلف المحاربى، من اهل غرناطة ، سمع من ابن العربى عنـــد اجتيازه بغرناطة ، وكان من اهل العنايـــــة بالرواية (68) .

45 ــ ابو محمد عبد الله بن محمد الصنهاجـــى ، ويعرف بابن الاشيرى ، رحل الى الاندلس فسمع من ابـــن العربى ، وكـــان فاضـــلا ثقة . (ت 561 هـ) (69) .

46 ــ ابو الحجاج يوسف بن فتوح القرشى المعروف بالعشاب ، من اهل المرية ، شور ببلده ، نزل فاسا ، وحدث بها . (ت 562 (70) هـ) .

47 ــ ابو بكر محمد بن شريح بن محمد بن شريح ، من اهل اشبيلية ، سمع من ابى بكر بن العربى وصحبه فى وجهته الى المغرب ، وكان من نبهاء بلده ووجوههم ، والمقدمين فيه بذاته وبسلفه . (ت 563 هـ) (71) .

48 ــ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبادة الانصارى ، من اهل جيان ، كان مقرئا ماهرا فاضلا معدلا ، يشارك فى الحديث والمسائـــل . (ت 564 هـ) (72) .

49 ــ ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ، من اهل مرسية ، سكن شاطبة ، ثم رحل الى قرطبة، وبها سمع من ابن العربى ، كان عارفا بالسنن والآثار ، مشاركا فى علم القرآن وتفسيـــره ، حافظا للفروع ، بصيرا باللغة والغريب . (ت 566 هـ) (73) .

50 ــ ابو بكر عبد الرحمان بن احمد بن ابراهيم بن ابى ليلى الانصارى ، من اهل مرسية ، كـــان عدلا خيارا ، عارفا بالنقل ، موصوفا بالاتقان وصحة التقييد ، بضاعته جمع الآثار ، مع مشاركة فى الادب وغيره . (ت 566 هـ) (74) .

---

62) التكملة 211 .
63) التكملة ص 26 .
64) التكملـــة 182 .
65) معجم اصحاب الصدفى 249 ، معجم البلـــدان 296/5 .
66) التكملة 42 .
67) التكملة 563 .
68) التكملة 190 .
69) التكملة 528 .
70) المعجم 331 .
71) التكملة 218 .
72) التكملة 22 ، غاية النهاية 162/2 .
73) البغية 142 ، الديباج 287 ، شجرة النـــور 149 .
74) المعجم 252 .

51 ـ ابو عبد الله بن احمد بن سعيد بن موجال ، من اهل بلنسية ، انتقل الى اشبيلية قبل سنة (530 هـ) . فنزلها ، وكان فقيها حافظا ، حتى جعل ابو بكر بن الجد يغص من مكانه ، ويغض فى شانه ، وكان ابن العربى يثنى عليه ، وهو احد اصحابه الموثرين لديه . (ت 566 هـ) (75) .

52 ـ ابو بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدرى ، من اهل قرطبة ، وكان متقدما ، فى اللسان حافظا . (ت 567 هـ) (76) .

53 ـ ابو محمد عاشر بن محمد بن عاشر الانصارى ، البناشتى ، سكن شاطبة ، وكان فقيها حافظا للمسائل . (ت 567 هـ) (77) .

54 ـ ابو بكر يحيى بن محمد بن هانىء التغلبى الغرناطى ، سمع من ابن العربى وحج سنة (530 هـ) ، واكثر من السماع ، واوطن اوريولة وولى خطبتها . (ت 567 هـ) (78) .

55 ـ ابو الحسن على بن عبد الله بن خلف الانصارى، المعروف بابن النعمة ، من اهل المرية ، سكن بلنسية ، سمع من ابن العربى عند مقدمه على بلنسية غازيا سنة (522 هـ) بعد ان اجاز له ، وولى خطة الشورى ، ثم الصلاة والخطبة . (ت 567 هـ) (79) .

56 ـ ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم محمد بن فرج الانصارى الخزرجى ، ويعرف بابن الفرس ، من اهل غرناطة ، شيوخه نيف وثمانون ، من اعلامهم ابو بكر بن العربى وآخرون . (ت 567 هـ) (80) .

57 ـ ابو زكرياء يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن عقال الفهرى البلنسى ، كان فقيها حافظا مفتيا ، قائما على المدونة والعتبية ، قدم للشورى ببلده . (ت 567 هـ) (81) .

58 ـ ابو العباس احمد بن عبد الرحمان الانصارى ويعرف بابن الصقر ، اشتهر بالفقه والادب ، مع نباهة القدر ، وبراعة الخط ، ولى قضاء اشبيلية . (ت 569 هـ) (82) .

59 ـ ابو عبد الله محمد بن عبيد الله بن خليل القيسى من اهل لبلة ، كان من اهل الرواية والدراية ، نزل مدينة فاس ، ثم انتقل الى مراكش واقرا بها . (ت 570 هـ) (83) .

60 ـ ابو القاسم محمد بن ابراهيم بن خيرة ، ويعرف بابن المواعينى ، من اهل قرطبة سكن اشبيلية ، عنى بالادب ، وكتب للولاة . (ت 570 هـ) (84) .

61 ـ ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد يعرف بابن الغاسل ، من اهل غرناطة ، كان مقرئا فاضلا ، ومحدثا حافلا ، حسن الخط ، جيد الضبط ، وكان لا يزال على قيد الحياة سنة (570 هـ) (85) .

62 ـ ابو عبد الله بن محمد بن سهل الضرير ، من اهل غرناطة ، ويعرف بوجه نافخ ، اجاز له ابن العربى ، وكان من اهل المعرفة الكاملة بالعربية والآداب والتقدم فى ذلك . (ت 571 هـ) (86) .

---

(75) المعجم 237 ، النفح 158/2 .
(76) التكملة 229 ، شجرة النور 149 .
(77) الذيل والتكملة 5 ـ ق 99/1 ، الحلل السندسية 282/3 .
(78) التكملة 724 .
(79) المعجم ، غاية النهاية 553/1 ، بغية الوعاة 61 ، 62 .
(80) البغية المعجم 185 ، شجرة النور 150 .
(81) التكملة 723 .
(82) التكملة 276 ، الديباج 286 ، شجرة النور 151 .
(83) المعجم 188 .
(84) التكملة 233 ، شجرة النور 151 .
(85) التكملة 235 ، شجرة النور 151 .
(86) التكملة 849 .

63 — ابو مروان مالك بن عبد الرحمان القشيرى ، من اهل اشبيلية — فيما يظنه ابن الابار ، وكان فى عداد الادباء ، النبهاء الحفاظ الايقاظ (87) .

64 — ابو عبد الله محمد بن احمد بن هاشم السبتى متأدبا بالعربية ، قائما عليها (88) .

65 — ابو الوليد محمد بن عريب بن عبد الرحمان ، من اهل سرقسطة سكن مرسية ، وتصدر للاقراء بشاطبة ، وولى بها الصلاة والخطبة (89) .

66 — ابو الحسن عبد الرحمان بن احمد بن محمد بن مخلد الغرناطى ، فقيه مشاور ، عريق فى المجد والنباهة . (ت 573 هـ) (90) .

67 — ابو جعفر احمد بن الحسن بن محمد القشيرى ، من اهل قرطبة ، ويعرف بابن صاحب الصلاة ، كان من اهل الحديث والاتقان (91) .

68 — ابو عبد الله محمد بن احمد بن المجاهد ، من اهل اشبيلية ، لازم ابا بكر بن العربى مدة ، ثم تخلف عنه ، لاتصاله بالسلطان ، — كما أشرت الى ذلك سابقا . وكان ابن المجاهد ممن يشار اليه من وقته بالصلاح والورع والعبادة ، مع الحفظ الوافر للفقه والقراءات وغير ذلك . (ت 574 هـ) (92) .

69 — ابو عبد الرحمان محمد بن عبد الرحمان التيسى ، من اهل مرسية ورئيسها ، اجاز له ابن العربى ، وكان يذهب فى جميع ما يحمله الى الدراية وادراكه بقراءته . (ت 574 هـ) (97) .

70 — ابو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة ، من اهل اشبيلية ، لازم العربى وسمع منه كثيرا ، واشرنا سابقا الى انه اخذ عنه ما ينيف على (125) كتابا ، اوردها باسانيدها فى فهرسته .

وكان مقرئا مجودا ضابطا ، محدثا جليلا ، متفننا اديبا ، نحويا لغويا ، واسع المعرفة . (ت 575 هـ) (94) .

71 — ابو عبد الله محمد بن عياض اليحصبى السبتى ، دخل الاندلس وسمع من ابن العربى ، واجاز له ، تولى قضاء دانية وغرناطة ، وكان من الفقهاء النبهاء . (ت 575 هـ) (95) .

72 — ابو حفص عمر بن عبد الرحمان بن عذرة الانصارى ، من اهل الجزيرة الخضراء ، كان فقيها مشاورا ، تولى قضاء بلده وقضاء سبتة . (ت 576 هـ) (96) .

73 — ابو جعفر عبد الرحمان بن احمد الازدى ، من اهل غرناطة ، ويعرف بابن القصير ، كان وجيها فى بلده ، بضاعته الحديث ، كثير العناية بالرواية. (ت 576 هـ) (97) .

74 — ابو محمد عبد الله بن مغيث الانصارى من اهل قرطبة ، يعرف بابن الصفار ، ولى قضاء الجماعات بقرطبة (ت 576 هـ) (98) .

75 — ابو القاسم بن عبد الملك بن بشكوال الانصارى من اهل قرطبة ، كان متسع الرواية ، شديد

---

87) التكملة 390 .
88) التكملة 370 .
89) المعجم 187 .
90) شجرة النور 152 .
91) التكملة 74/1 طبع مصر .
92) التكملة 240 .
93) التكملة 238 ، شجرة النور 152 .
94) التكملة 240 ، الديباج 289 .
95) التكملة 371 .
96) التكملة 656 ، شجرة النور 153 ، وفى الديباج انه توفى سنة (596 هـ) وله تصحيح .
97) التكملة 228 .
98) المعجم 221 ، شجرة النور 154 .

العناية بها ، ومر ان ابن العربى ولاه قضاء بعض الجهات اشبيلية (ت 578 هـ) (99) .

76 — ابو الحسن محمد بن عبد العزيز الغافقى ، ويعرف بالشتورى ، من اهل قرطبة ، كان حافظا لاخبار الاندلس ، معنيا بصناعة الحديث ، رحالة فى سماعه مميزا لرجاله بصيرا بطرقه ، حافظا متقنا لهذا الشان ، ولى قضاء شقورة بلده . (ت 579 هـ) (100) .

77 — ابو الحجاج يوسف بن ابراهيم العبدرى ، المعروف بالثغرى ، يروى عن ابن العربى ، قال ابن الابار : وروايته عنه صحيحة . (ت 579 هـ) (101) .

78 — ابو الحسن سليمان بن احمد بن سليمان اللخمى الاشبيلى ، سمع من ابى بكر بن العربى صحيح مسلم ، وكان مقرئا نحويا ، ضابطا مجودا (102).

79 — ابو زيد عبد الرحمان بن عبد الله بن احمد الخثعمى السهيلى من اهل مالقة ، كف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان من اهل الرواية والدراية ، عالما بالقراءات واللغات وضروب الآداب ، حافظا للسير والاخبار والانساب (ت 581 هـ) (103) .

80 — ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الله الانصارى، ويعرف بابن اليتيم ، اجاز له ابن العربى ، وكان حافظا حافلا ، عارفا بالقراءات ، مشاركا فى الحديث والعربية . (ت 581 هـ) (104) .

81 — ابو القاسم عبد الرحمان بن ايوب بن تمام الانصارى ، من اهل مالقة ، كان عالما بالعربية واللغة والآداب ، وكانت له مشاركة فى الفقه والحديث . (ت 581 هـ) (105) .

82 — ابو عبد الله محمد بن جعفر الاموى ، من اهل بلنسية ، تولى قضاء بلده (ت 581 هـ) (106) .

83 — ابو بكر محمد بن عبد الرحمان بن ابى العافية الازدى ، من أهل غرناطة ، ويعرف بالكتندى ، كان اديبا ، كاتبا شاعرا . (ت نحو 583 هـ) (107) .

84 — ابو الحسن على بن احمد بن على الشريشى ، ويعرف بابن لبال ، ولى قضاء بلده ، وكان من اهل الورع والعدالة . (ت 583 هـ) (108) .

85 — ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله ابن حبيش ، من اهل المرية ، رحل الى قرطبة فسمع بها من ابى بكر بن العربى — ايام انتقاله اليها بعد نكبة القضاء — وكان حظيا لديه ، ينزل معه فى بيته ، وقد سمعه يوما يذكر الانصراف الى وطنه (المرية) فقال له : ما هذا القلق ؟ اتم حتى يكون لك فى رحلتك عشر سنين كما كان لى ، كان عالما بالقرآن ، اماما فى الحديث ، عارفا بعلله ، واقفا على اسماء رواته ونقلته ، مع صحة الضبط والاتقان لما قيده ، والصدق والثقة فيما رواه . (ت 584 هـ) (109) .

86 — ابو عبد الله محمد بن على بن عبد العزيز اليحصبى ، من اهل قرطبة ، اجاز له ابو بكر بن

---

(99) التكملة 487 ، شجرة النور 154 .
(100) التكملة 55 — 58 .
(101) التكملة 246 .
(102) التكملة 706 ، غاية النهاية 311/1 .
(103) التكملة ص 570 ، وفى البغية ص 304 — ان وفاته كانت سنة (583) ومثله للمقرى فى النفخ 401/4 .
(104) التكملة 673 ، وانظر غاية النهاية 121/1 .
(105) التكملة 572 ، بغية الوعاة ص 298 .
(106) التكملة 255 .
(107) التكملة 252 ، بغية الوعاة 65 .
(108) التكملة 683 .
(109) بغية الملتمس 340 ، التكملة 573 ، غاية النهاية 378/1 ، بغية الوعاة 301 .

العربى ، وكان موصوفا بالحفظ والمشاركة فى الادب مـــع العبـــادة والتواضـــع (ت. 584 هـ) (110) .

87 ــ ابو الحسن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الرحمان ابن ربيع الاشقرى ، من اهل قرطبة ، يعرف بابن ابى ، كان شيخـا جليلا ، معنيا بصناعـة الحديث وروايته ، ، حدث الناس عنه وولـى القضاء باستجة (ت 585 هـ) (111) .

88 ــ ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن غالب الانصارى من اهل قرطبة ، ويعرف بالشراط ، كان عارفا بالقراءات وطرقها ، راسا فى تجويدها واتقانها ، اسمع الحديث ، وعلم بالعربية والادب. (ت 586 هـ) (112) .

89 ــ ابو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجد ، الفقيه الحافظ المستبحر ، من اهل اشبيلية ، سمع على ابن العربى جامع الترمذى وقدم للشورى مع ابى بكر بن العربى ونظرائه من الفقهاء سنة (521 هـ) ، وتمادى على ذلك نيفا وستين سنة ، فى ازدياد سمو الرتبة واطراد تمكن الحظوة لدى الملوك . (ت 586 هـ) (113) .

90 ــ ابو عبد الله محمد بن مالك الغافقى ، من اهل مرسية ، ويعرف بالمولى ، لقى ابا بكر بن العربى وسمع منه مسلسلاته ، وكل روايته عنه . كان فقيها على مذهب مالك بصيرا به ، وولـى قضـاء بعض الجهـات الشرقيـــة . (ت . 586 هـ) (114) .

91 ــ ابو بكر عبد الرحمان بن محمد بن مغاور السلمى، من اهل شاطبة ، بقية مشيخة الكتاب ، وجلة الادباء المشهورين فى الاندلس ، مع الثقة وصدق اللهجة . (ت 587 هـ) (115) .

92 ــ ابو العباس احمد بن محمد بن خلف الحوفى ، من اهل اشبيلية ، ولى قضاء بلده مرتين ، وكان حسن السيرة ، شديد الباس على اهل الشــر والذعـــارة . (ت 588 هـ) (116) .

93 ــ ابو عمران موسى بن حجاج بن ابى بكر الاشيرى سكن تدلس ــ عمل بجاية ، رحل الى الاندلس فسمع من ابى بكر بن العربى فى سنة (535 هـ) عنى بالرواية اتم عناية ، لكنه كان عديم الضبط ، وقد اخذ الناس عنه . (ت 580 هـ) (117) .

94 ــ ابو محمد عبد الله بن محمد بن مسعود التجيبى من اهل اشبيلية ، كان من اصحاب ابن العربى ومختصا به ، وكان يجلس لعقد الشروط فى الجانب الشرقى فى جامع اشبيلية (118) .

95 ــ ابو العباس احمد بن عبد الله بن سابق ، من اهــل اشبيليـــة ، كـــان موصوفا بالفضــل والصـــلاح (119) .

96 ــ ابو محمد عبد الله بن خلف المحاربى ، حدث الناس عنه ، ووصفوه بالصلاح (120) .

97 ــ ابو عبد الله محمد بن عبد الملك بن بونة العبدرى من اهل مالقة ، ويعرف بابن البيطار سمع من ابـــن العربـــى ، واجاز لـــه مؤلفاتـــه . (ت 590 هـ) (121) .

98 ــ ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خلف الانصارى من اهل مالقة ، ويعرف بابن النخار ، سمع من ابن العربى واكثر عنه واختص به ، وكان صدرا

---

(110) التكملـة 252 .
(111) التكملة 576 .
(112) التكملة 577 ، غاية النهاية 379 .
(113) البغية 188 ، التكملة 258 .
(114) التكملة 260 .
(115) المعجم 254 ، زاد المسافر 37 .
(116) التكملة 87/1 ــ طبع مصر .
(117) التكملـة 378 .
(118) التكملة 492 .
(119) التكملة 87/1 ، طبع مصر .
(120) التكملة 493 .
(121) التكملة 262 .

فى حفاظ اهل الاندلس ، مقدما فى ذلك ، معروفا بسرد المتون والاسانيد ، مع معرفته بالرجال وذكر الغريب ، استدعى لحضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه . (ت 590 هـ) (122) .

99 — ابو الوليد زكرياء بن عمر بن احمد الانصارى ، من اهل قرطبة ، يروى عن ابن العربى ، وكان ذا حظ من الفقه والادب . (ت 590 هـ) (123) .

100 — ابو عبد الله محمد بن احمد السلمى ، ويعرف بابن عروس ، كان من اهل التجويد والضبط والثقة ، مع الفضل والصلاح . (ت 590 هـ) (124) .

101 — ابو بكر يحيى بن عبد الجبار المالقى ، المعروف بالابار ، ولى قضاء بلده ، وكان جزلا فى احكامه ، مهيبا ورعا ، فقيها بصيرا بالشروط . (ت 590 هـ) (125) .

102 — ابو الحسن نجبة بن يحيى بن نجبة الرعينى ، من اهل اشبيلية ، وكان اماما فى العربية والقراءات ، مقدما فى ذلك مع المشاركة فى الحديث (ت 591 هـ) (126) .

103 — ابو محمد عبد الله بن محمد بن على الحجرى ، لقى ابن العربى بقرطبة وسمع منه ، وجل روايته عنه ، ويقال انه قرا عليه اكثر من مائة كتاب ، استوطن سبتة ، وشدت الرحال اليه . (ت 951 هـ) (127) .

104 — ابو محمد عبد الله بن محمد بن فليح القصرى — (نسبة الى قصر عبد الكريم) — بشمال المغرب ، رحل الى الاندلس فسمع من ابن العربى وجماعة من الشيوخ ، ولى قضاء بلده ، وكان حيا سنة (591 هـ) (128) .

105 — ابو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم ابن الفرس الانصارى ، من اهل غرناطة فقيه مشاور ، مع المشاركة فى القراءات وعلوم الحديث (ت 592 هـ) (129) .

106 — ابو العباس احمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن مضاء اللخمى ، من اهل قرطبة ، سمع من ابن العربى باشبيلية بعد سماعه منه بقرطبة ، كان من ائمة العربية ، مع مشاركة فى فنون جمة . (ت 592 هـ) (130) .

107 — ابو محمد عبد الله بن احمد بن جمهور القيسى من اهل اشبيلية ، كان رجلا صالحا فاضلا ، (ت 592 هـ) (131) .

108 — ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن ادهم الوهرانى ويعرف بابن قرقول ، كان رحالة فى طلب العلم حريصا على لقاء الشيوخ ، فقيها نظارا ، اديبا حافظا ، بصيرا بالحديث ورجاله . (ت 596 هـ) (132) .

109 — ابو القاسم محمد بن على الهمدانى ، من اهل وادى آش ، ويعرف بابن البراق ، كتب اليه ابو بكر بن العربى ، وكان محدثا ضابطا ، اديبا ماهرا ، مشاركا متفننا فى معارف شتى . (ت 596 هـ) (133) .

---

(221) بغية الملتمس . 46 ، التكملة 63 ، تذكرة الحفاظ 1355 ، شدرات الذهب 303/4 .
(123) التكملة 72 .
(124) التكملة 263 ، غاية النهاية 81/2 .
(125) التكملة 726 .
(126) التكملة 423 ، غاية النهاية 334/2 .
(127) البغية 325 ، التكملة 494 — 497 ، شدرات الذهب 307/4 .
(128) التكملة 529 .
(129) التكملة 651 ، غاية النهاية 471/1 .
(130) التكملة 89/1 طبع مصر جدوة الاقتباس 71 بغية الوعاة 139 الاعلام لعباس بن ابراهيم 93/1 .
(131) التكملة 498 .
(132) الذيل والتكملة 177/4 ، جدوة الاقتباس 86 ، والرسالة المستطرفة 118 .
(133) البغية ص 103 ، التكملة 271 ، زاد المسافر 109 .

110 ــ ابو عبد الله محمد بن الحسن بن ابراهيم الانصارى ، المعروف بابن بداوة ، سمع من ابى بكر المسلسلات من جمعه ، وكان من ابرع الناس خطا ، واجودهم ضبطا . (ت 598 هـ) (134) .

111 ــ ابو الحسن على بن عتيق القرطبى ، شيوخه ينيفون على (150) شيخا ، وكان بصيرا بالقرآن والحديث . (ت 598 هـ) (135) .

112 ــ ابو العباس يحيى بن عبد الرحمان بن عيسى القرطبى ، ويعرف بالمجريطى ، ولى قضاء جيان ومرسية وغرناطة ، ثم قرطبة ، وكان معدودا فى رجالها ، وذوى النباهة فيها ، مع الجزالـــة والعدالة وايثار الحق . (ت 598 هـ) (136) .

113 ــ ابو الحسن عقيل بن محمد بن احمد الخولانى الباجى، ويعرف بابن المقل، تصدر للاقراء بشلب وخطـــب بهـــا (137) .

114 ــ ابو محمد عبد الله بن اسماعيل بن فرج بن الزهرى بن العطار الاودى ، من أهل سرقسطة ، سكن قرطبة ، وكان شديد العناية بلقاء الشيوخ والرواية عنهم (138) .

115 ــ ابو محمد عبد الله بن اسماعيل بن مفرج بن سعادة ، من اهل اشبيلية ، نزل تلمسان ، سمع من ابن العربى ، واجاز له مؤلفاته ، كان مقرئا فاضلا ، محدثا ضابطا (ت 600 هـ) (139) .

116 ــ ابو على الحسن بن على بن خلف الاموى من اهل قرطبة ، سكن اشبيلية ، وكان ميـــالا الـــى الادب ، خطب ببعض جهات اشبيلية . (ت 602 هـ) (140) .

117 ــ ابو زيد عبـــد الرحمان بن محمد بن يحيـــى الغمارى ، من اهل الجزيرة الخضـراء ، واصله من بلاد غمارة بشمال المغرب ، روى عن ابى بكر بن العربى واستظهر عليه موطأ مالك واجاز له ، وكان من الحفاظ اهل العلم والعمل ، كف بصره وهو ابن اثنتى عشرة سنة حدث الناس عنه ، وسمعوا عليه الموطا بلفظه ، وكان يوردها من حفظه ويقول : هكذا كنت اعرضه على ابى بكر بن العربى . توفى سنة اثنتين أو ثـــلاث وستمائـــــة (141) .

118 ــ ابو العباس احمد بن محمد بن احمد بن مقدام الرعينى من اهل اشبيلية ، كان من الادب والزهد بمكان ، اخذ الناس عنه كثيرا . (ت. 604 هـ) (142) .

119 ــ ولعل آخر من حدث بالسماع عن ابن العربى ، ابو بكر محمد بن على بن عبد الرحمان بن حسنون الحميرى الكتامى ، من اهل بياسة ، تولى قضاء بلده ، وكان صاحب الصلاة والخطبة بها ، تصدر للاقراء والسماع حياته كلها ، وكان مقرئا جليلا ، ماهرا ضابطا مجودا ، عالى الرواية ، عمــر واســن حتـــى ضعـــف عـــن الكتابـــة . (ت 604 هـ) (143) .

120 ــ وآخر من حدث عنه بالاجازة ، ابو الحسن على بن أحمد بن عيسى الغافقى الشقورى نزيل قرطبة ، اجاز له ابن العربى سنة (539 هـ) رحل الناس للاخذ عنه لعلو سنده ، وكان ثقة صالحـــا . (ت 616 هـ) (144) .

---

134) التكملة 275 ، الذيل والتكملة 159/6 .
135) التكملة 674 ، غاية النهاية 1/
136) التكملة 726 .
137) التكملة 694 .
138) الذيل والتكملة 181/4 ــ 182 .
139) التكملة 284 .
140) التكملة 20 .
141) التكملة 581 .
142) غاية النهاية 104/1 ، شذرات الذهب 12/5 .
143) التكملة 289 ، شجرة النور الزكية 136 .
144) التكملة 677 ، شجرة النور الزكية 136 .

وقد الف ابن الابار معجما فى اصحاب ابن العربى على غرار معجمه فى اصحاب الصدفى ، والاسف ان هذا المعجم ، يعتبر مفقودا الى الآن .

ومهما يكن فان هذه الجمهرة من مشاهير تلاميذه، والوفرة الكاثرة من اصحابه ، تدلنا على مدى سعة شهرته فى الآفاق ، وبعد مكانته العلمية التى شرقت وغربت ، مما اثار ضغينة الحاقدين والقاصرين عليه ، وكأنى به — وهو يردد مع ابى الطيب المتنبى :

ازل حسد الحساد عنى بكبتهم
فانت الذى صيرتهم لى حسدا

فالى ان نلتقى به فى معركة حامية الوطيس مع فقهاء عصره ، — فى عدد قادم بحول الله .

تطوان — سعيد اعراب

● اقرأ في العدد السادس بحول الله :

صفحة من تاريخ العلاقات المغربية الجزائرية

يكتبها شاعر المغرب العربي الكبير :
الأستاذ مفدي زكرياء

على هامش الاجتماع الأخير لوزراء خارجية الدول الاسلامية :

لماذا «السارية المفعول»

للأستاذ أحمد زياد

انعقد اخيرا ـ كما هو معلوم بمدينة طرابلس ـ الاجتماع الدوري لوزراء خارجية الدول الاسلامية حيث تبودلت الآراء واتخذت القرارات والتوصيات التي تمس مواضيع مختلفة من شؤون العالم الاسلامي على مختلف الاصعدة والدرجات ، وكلما التأم جمع من هذا القبيل او ندوة من الندوات التي تعنى بشؤون هذا العالم في شتى الميادين الا ووجد المجتمعون انفسهم امام تحديات لا بد وان يواجهوها اليوم مثلما واجهوها بالامس القريب والبعيد ؛ واذا كان البعض من هذه التحديات ينتمي الى خارج العالم الاسلامي فان البعض منها ـ ولعله الاهم ـ ينبع من داخل العالم الاسلامي نفسه ومن قلب مجتمعاته ، وعلى مستوى قيادته ووجهته واساليب مسيرته ، في عالم يعوج ويموج وعلى التوالي بانواع من التحديات.

فمنذ ما يزيد على اربعين سنة اصدر المرحوم المجاهد الامير شكيب ارسلان ، كتيبه الصغير في حجمه الضخم بمضمونه : «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » .

والامير شكيب ارسلان كان رحمه الله عبارة عن موسوعة علمية كما تشهد على ذلك تعاليقه وشروحه التي اصبحت تفوق النص والمتن في كتاب « حاضر العالم الاسلامي » للكاتب العربي عجاج نويهض ، ومؤلفه المفيد الشيق والممتع « الحلل السندسية» وذلك بالاضافة الى ثقافته الاجنبية الواسعة التي فتح بها واجهة اخرى في جبهات نضاله وكفاحه عن طريق اصداره مجلة « الامة العربية » في سويسرا باللغة الفرنسية ، وهو نضال وكفاح تحتم علينا خصلة الوفاء بهذه المناسبة الاعتراف لصاحبه بحظ المغرب الوافر منه ، ذلك ان الامير شكيب أرسلان رحمه الله كان في طليعة الزعماء والمفكرين الذين وقفوا الى جانبنا بالمؤازرة والمناصرة خلال محنة الظهير البربري وما تلاها من خلفيات.

وتتلخص أجوبة الامير على سؤاله العريض في ان الاسلام دين حضارة وتطور واشراق وهو وحده الدين الذي يستطيع ان يكبح جماح التقدم المادي حتى لا ينقلب الانسان الى آلة صماء لا تختلف عن الآلات الاخرى التي يصهرها الحديد وتصوغها المصانع والمعامل ، فهو دين التوجيه والتهذيب والتفتح الفكري والتطور الحضاري بقدر ما هو عبارة عن تعاليم تتآلف وتتآلف كذلك من الانضباط الذي يتسم بالحزم والصرامة حيال كل هيمنة غريزية تستدرج الانسان نحو أعراف الحيوان وعوائد الغابات .

ولهذا فان الاسلام لم يعد في حاجة الى الاشادة بمبادئه والتفاخر بها والاستشهاد بآراء جوستاف لوبون وبرناردشو الا ير لندى وجوته الالماني وكارليل الانجليزي وغيرهم من الكتاب والمفكرين الاجانب الذين تعاطفوا مع الاسلام كمبدا وعقيدة .

ولقد تعلمنا نحن قبل ، وعلمنا ابناءنا فيما بعد « أن المرء من يقول ها انذا ، وليس المرء من يقول كـــان أبـــي » .

ولئن كانت الاربعون سنة او تزيد التي اصبحت تفصلنا عن صدور كتيب الامير شكيب ارسلان وسؤاله العريض : « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » قد جد ما جد فيها من حوادث واحداث وملابسات ومعطيات جغرافيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا فان ذاك السؤال العريض ما يزال مطروحا لحد الآن وحتى هذه الساعة .

والواقع انه منذ عهد المصلح ابن تيمية الى عهد عبد الرحمن الكواكبي مرورا بجمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، والوضع فى العالم الاسلامي موضوع اخذ ورد تتوالى نقط عديدة من علامات الاستفهام حول ما يئن تحت وطاته هذا العالم من متناقضات وعراقيل ومعوقات كان من شأنها ان حالت فيما بينه وبين تحقيق التوازن بين كميته العددية وسعة رقعته الجغرافية وامكانياته المادية ، وبين دوره كقوة عالمية على المستوى الدولي كان ولا بد من ان يكون لها تأثير يتناسب مع كميتها العددية وسعة رقعتها الجغرافية وامكانياتها المادية .

ومع ما فتىء يطرا على العالم الاسلامي من تبديل وتغيير فى ملامحه جغرافيا واجتماعيا واقتصاديا فان « لماذا » هذه التي كادت ان تصبح تقليدية تظل سارية المفعول . فلماذا ظلت «لماذا» هذه موضوعة على الساحة الاسلامية وسارية المفعول ؟ لقد قيل فيما قيل وروى فيما روى ان الشاعر الالماني جوته اطلع على ترجمة لبعض آيات من القرآن الكريم ثم عقب بقوله : « اذا كان هذا هو الاسلام فهؤلاء المسلمون ليسوا بمسلمين ، واذا كان هؤلاء هم المسلمون فليس هذا هو القرآن » .

وسواء صحت هذه القولة ام لا ، فان مشكلة السلوك فى العالم الاسلامي وخصوصا على مستوى القيادات الاسلامية هي التي تكون المعضلة المتاصلة والآفة المزمنة فيما عاناه ويعانيه العالم الاسلامي من بسطة فى الكم وانخفاض فى الكيف وضعف فى التأثير والنفوذ كانت حصيلته ما تعرض وما يزال العالم الاسلامي يتعرض له من مكايد وتآمر واضعاف واستضعاف .

على انه اذا كان لرواسب الصليبية والهيمنة الاستعمارية ادوارها المباشرة والغير المباشرة فى تقليص الوجود الاسلامي على الساحة العالمية بكيفية لا توازي حيزه على الرقعة الجغرافية ، فان مسؤولية السلوك الاسلامي على المستويين القيادي والجماهيري تبعا لذلك لا ينبغي التغاضي عنها فبالاحرى اهمالها او محاولة اخفائها والتستر عنها لمجرد ارضاء نزعة « الكبرياء العاطفي » الصرف ، بل انه يصح القول ان هذا الكبرياء العاطفي يكون فى حد ذاته جانبا من جوانب السلوك الاسلامي الذي لا بد وان يوضح حظه في مسؤولية الضعف والاستضعاف ، وفى ديمومة « لماذا » التي ما تزال سارية المفعول ، ومن غير ما ان نتعمق فى عهود الماضي وسنواته وما تعاقب خلالها من تطور سلبيا وايجابيا على العالم الاسلامي . فانه يحسن حصر معضلة السلوك الاسلامي فى مرحلته الحالية التي هي بدون شك تنتمي بحكم هويتها الى ما سبقها من مراحل اخرى .

ان العالم الاسلامي ما يزال مصنفا فى بلدان ما اصطلح على تسميته بالعالم الثالث ، مع انه من حيث قوته العددية واستراتيجية الجغرافية وامكانياته من المواد الاولية يمكن ان يكون قوة ثالثة عظمى ، وبمثل اقل تعقيدا واكثر بساطة فان عدد المسلمين فى العالم يساوي سبعمائة مليون واليه تنتمي معظم بلدان منظمة الاوبيك التي تقبض بناصية الطاقة فى العالم كله بينما تنتمي اليه بلدان اخرى تمتلك مادة الفوسفاط والاورانيوم وغيرها من المواد الاولية هذا العالم بقضه وقضيضه وبعدده الضخم ورقعته الجغرافية الممتدة عبر الكوكب الارضي ما يزال عاجزا عن تحقيق حقه المشروع فى استعادة مسجد الاقصى فى القدس .

كما انه ما يزال غير قادر على استعادة ما انتزع من اراضيه فى فلسطين المحتلة.

وبالمقابل فان عدد اليهود فى العالم كله لا يتعدى ثلاثة عشر مليونا ونصف المليون لا يوجد فى فلسطين منهم سوى مليونين بينما هم مقطعون ـ بلغة القرءان «فى الارض امما» ستة ملايين فى الولايات المتحدة ومليونان ونصف فى الاتحاد السوفياتي فى حين ان فرنسا والمملكة المتحدة تقتسم فيما بينهما مليونا ونصف المليون منهم .

ويجب التنبيه على اننا لا نرمي من وراء ضرب هذا المثل الى غاية دينية او عرقية ، ذلك اننا نرفض ان نضع ما يسمى بالنزاع العربي الاسرائيلي في مثل هذا الاطار ولسبب بسيط هو : انه لا عصبيـــة في الاسلام ، ثم انه اذا لجأنا الى هذه المقارنة فلانها اقرب في فهم معضل « لماذا » تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ، لماذا هو مردود ثلاثة عشر مليون ونصف المليون اكثر على الساحة العالمية تأثيرا ونفوذا من مردود 700 مليون مسلم وملايين اخرى من العرب ؟ مع ان المسلمين هم الذين يقول قرآنهم الكريم : ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكون منكم الف يغلبوا الفين» ، لماذا ؟؟

ان القرآن حينما نعت العشرين الذين يغلبون المائتين بالصابرين ، لم يكن يقصد مجرد المداول اللغوي لكلمة « الصابرين » بل كان يعني بعدها الخلقي والسلوكي ، فالصبر هنا يرادف الاستقامة التي تعني فيما تعنيه من مفاهيم : التضامن والتكافل والتلاحم، والتضامن والتكامل والتلاحم هي خصائص لا ينبغي لها ان تكون مجرد شعارات وقوائم ودعاءات ، بـــل يجب ان يشخصها سلوك اسلامي وبشقيه الروحـــي والمادي على السواء ، الروحي الذي يجسم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمـــى » .

والمادي الذي لا يقوم على مجـــرد قاعـــدة « المصالح المشتركة » التي كان تشرشل يقيم بهـا العلاقات فيما بين الدول فيقول : « ليست هنالـك صداقات دائمة ، ولا عدوات دائمة وانما هي مصالح دائمــة» .

الاسلام لا يقر فيما بين اهله المصالح الدائمة ، وانما هو يوصي بعلاقات الاخوة والتماسك والتكامل، وبلغة العصر يوصي بعلاقات التخطيط المشتـــرك والتكامل الاقتصادي والمواقـف الموحدة التـــي لا تعتمد على مجرد المصالح ، وانما على اساس التعاطف الوجداني الذي هو وحده الكفيل بتحقيق عناصـــر القوة والمناعة والتوعية لكمية العالم الاسلامي .

ولا يعيب المسلمين في شيء الاعتراف بما هو موجود في سلوكهم من اعوجاج هو في حاجـــة الى تقويم ، وانما العيب وكل العيب هو التغاضي والاهمال والانقياد لنزعة « الكبرياء العاطفي » ومن غير شـــك فانه قد آن الاوان لتغيير خطة التبشيـــر بمبادىء الاسلام وتحويلها من مجرد نظريات تبرز محاســـن الاسلام الى حركة تبشير وتوعية بالسلوك الاسلامي .

وبتقويم ما هو كامن فيه من اعوجاج ، ولـــن يتحقق هذا التحول الا بادخال أساليب عملية وفعالة على تكوين الانسان العربي في هذا العالـــم وطبقـــا لمقتضياته وظروفه وملابساته ، الانسان المسلـــم يحتاج الى تكوينه كفرد ، ثم الى تكوينـــه كجماعـــة وشعب وكمجموعة تربط فيما بين اجزائه روابـــط يومية لا روابط وقتية وموسمية في اغلب الاحيان . وكما ان مجرد النظريات المكتوبة والمدروسة لم تعد بكافية في تقوية ودعم الكيان الاسلامي على الساحـة العالمية ، فان المؤسسـات التـــي تستحدث مـــن مؤتمرات وندوات ووكالات على اختلاف مهماتهـــا لا تستطيع اداء مهمتها ما لم تعززها برامج عملية تتناول سلوك الفرد المسلم بداية من انتمائـــه العائلـــي الى انتمائه الاسلامي الممتد عبر هذا الكوكب الارضي .

واذا كان امرا حتميا على العالم الاسلامـــي الا يتقوقع على نفسه ويتفتـــح عـــلى العالـــم كلـــه ليأخـذ بالاسباب التقدم المادي فان هذا التطلع لا ينبغي له ان يجعل من الانسان المسلم مادة قابلة للذوبان في محيط هذه البيئة التقدمية ذات الاشعاع التكنولوجي الذي يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ، فليس بعزيز على العالم الاسلامي ان يبلور ما يكتسبه من معالـــم التقدم والتكنولوجية ويصبه في قوالب اسلامية مثلما فعل اسلافه مع تراث الفرس واليونان والرومان ، على ان مفتاح السر لا تكمن فقط في اكتساب وسائـــل التقدم وانما يكمن قبل ذلك واكثر من ذلك في بنـاء الانسان العربي وتكوينه كفرد وأسرة وشعب ليتكامل فيما بعد ذلك على الساحة الاسلامية الواسعة الارجاء، وهو في وضع متماسك قوي يمكنـــه من مواجهـــة التحديات ومصارعتها بعقله وروحه وسلوكه الـــذي تنضبط فيه الاقوال بالافعال ، ومهمة تكوين كهذا يكاد من المستحيل ان يضطلع بمسؤولياتها الضخمة مجرد الوعظ والارشاد وخصوصا حينما يتسمان بالجمود والرهبانية التي لا محل لها من الاعراب بنص مبادىء الاســـلام .

فالمدرسة والبيت والشارع والنـــادي ومـــا يضبطها ويوثقها من برامج هادفة وواضحة هي التي تكون مجتمعة اصول تكوين الانسان المسلم ذلك ان كل انواع الانخفاض في مستوى الانسان الاسلامـــي

اجتماعيا واقتصاديا وفكريا تعتبر نتيجـة حتميـة لانعدام التخطيط والتوجيه بطرق جدية وأساليـب جدية ، وسيظل السلوك القيادي على مستوى كافة المسؤوليات الموجهة فى البلدان الاسلاميـة هـو الاسوة الصالحة او الطالحة التي لا بد وان تكون لها انعكاساتها المباشرة والغير المباشرة على مستوى الجماهير الاسلامية ، وليس بالامر الجديد القول بأن اغلبية الدعوات الاصلاحية الرامية الى الرفـع من شأن الاسلام والمسلمين كانت تهتم بالشكل أكثر مما تهتم بالجوهر ، كانت تغفل دور الانسان العربي كفرد فى مجتمعه فى حيزه الجغرافي المحلي وكامتـداد للمجتمعات الاسلامية الاخرى التي تجمع فيما بينها هذه الروابط الروحية على اختلاف اسمائها .

وهكذا يبدو كيف ان بناء الانسان المسلـم وتكوينه يعتبران اللبنة الاولى فى صياغة مجتمعات اسلامية قادرة على مواجهة التحديات التي ما فتئت تطاردها وتصورها لبقية العالم على انها لا تريد على كونها مجتمعات « كمية استهلاكية » وذلك بالرغم عما تتوفر عليه من امكانيات مادية وبشرية ، وبما ان الشيء بالشيء يذكر فانه لا بد من الاشارة الى مـا ورد فى الاثر من ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تناكحوا تناسلوا فاني مباه او مفاخر بكم الامم » ؛ ومن الخطأ البين والفادح الاعتقاد بأن « المباهـاة والمفاخرة » التي يعنيها هذا الاثر انما هي مباهـاة ومفاخرة بالكمية العددية ، فهذا ما لـم يقصـده الحديث بكل قطع وجزم ، لان الاسلام فى أول رسالته كان اولا وقبل كل شيء رسالة ترتكز على الكيفيـة اكثر مما ترتكز على الكمية ، وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، تعنى عشرين من الاكفاء لا مجرد عشرين من الكسالـى المستهلكيـن الغيـر المنتجيـن .

فالاسلام دوما وأبدا كان يقوم على أساس الكيفية والنوعية ثم العددية فيما بعد ذلك ، فأبطاله البارزون فى الحروب ومفكروه فى مختلف ميادين العلـوم والعرفان كانوا يرمزون الى مبدأ « الكيفيـة قبـل الكمية » والمسلمون ساروا وتقدموا يوم ان كانـوا منتجين ثم تخلفوا بعد ما اصبحوا مجرد مستهلكيـن وعدديين ، وهذه الحقيقة ستظل ثابتـة وسيبقـى حكمها هو القول الفصل الفاصل فيما بين حالتـي التأخر والتقدم ، ولن تنمحي «لماذا» تأخر المسلمون وتقدم غيرهم السارية المفعول ، الا باستيعاب هذه الحقيقة والتسليم بها ودمجها دمجـا فى السلـوك الاسلامي لتكيفه بكيفيتها وحتميتها .

وهذه الحقيقة الاصلية تتفرع عنها حقيقة اخرى وهي ان عالم اليوم عالم اقتصاد بالدرجة الاولـى ، اقتصادي بكل ما يعنيه مدلول الكلمة من مواد أولية، وكفاءات بشرية ، وهذا الباب هو الذي يجـب على العالم الاسلامي اقتحامه بثقة وتضامـن وتخطيـط ومعرفة ودراية قبل ذلك ، اذ هو باب المستقبـل المنظور على الاقل ، ولن يعدم العالـم الاسلامـي الوسائل التي تمكنه من أخذ مكانته التـي تناسـب استراتيجيته الجغرافية وامكانياته المادية ثم قيمته العددية ، فهو يمتلك بالفعل أهم الوسائل ، الا انـه لا بد من حسن تدبيرها ، ويبقى مبدأ التخطيط المحكم هو المفتاح الآخر الذي يكون معه العالم الاسلامي قد اتى البيوت من أبوابها . وهنالك نوعان من الامكانيات التي تجعل العالم الاسلامي مجهزا بما ينبغي لمواجهة التحديات النوع الاول هو الثروات الوطنية التـي تتوفر عليها اراضيه وهذا النوع لا يكفي فيه ان يكون ملكا وثروة بل لا بد من توفر عنصر « حسن التدبير » الذي يعتبر بدوره جزءا لا يتجزأ من حسن السلـوك الاسلامي المطلوب ، وهذا الشرط الاخير ، يندرج فى خطة المراجعة الجذرية للمجتمعات الاسلامية على ضوء وضع جديد يكون من شأنـه فرض الوجـود الاسلامي على الساحة الدولية وبالتالي الاستماع الى رأيه بدون عدم مبالاة وبدون سخرية او ازدراء كمـا كان الشأن وما يزال .

وبما ان حسن تدبير أمر الثـروات يقتضـي اكتساب الخبرة والمهارة فان العالم الاسلامي مطالب بأن يكتسب الخبرة والمهارة من أي كان مصدرها على اعتبار أن : « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها حيـث يجدها » الا انه لا ينبغي بأى حال من الاحـوال ان يؤدي اكتساب الخبرة والمهارة الى نوع من التبعية الاقتصادية او الغزو الاقتصادي الذي يتقمص حللا تكنلوجية ، بل ونحـن فى هذا الباب السيـر على نفس المنوال الذي سارت عليه اليابان فى دربهـا الطويل لاكتساب الخبرة والمهارة وهو منوال بقيت معه الشخصية اليابانية على شرقيتها وذاتيتها بعد ما تمكن اليابانيون من النجاح فى عمليـات الاقتبـاس والاستيعاب لمختلف انواع التكنلوجية كانت خاتمـة المطاف فيها هي هذه القدرة الانتاجية التي أصبحت اليابان تتمتع بها وتزهو بها حتـى على أساتذتهـا ومحتليها السابقين .

ونحن اذ نقوم بعملية مسح جغرافي وجيولوجي واقتصادي لبلدان العالم الاسلامي فاننا نخرج بالوقائع التالية :

اولا : ان العالم الاسلامي يتمتع عبر البحار القارات بمواقع استراتيجية ممتازة وحساسة في نفس الوقت .

ثانيا : ان بعض بلدانه تتوفر على ثروات ومواد اولية من بينها البترول الذي يتحكم الآن في تكيف الاقتصاد العالمي وتقرير مصيره .

ثالثا : ان العالم الاسلامي تتجاذبه تيارات مختلفة النزعات .

رابعا : ان اغلبية المجتمعات الاسلامية ما تزال تعاني من انخفاض تختلف درجاته .

ان تصنيف هذه النقط الاربع والربط فيما بينها وتحديد دور كل واحدة منها هي مضمون المخطط الذي سبق وان اشرت اليه ، وهو تخطيط يجري اعداده على مستوى كل بلد اسلامي على حدة ، ثم على مستوى البلدان الاسلامية كمجموعة . وانه لمما يبعث على الدهشة والاستغراب ان تتفق التكتلات في نطاق بلدان لا يجمع فيما بينها سوى روابط تاريخية قديمة مهلهة في اكثر جزء منها او مصالح اقتصادية متبادلة او ايدلوجيات حديثة في حين انها تنعدم او تكاد في نطاق العالم الاسلامي ، وحتى ولو وقعت فانها لا تتعدى عمليا اطارها العاطفي والشاعري الصرف ، في حين ان اصول الروابط في العالم الاسلامي تعتبر اجذر وامتن واشد استعداد وتلقائية من غيرها ومن اجل ذلك بقيت « لماذا » السارية المفعول هي هي .

ان في وسع العالم الاسلامي بحكم امكانياته الحالية ان ينصرف في النضال الى واجهتين اثنتين وان يركز كل جهوده وطاقته في خنادقهما — ان صح هذا التعبير — ، الاولى : واجهة التنمية الاقتصادية على مستوى كل بلد اسلامي ، ثم على المستوى الاقليمي الجغرافي وبعد ذلك على مستوى العالم الاسلامي ككتلة ومجموعة ، وهي تنمية ستؤدي في خاتمة مطافها الى نوع من التكامل الاقتصادي العلمي الذي يزن المسافات قبل ان يشرع في الخطو عبرها. وعلى بلدان العالم الاسلامي ان هي ارادت ان تبدل بقية العالم نظرتها التقليدية اليها ان تخرج بالعنصر الاقتصادي في مخططاتها من « الادبيات والعنتريات » فلن تتفق الا على ما تستطيع انجازه وتنفيذه أو على الاصح ما تسلم المقاييس العلمية من جهة والخصوصيات البيئوية والاجتماعية من جهة أخرى بصحته وسلامته.

اما الواجهة الثانية فهي واجهة الاعلام ، نعم الاعلام الاسلامي الذي يستطيع ان يخترق الحصار المضروب عليه من طرف خصومه واعدائه على السواء ، وانا لا اشك بانه قد أصبح في الامكان الآن استثمار البترودولار في وسائل الاعلام عبر مختلف انحاء العالم وفي مواقعه الستراتيجية بشكل خاص، ان الحصار المضروب على العالم الاسلامي والعربي في الميدان الاعلامي وتقديم هذا العالم في صور مشوهة ومفرضة وحاقدة ومدسوسة على اقل تقدير، وبالطف تعبير ، يكون الحلقة الاولى في سلسلة تطويقه وخنقه ، كما ان خصوم العالم الاسلامي ومناهضي انبعاث قوته يستثمرون اموالهم في ميدان الاعلام العالمي بنفس الاهمية التي يستثمرون بها في مختلف الميادين الاقتصادية والتجارية ، ومعنى ذلك ان الظروف الحالية الدولية بكافة معطياتها تحتم على العالم العربي والاسلامي ان يتحارب بنفس الاسلحة التي تستخدم ضده والا بقيت « لماذا » تأخر المسلمون وتقدم غيرهم سارية المفعول .

فاذا سارت خطة التنمية الاقتصادية والتوعية الاجتماعية التي تكون قادرة على صياغة سلوك الانسان المسلم في قالب جديد ، وتكوينه روحيا وماديا في شكل متوازن مع تحقيق التكامل الاقتصادي فيما بين البلدان الاسلامية كلما توفرت العناصر العلمية لهذا التكامل .

اقول انه اذا سارت خطة التنمية هذه جنبا الى جنب مع ما يجوز تسميته «بالاستثمار والتوسع الاعلامي » فان الطريق سيصبح مفتوحا امام العالم الاسلامي وبكيفية علمية وعملية ، ليصبح قوة يحسب لها حسابها وتكون في نفس الوقت قادرة على القيام بدورها الحضاري والتأثير في مجريات الاحداث حتى لاتظل وسائل الاعلام المعاصرة تتحدث عن العالم الاسلامي وشؤونه اما باسلوب الف ليلة وليلة ، واما بأسلوب الاستهانة بقوة هي موجودة حقا الا انها تعتبر متفتتة وغير قابلة للالتئام ، وعلى وسائل الاعلام الاسلامي ان تجعل من مهمة التبشير بالدعوة الاسلامية مهمة ترتكز على سلوك اسلامي متواز في قاعدته وقمته وفي أساليب تكوينه وتربيته .

ويومئذ قد يزول مفعـــول « لماذا » تأخـــر المسلمون وتقدم غيرهم التي ما تزال سارية المفعول الى يومنا هذا ومع ما يحز في النفس من اسى واسف وحسـرات أتمنى ان يكون هذا اليوم قريبـــا وليس بالبعيـــد .

ومن الاكيد ان هذا اليوم لن ياتي الا اذا كيف المسلمون سلوكهم عمليا « لا كتابيا وشفاهيا » فقط بحكم الآيتين الكريمتين القائلتيـــن : « واعتصمـــوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

فبنيان الانسان المسلم بنيانا اجتماعيا رصينا ومتينا وباستثمار الثروات الوطنية وتوزيعها توزيعـــا عادلا وبتكاملها عبر الوطن الاسلامي الكبير .

وبفرض الوجود الاسلامي الفعلـــي على طـــول الساحة الدولية وعرضها وبالوسائل التي ذكرناهـــا آنفـــا .

وبالانضباط الروحى الصقيل .

انه بكل ذلك وبما لا بد منه من ذلك نستطيـــع ان نعطي المدلول الصحيح والعلمي للآية الكريمة :

« كنتم خير امة اخرجت للناس » والا فستبقى « لماذا » التي وضعها الامير شكيب أرسلان منـــذ أزيد من اربعين عاما سارية المفعول .

الرباط : أحمد زياد

من موضوعات العـــدد السادس

- ملامح من تطور المغرب العربـــي فى بدايـــات العصور الحديثة : للاستـــاذ محمـــد المنونـــي
- الاسلام طوق النجاة من طوفان الانحراف المعاصر للاستاذ محمد العربـــي الزكـــاري
- الاختيار الديبلوماسي المغربي : للاستـــاذ زيـــن العابديـــن الكتانـــي
- أضواء على عظمة بطل الاستقلال سيدي محمد الخامـــس : للدكتور عثمان عثمان اسماعيـــل

أبواب الموحدين برباط الفتح

للدكتور عثمان عثمان اسماعيل .

اولا : تطور بناء الاسوار والابواب عند الموحديـن :

اســوار المـوحديـن :

فاذا بدانا بالاسوار نستطيع القول بان اسوار الموحدين قد نسجت على منوال الاساليب المرابطية من حيث البناء بقطع الحجر الكبيرة غير المنتظمة اى غير المنجورة تتخللها قطع مستوية من حين لآخر تنتظم بها سطوح المداميك ، الامر الذى شاهدناه فى قلعة آمرجو المرابطية من منتصف القرن السادس الهجرى .

ثم تلى ذلك استعمال الحجر غير المنجور بارتفاع قامة الرجل تبدأ فوقه التابيه (البتن المغربي) الى نهاية علو السور المطلوب كما حدث فـى اسـوار تنمل .

كما تتميز مرحلة ثالثة فى تاريخ بناء الاسوار عند الموحدين وهى مرحلة البناء بالتابية بعد زيادة نسبة الجير فى تركيبها ووصولها الى اكبر درجة من الصلابة فى تاريخ التابية المغربية ، وبهذا بنيت اسوار مراكش ومثلها اسوار رباط الفتح .

واصل التابية (BETON) المغربية التـى يسميها الفرنسيون خطا (PISE) اى الطين ، من خصوصيات المعمار المغربى القديم وخاصة بالجنوب وتجهز التابية بخلط الحمرى والجير وعقـاد الجيـر وكسرات الفخار والحجارة الصغيرة او الصم (الزلط) وتعجن بالماء وتخمر لمـدة معلومـة قبـل صبهـا فى حواجز خشبية تقام فوق التخطيط الارضى وتحدد شكل وحجم الحائط المطلوب بناؤه .

وكل ما جاء به التطور الحديث فى التقنية المعمارية لا يتجاوز استبدال الحمرى بالرمل والجير بالاسمنت ثم اضافة الحديد فيما يسميـه المعماريـون بالبتـن المسلح *BETON ARMÉ* وهكذا كانت التابية عبارة عن البتن المغربى القديم قبل دخول التسليح بالحديد فى العصر الحديث .

ان بحث الموحدين عن اساليب جديدة لتقوية صلابة التابية تكشف عن نواياهم العمرانية ورغبتهم الملحة فى سرعة الانجاز والاقتصاد فى النفقات مع الصلابة التى تقاوم الزمن فيما اقدموا على تشييده من اسوار وجدران وحصون ومؤسسات ضخمة .

الابــواب :

وعلى الرغم من اتجاه الموحدين نحو بناء الاسوار بالتابية ، غير ان الابواب الموحدية حظيت دائما باستعمال الحجارة المنجـورة (TAILLÉ) منتظمة الشكل .

وكانت الابواب فى العمارة البيزنطيـة عبارة عـن فتحة فى الجدار ذات عقد امامى تجاه ظاهر المدينة وعقد آخر خلفى فى اتجاه مباشر نحو الداخل . وعندما

جاء المرابطون استعملوا هندسة لتحقيق الهدف الدفاعي الذى لم يكن كافيا فى تصميم الابواب البيزنطية .
وانطلاقا من تلك الفكرة استفاد المهندسون فى عصر الموحدين الذين ضاعفوا هذه الظاهرة لزيادة حجم العراقيل وتكرار مراحل المعوقات والعقبات فى طريق المهاجمين ، وبهذا ابتكروا طريقة التخطيط ذى المنعطفات المرفقية المزدوجة الذى نراه اليوم فى مجموعة مبانى الموحدين الضخمة بابواب مدينة رباط الفتح)اللوحة 1) .



اللوحة رقم (1)

تخطيط اسوار رباط مدينة الفتح ، وتظهر بالشمال الاعلى قصبة الوداية جنوبها (المدينة) ثم بقية اتساع رباط الفتح واسوارها ومواقع الابواب الموحدية بها واسفل ذلك جنوبا نرى اسوار موقع شالة الاثرى التى تضم الروضة المرينية على جزء من رقعة مدينة شالة العتيقة .

ثانيا : ابواب الموحدين برباط الفتح :
المميزات العامة

الواقع ان القرن السادس الهجرى قد اتحفنا بعدد وافر من الابواب الموحدية التى تدعو الى الاعجاب كباب الرواح وباب الوداية وباب الاحد وباب العلو وباب زعير بمدينة رباط الفتح بالاضافة الى باب اجناو بمراكش .

وتتركز قيمة تلك المجموعة من الابواب الضخمة التى تعكس لحسن الحظ الثراء المتنوع من حيث التخطيط والعمارة والتغطية والزخرفة ، فى ابراز شخصية وعبقرية المهندس والبناء المغربى اكثر من اى عصر واثر سابق .

1/ بامعان النظر فى التركيب الزخرفى لتلك الابواب الموحدية يتبين لنا بجلاء **المصاهرة المتينة والعلاقة** الوثيقة التى حققها الموحدون بشكل طبيعى مع هندسة المحاريب الاسلامية .

2/ **ومن ملامح تلك المجموعة المعمارية نلاحظ ان** الاطار المحيط بفتحة عقد الباب وزخارفه يزيد اتساعه عن ارتفاعه بالنسبة لما كان عليه سابقا) بحيث يكاد يكون الاطار مربعا تقريبا ابتداء من مستوى الارض الى قمة العقد .

3/ كما تتميز مجموعة ابواب الرباط الموحدية بفتحة رئيسية للقوس ذات عقود متعددة متتالية يغلق كل منها سابقه لتحقيق غرض معمارى يهدف الى تخفيف الحمل عن العقد الاصلى لقوس فتحة الباب وهو العقد الذى تخلو صنجاته دائما من اى اثر للزخرفة (اللوحة 2) . على اننا نرى فى

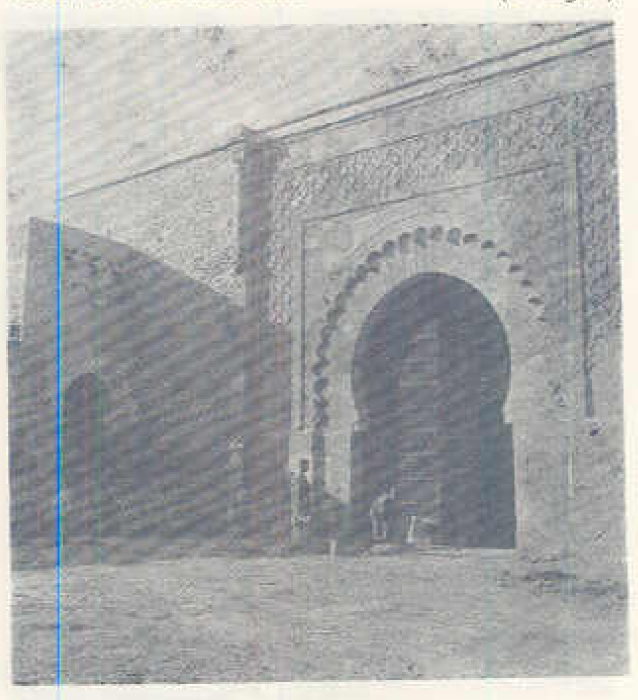


اللوحة رقم (2)

تفصيل الزخرفة المعمارية بباب الرواح ، وتبدو ظاهرة تتابع العقود بفتحة الباب والصنجات البارزة والعقد المزدوج المفصص والعنصر الثعبانى عند منابت العقود والزخرفة الزهرية فى البنيقات .

باب اجناو بمراكش اربعة صفوف متتابعة من العقود ذات الصنج، الاول والاخير يتالفان من صنج متناوبة بروزا وتراجعا والثاني والثالث عقدان مفصصان .

4/ وينحصر شريط الكتابة العربية والزخرفية بباب الرواح وباب قصبة الوداية في الواجهات المطلة على ظاهر المدينة في مساحة ضيقة . بينما تزيد تلك المساحة في الواجهات المطلة على داخل المدينة انسجاما مع المساحة المتاحة في كل من الجهتين ، لان واجهة المدخل الخارجية اقل اتساعا في المساحة بسبب حصر الواجهة الرئيسية للمدخل بين البروزين المحيطين بفتحة الباب بقصد زيادة الخطة الدفاعية في مقابلة اي هجوم خارجي ، في حين انه لا داعي مطلقا لوجود برجين يحيطان بالمدخل من الجهة الداخلية للمدينة الامر الذي اوجد مساحة فسيحة لشريط زخرفي عريض انتشرت فيه زخرفة المعينات المتجاورة (RESEAUX ALOSANGES (اللوحة 3)



اللوحة رقم (3)

الوجه الداخلي لباب الرواح شطر داخل المدينة ، وتتجلى سعة الشريط الزخرفي المحيط بجميع عناصر الباب وهو اوسع مساحة عن نظيره بالواجهة الخارجية للباب ، وهنا تظهر شبكة المعينات المتجاورة بالمساحة التي توفرت بعدم وجود ابراج حول الباب جهة المدينة .

5/ وجميع ابواب الرباط مداخل بارزة (MONUMANTAL) بمعنى وقوع فتحة الباب بين برجين ناتئين عن مستوى سور المدينة . وتتميز الابراج المحيطة بابواب الرباط بتخطيط مربع فيما عدا باب الاحد المشطوب الاركان على غرار باب شالة الغربي من عصر المرينيين .

(اللوحة 4 و اللوحة 5)



اللوحة رقم (4)

باب الاحد برباط الفتح ، مدخل بارز ولكن ابراج المدخل مشطوفة الاركان وليست مربعة التخطيط على النحو الذي نراه في باب الرواح وباب زعير وباب الوداية .



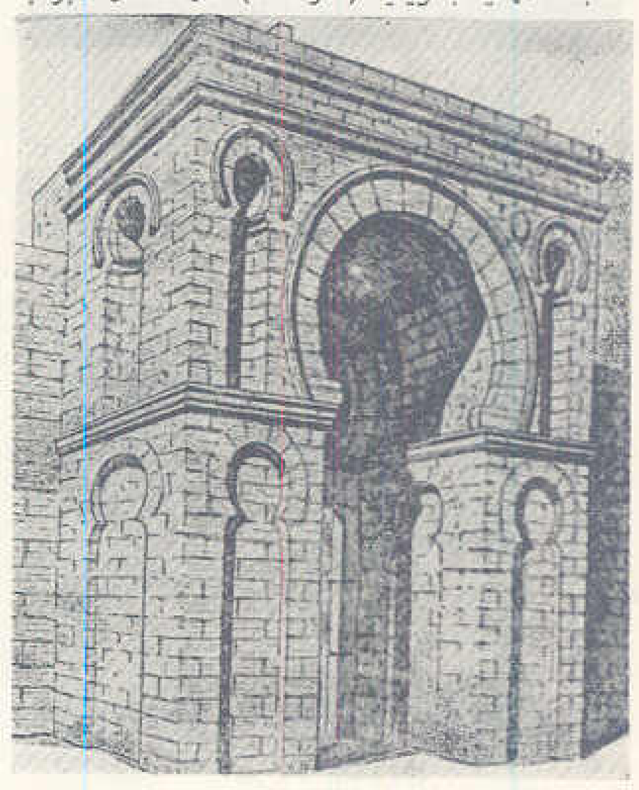
اللوحة رقم (5)

باب الرواح برباط الفتح ، الهيئة الخارجية وتخطيط البرجين المربعين البارزين عن مستوى الاسوار وهو تخطيط وعمارة ما يعرف في العمارة الاسلامية الاثرية بالمدخل البارز .

6/ كما تشترك تلك المجموعة المعمارية فى وجود العنصر الثعبانى)
عند منابت العقود واجهات الابواب ، وفى القسم العلوى فوق الاطار المربع المحيط بمجموعة عناصر الباب وسلسلة العقود يظهر بكل من ركنى الواجهة كابولى (console) عبارة عن نيوء اسفل الشرفة تستند اليه ، ويحمل الكابولى عمود رقيق باعلاه تاج منقوش دقيق .

ثالثا : التاثيرات والاصول التاريخية للعناصر المعمارية والزخرفية :

1/ الصنجات البارزة (claveaux en Relief) بباب الرواج التى تصنع دائرة قوس العقد تذكرنا بالشرق حيث تقدم العمارة العصرية السورية امثلة مشابهة تنوعت فيها الوان المواد .)اللوحة 5)
2/ يعتقد جورج مارسى ان التركيب العام لابواب الموحدين ومحاريبهم يستمد اصوله من جامع قرطبة بالاندلس . ويقرر كريسويل ان المدخل البارز مسجد المهدية بافريقية (اللوحة 6) كان مصدر الابواب



اللوحة رقم (6)

باب مسجد المهدية بافريقية (تونس) من عصر العبديين 303 هجرية وهو اصل المداخل البارزة التى ظهرت فى الاسلام شرقا وغربا .

البارزة فى عمارة العبديين بالقاهرة شرقا وعمارة الاسلام بالمغرب والاندلس غربا .
3/ تضاعف نظام الصنج ذات الفصوص يظهر بوضوح فى الفن الفاطمى بافريقية ومصر دليل الاهمية التاريخية لدور الموحدين فى الفتوحات الشرقية وتوثيق العلاقات الفنية واستلهام العناصر المعمارية والفنية التى بعثها الموحدون بالمغرب العربى والاندلس .
4/ فى بنيقات الابواب (les écoincans) تظهر زخرفة زهرية (Decor Floral) تشبه الورقة النخيلية(سعف النخيل)تذكر بالبالمت (Palmette) القديمة ، ولكنها تبدو هنا بفصوصها الاشعاعية عنصرا نباتيا اسلاميا يذكر القوقعة (coquille) التى عرفها الفن الاسلامى منذ عصر الخلفاء .

5/ حالة الشطف الوحيدة فى التخطيط الارضى لبرجى المدخل الظاهرة فى باب الاحد تحول هيئة البرج الى الشكل المثمن بدل البدنه المربعة من كل



اللوحة رقم (7)

الزخرفة المعمارية لابواب الموحدين برباط الفتح ، ويظهر العنصر الثعبانى بوظيفته المعمارية والزخرفية حيث يشغل الفص الاول من عقد فتحة الباب ، وهو من العناصر الثابتة فى الفن المغربى الى يومنا هذا ونراه فى ضريح محمد الخامس بالرباط .

جانب ، وقد ظهرت هذه الظاهرة فيما بعد بعمارة الرباط فى باب شالة الغربى الكبيــر مـن عصـر المرينين ، ونذكر بشطف ركن واجهة المسجد الاقمر بالقاهرة من اواخر عصـر الفاطميين التـى وضـع باعلاها مقرنص مقلوب يعيد المثمن الى مربع ، كمصدر مباشر لنظيره فى باب شالة المرينى .

6/ انتشار العنصر الثعبانى او العنصر الملفوف Surprentiform (اللوحة 7) عند منابت العقود بابواب الموحدين كان تطورا لمثال اول Prototype) ظهر لاول مرة فى فنون الزخرفة المغربية الاسلامية بجامع الجنائز بالقرويين بعد ان ظهر فى المشرق بجامع الحاكم بالقاهرة 403هـ ثم فى قلعة بن حماد بالقرن الخامس ثم مسجد تلمسان الجامع 530هجرية لكنه ظهر لاول مرة فى القرويين لغرض معمارى يهدف الى حمل منابت العقود .

رابعا : ملاحظات على التخطيـط ووسائـل التغطيـة المعمارية :

وسوف نبدأ اولا بالامثلة المبسطة لننتقل بعدها مع تطور التخطيط واساليب التغطية فى عمارة الاسقف بصرف النظر عن ترتيب تلك الابواب فى سلسلة التخطيط الدفاعى لاسوار المدينة .

بـــاب الاحـــد :

مدخل بارز (Manumental) يتميز من الظاهر بفكرة شطف الاركان (à pans coupés) فى بدنتى الباب اى قصهما لتحويل التخطيط المربع الى مثمن كما نشاهد فى باب شالة الغربى فيما بعد ، وهو المثال الوحيد المعروف بالمغرب . غير ان الشطف فى باب الاحد لا يحمل مقرنصا مقلوبا فىاعلاه لاعادة التخطيط المثمن الى تخطيط مربع فى السطوح العليا وبهذا تضعف الاهمية الدفاعية فى باب الاحد لعدم وجود مقرنص مقلوب يمكن من بروز المساحة العليا ويمكن المدافعين من استخدامها وسوف تتاكد فكرتنا هذه بضعف التخطيطات الدفاعية الاخرى فى باب الاحد كما نرى فيما بعد فى التخطيط العام .

وباب الاحد هو الباب الوحيد بالرباط البسيط فى التخطيط . انه مدخل مباشر غير ملوى وغير مرفقى وتنحصر فتحته الرئيسية بين عقدين متتاليين فوقهما قبو نصف اسطوانى يؤدى الى قاعة اولى فوقها قبو نصف اسطوانى متقاطع بحيث تكون التغطية نتيجة تقاطع نصف برميل طولى فتحته الى اسفل مع نصف برميل آخر فى نفس الوضع . ثم قاعة ثانية على نفس المحور تغطيها قبة BETON ARMÉ قائمة على مقرنصات ، الى جانب قاعة ثالثة مكشوفة الى يسار الداخل تمتد بطول القاعتين المتتابعتين . وتؤدى القاعة الثالثة الواقعة على محور المدخل والقاعة الاولى الى فتحة الباب الداخلية المؤدية الى داخل المدينة .

بـاب العلـــو وبـاب زعيـــر :

سنعرض الان دراسة تخطيط الابواب ذات المرافق متجهين من التخطيط البسيط الى المركب لنجد اول مراحله فى ابواب ذات المرافق متمثلة فى باب العلو وباب زعير .

مع ملاحظة ان المرافق فى جميع تلك الابواب سواء ذات المرافق البسيطة او المركبة انما هى مرافق داخلية تقع ضمن حدود التخطيط الداخلى للابواب .

وقد اردنا التنبيه هنا الى تلك الظاهرة المبدئية حيث توجد ابواب ذات مرافق خارجية مثل باب عين الجنة باسوار شالة المرينيـة . والمرافـق ليست ملحقات وانما هى جمع مرفق اى ساعد او كوع Camp) فالمدخل الرفقى هو مدخل ملوى يسمى فى الاصطلاح الانجليزى (Bent - Etrance) وفى الاصطلاح الفرنسى (Porte coudée) وكل من باب العلو وباب زعير برباط الفتح مدخل بارز (Manumental) (اللوحة 8(



اللـوحـة رقـم (8)

باب زعير ، من المداخل البارزة ضمن مجموعة الموحدين برباط الفتح .

اي ان فتحته الرئيسية تنحصر بين بروزين او نتوءين عبارة عن برج من كل جهة . وتصميم البابين الخارجي الخارجي وتخطيطهما الداخلي يسيران على نسق واحد من حيث التخطيط ومن حيث التغطية كذلك مع خلاف ضئيل واحد نشير اليه اثناء الوصف .

وكل من المدخلين عبارة عن فتحة رئيسية (بين البرجين) ذات عقدين يفتح احدهما على ظاهر المدينة والاخر يؤدي الى القاعة الاولى من التخطيط . وبين العقدين المذكورين يرتفع قبو نصف اسطواني لتغطية المساحة بين العقدين وهي المساحة التي تتحرك فيها دفتا الباب . القاعة الاولى يغطيها قبو نصف اسطواني ويليها كوع او لوية (Caup) تصنع حائطا مباشرا يواجه اى هجوم طارىء ويشكل عقبة في طريق المهاجمين . وبعد الكوع نجد قاعة ثانية توصل عن طريق فتحة اخيرة الى داخل المدينة . هذه القاعة الثانية نجدها مكشوفة في باب العلو ومغطاة في باب زعير وهو الفرق الوحيد في تخطيط وعمارة البابين .

باب الرواح :

وهو اكثر الابواب صمودا امام عوامل الزمن وتقلبات السياسة والحرب ومتطلبات الدفاع ، بهذا كان باب الرواح اكثر الابواب سلامة من احداث التاريخ . وعلى الرغم من ثرائه الزخرفي ، غير انه يعتبر اهم ابواب الرباط من حيث التخطيط اكثر من الزخرفة وذلك بتحقيقه لاغراض دفاعية ممتازة .

وكسوة الباب من الحجارة المنجورة (Taillét) منتظمة الشكل وهو مدخل بارز (Manumental) تنحصر فتحته بين برجين مربعين . ولاتؤدى فتحة الباب الى داخل المدينة مباشرة الا بعد المرور من عائقين متتابعين او كوع مزدوج (Double) اى منعطف مرفقى مزدوج .

وبين فتحتى المدخل تجاه ظاهر المدينة حيث تتحرك دفتا الباب الخشبى مساحة يغطيها قبو نصف اسطوانى . ويؤدى هذا المدخل الى قاعة اولى تغطيها قبة اشعاعية ذات ضلوع تتفرع من المركز بقمة القبة لترتكز فى النهاية على جوفات مقبية)مقرنصات تسمى فى المصطلح الانجليزى (Squinch) وهو ادق من التعبير فى المصطلح الفرنسى Pendentif) وهذه الجوفات او المقرنصات يتكون كل منها من انصاف قبوات اسطوانية متعارضة محصورة داخل قوس يرسم حدود المقرنص المذكور (اللوحة 9)



اللوحة رقم (9)

باب الرواح ، القاعة الاولى بعد اجتياز فتحة الباب حيث نرى نوع التغطية المعقدة ، قبة اشعاعية فوق مقرنصات من انصاف قبوات متقاطعة .

وبمجرد الدخول من فتحة الباب الرئيسية الى القاعة الاولى يصطدم المهاجم بالعقبة الاولى اذ لايوجد باب او فتحة على محور المدخل الرئيسى ويضطر الى تغيير المحور والانحراف يسارا فى المنعطف الاول او الكوع الاول للوصول الى قاعة ثانية تغطيها قبة (Caupole) قائمة على مثلثات كروية ، وهى مقرنصات يتكون كل منها من مثلث يقتطع من جسم الكرة . وعلى نفس المحور الثانى وهو محور القاعة الثانية توجد قاعة ثالثة مكشوفة تمكن المدافعين من صب السوائل

وتوجيه السهام من جميع الجهات العليا المكشوفة (اللوحة 10) .



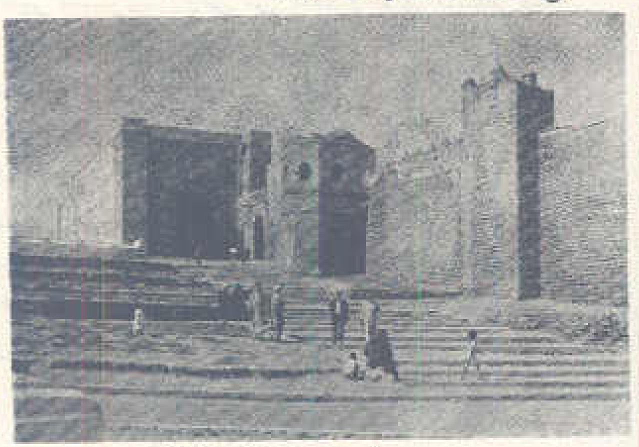
اللوحة رقم (10)

باب الرواح ، القاعة الثانية بعد الانحراف المرفقي الاول او اللوية الاولى ، وتظهر القاعة الثالثة التي تغطيها قبة على مقرنصات ذات مثلثات كروية بعدها قاعة ثالثة مكشوفة ثم انحراف آخر الى اليمين للوصول الى القاعة الرابعة .

وبعد القاعة الثالثة يتغير المحور نواجه المنعطف المرفقي الثاني وتضطر الى الانحراف يمينا لدخول قاعة رابعة ذات قبة قائمة على مقرنصات من المثلثات الكروية تؤدي الى فتحة الباب المطلة على داخل المدينة وفتحة الباب الاخير من قوسين بينهما قبو نصف اسطواني فوق المساحة التي تتحرك فيها دفتا الباب .

بـــاب الودايـــا :

وعلى الرغم من شهرة باب الرواح وما احتواه من وسائل معمارية واساليب دفاعية وجمال زخرفي ثم منظر فخم فريد استمده من موقعه العمراني بالنسبة لرباط الفتح المعاصرة ، غير ان باب الودايا الذي يوجد اليوم منحازا نوعا عن الاضواء العصرية بانتقال العمران الضخم الحديث والمؤسسات الوطنية الكبرى بعيدة عن قصبة الودايا النواة الاولى لرباط الفتح ، ليعتبر من اروع ابداعات القرن السادس المعمارية العجيبة بما اشتمل عليه من تركيب هندسي متنوع وتعقيد معماري متطور وتفنن في وسائل الدفاع واساليب التغطية فضلا عن زخارفه الفنية الغنية التي كانت تجعل منه في شباب رباط الفتح عندما كان العمران في المهدية منزل عبد المؤمن قطب الرحى في المنطقة (اللوحة 11) .



اللوحة رقم (11)

باب قصبة الودايا النواة الاولى لمدينة رباط الفتح ، مظهر عام للمدخل البارز .

وباب الودايا مدخل بارز porte Manumentale يحيط بفتحته الرئيسية بروزان او نتوءان مربعان . وقوس الفتحة عبارة عن عقد متجاوز منكسر او منفوخ منكسر المعروف بالفرنسية Fer A cheval Brisé داخل عقد متجاوز مفصص (labé Brisé) (اللوحة 12) وبين فتحتي الباب حيث تتحرك الدفتان

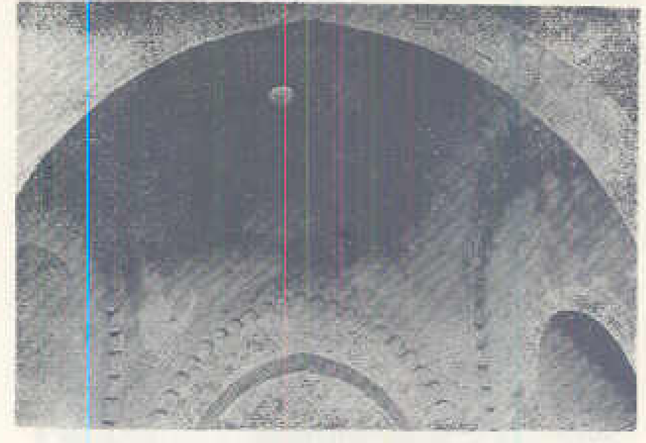


اللوحة رقم (12)

باب قصبة الودايا ، تفصيل للعمارة والزخارف المعمارية .

غطاء نصف اسطوانى اى نصف برميل فتحته الى اسفل.
— وعلى محور الفتحة الرئيسية تمتد ثلاث قاعات متتالية . وتلك القاعات ليست على مستوى ارضية واحدة اذ يتغير مستوى الارض من قاعة لاخرى مشكلا عقبة كاداء امام المهاجم المندفع من قاعة لاخرى بين ظلام المعركة وغبار الالتحام .

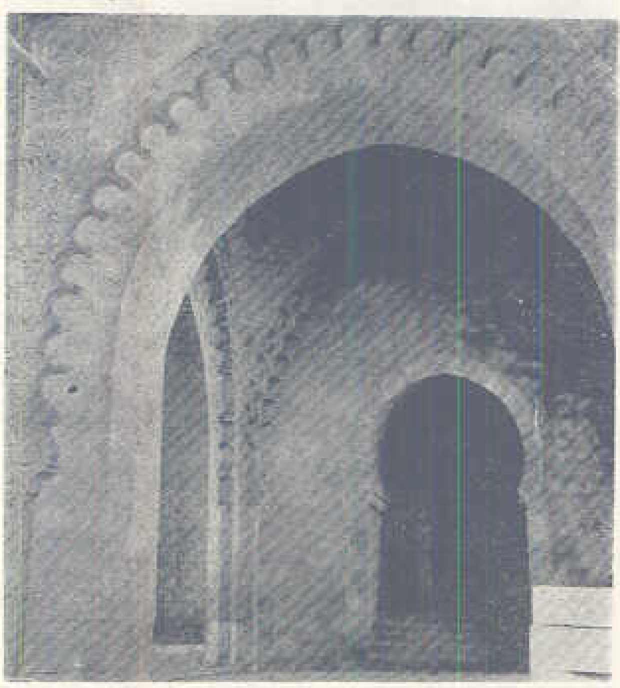
وتغطى القاعة الاولى قبة (   ) قائمة على مثلثات كروية او جوفات مقوسة . وتختلف تلك المثلثات عن النظام الذى شاهدناه فى القاعتين الثانية والرابعة بباب الرواح ، فالمثلثات الكروية بالقاعة الاولى فى باب الوداية مقصوصة على نسق خاص يسمى فى فن المعمار المغربى مثمن بالدائرة.
Triangle Pendentive
وتغطى القاعة الثانية قبة تستند على مثلثات كروية Spherical كاملة تبدو شبه مقصوصة اذ ترتكز فى اسفلها على اطار قائم على قوقعة وزخرفة نباتية تكتمل بها الزاوية الدنيا للمثلث الكروى الذى تقوم فوقه القبة (اللوحة 13). وبعد ذلك



اللوحة رقم (13)
باب قصبة الوداية ، التغطية المكونة من قبة قائمة على مقرنصات كروية مثلثة شبه منقوصة .

تاتى القاعة الثالثة والاخيرة التى يغطيها قبو نصف اسطوانى .

اما الكوع او الانحراف المرفقى فيتمثل فى وجود حائط مسدود اخير على نفس محور الباب الرئيسى بعد المرور وسط القاعات المذكورة فى عمق المساحة الداخلية . بالاضافة الى ان الفتحات المؤدية الى داخل القصبة توجد فى القاعتين الوسطى والاخيرة بحيث يلزم الانحراف **يمينا للولوج داخل القصبة ، ومن** جهة اخرى فان المهاجم لا يتوقع وجود منفذين الى الداخل ولا يتنبه لتلك الخدعة حتى يجد نفسه مقسما بين المنفذين ليواجه امام كل منفذ قوة دفاعية كاملة ولعل ذلك العمق الكبير بطول القاعات الثلاث المتتالية المغطاة (اللوحة 14) حيث يرى المدافع خصمه



اللوحة رقم (14)
باب قصبة الوداية ، تفاصيل متنوعة لوسائل التغطية والتفنن فى تشكيل مراحل الانتقال العليا ، مع ملاحظة اختلاف المستويات الارضية لقاعات الباب الداخلية كعائق سرى للمهاجمين .

اكثر مما يراه الخصم المندفع من النور الى الظلام ، لعل ذلك كله لا يعرف نظيرا آخر فى عمارة الابواب الدفاعية فى الاسلام .

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

مدخل إلى الظاهرة القرآنية

للأستاذ محمود شاكر

تقديم الدكتور عبد السلام الهراس

الظاهرة القرآنية كتاب نفيس للمفكر الاسلامي الكبير المرحوم مالك بن نبي كتبه باللغة الفرنسية وصدرت طبعته العربية بمقدمة ضافية للاستاذ محمود شاكر، ويسر « دعوة الحق » أن تنشر مقدمة الاستاذ محمود شاكر مع توطئة للدكتور عبد السلام الهراس الذي عاشر المؤلف أثناء اقامته بالقاهرة واخذ عنه وكان اول من عرف بفكره في المغرب على صفحات هذه المجلة .

محمود شاكر ... شخصية فذة في ميدان الفكر والقلم والمواقف المشرفة ، وهو من اعلام تاريخنا المشرق الذين يلتزمون بميثاق شرف الكلمة لذلك اوقف حياته على احياء التراث الاسلامي والعربي تاليفا وتحقيقا وانشاء وتوجيها واشرافا وارشادا ، وحماية ودفاعا ، وهو رجل معارك وصراع لا يعرف للسكوت معنى ولا يلتمس لاصحابه ولا لنفسه عذرا اذا دعا واجب الجهاد والذود عن حرمة لغة القرآن وقيم الاسلام ، وقد عرف محمود شاكر باعراضه ، في اباء وشمم ، عن الاغراءات السخية والعروض الشهية موثرا السير في الموقف الذي اقتنع به والخط الذي التزمه رغم ما يحفه من ارهاب وتسلط ووعيد وما يجره عليه من عنت وارهاق وتنكيل .

واعداء الاسلام والعربية يحسبون لقلمه الف حساب وقد اذاقهم به من الغصص والحنظل ما ارغمهم على الانزواء في جحورهم ملتجئين الى الانكباب على الدس والوقيعة والتآمر مع من يملكون السيف والسجن كما هي مواقفهم دائما من احرار الفكر واصحاب الكلمة المقدسة : كلمة الحق !

ولد الاستاذ الكبير محمود شاكر بالاسكندرية في 10 محرم سنة 1327 الموافق لفبراير سنة 1909 في جو علم وتقى ، وهو صعيدي مغربي الاصل قرشي النسب .

اجتاز المرحلة الابتدائية بالاسكندرية وانهى المرحلة الثانوية بالقاهرة وحصل على شهادة التوجيهي (الباكالوريا) شعبة العلوم ولكنه غير اتجاهه فالتحق بكلية الآداب عند ميلادها سنة 1926 درس على اهم اساتذة العصر ومنهم طه حسين ونيللنو المستشرق الايطالي والشيخ مصطفى عبد الرازق ، واحمد امين ، وعبد الحميد العبادي ؛ ومن رفقائه الاول : محمد مندور ومحمد فؤاد حسين ، وخليل نامي ، والشيخ المكي الناصري والحاج احمد بنونة .



وقد اثرت قضية طه حسين فى حياته تأثيرا كبيرا وهي الاساس الاول فى تحويل اتجاهه ؛ وقد كان اول من تصدى لحواره والرد عليه داخل الجامعة وخارجها ؛ كما تأثر باتصاله بالكاتب الاسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي الذي رأى فيه صورة خالصة لمسلم القلب والنفس ومثال الكاتب الملتزم المجاهد.

ان شخصية محمود شاكر متعددة الجوانب لا تستطيع مئات الصفحات ان تفي بحقوقها ؛ انه شيخ مدرسة الاصالة والتجديد والاحياء والبعث ؛ وله فضل كبير على امتنا الاسلامية بما قدم لها من خدمات جلى .

تعرفت على محمود شاكر انا واستاذي مالك ابن نبي خلال سنة 1957 ، فى بيته بالقاهرة قرأيت كيف يعرف الرجال اقدار بعضهم وكيف يتجاوب ابطال المعركة عندما يتلاقون فى ميدانها ؛ وكان لهذا التعارف دفع قوي وتأثير جميل فى نشاط مالك بن نبي بما دعم به محمود اخاه ورفيقه فى الجهاد وبما سانده به من تشجيع ادبي كبير كان له ابعد الآثار فى نشر وترويج مؤلفات مالك بن نبي فى مصر وخارجها .

وفى بيت استاذنا محمود شاكر تعرفنا على شخصيات هامة وعلى طلاب نبغاء جاءوا جميعا يأخذون الادب والعلم من منابع صافية وغنية وعميقة ومخلصة .

وقد رغب مالك الى اخيه محمود شاكر أن يقدم له الترجمة العربية لكتابه « الظاهرة القرآنية » ولقيمة هذه المقدمة وحاجة طلاب الادب والبحث اليها وددت لو يبسط استاذنا محمود شاكر القول فى بعض جوانبها الهامة وينشرها على حدة لتأخذ مكانتها ككتاب مستقل بين آثاره القيمة مثل :

1 — اباطيل واسمار

2 — المتنبي

3— القوس العذراء

وغير ذلك من مجهوده العلمي العظيم فى ميدان التحقيق والكتابة . وفق الله كاتبنا الكبير واطال حياته فى عافية وصحة وسلامة .

د. عبد السلام الهراس

هذا كتاب « الظاهرة القرآنية »

وكفى ، فليس عدلا ان اقدم كتابا هو يقدم نفسه الى قارئه . وبحسب اخى الاستاذ مالك بن نبي وبحسب كتابه ان يشار اليه وانه لعسير ان اقدم كتابا هو نهج مستقل . احسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل ، وهو منهج متكامل يفسره تطبيق اصوله . كما يفسره حرص قارئه على تأمل مناحيه . ولا اقول هذا ثناء ، فانا أعلم ان رجلا اثنى على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : « ويلك ! قطعت عنق صاحبك » ، قالها ثلاثا . ومالك اعز علي من أن اقطع عنقه بثنائي أو أهلكه باطرائى .

ولكن احسبنى من أعرف الناس بخطر هذا الكتاب ، فان صاحبه قد كتبه لغاية بينها ، ولاسباب فصلها . وقد صهرتنى المحن ، دهرا طويلا ، فاصطليت بالاسباب التى دعته الى اتخاذ منهجه فى تأليف هذا الكتاب ثم افضيت الى الغاية التى ارادها ، بعد أن سلكت اليها طرقا موحشة مخوفة . وقد قرأت الكتاب وصاحبه ، فكنت كلما قرأت منه فصلا اجدنى كالسائر فى دروب قد طال عهدى بها ، وخيل الى ان مالكا لم يؤلف هذا الكتاب الا بعد أن سقط فى مثل الفتن التى ستطتفيها من قبل ، ثم أقال الله عثرته بالهداية فكان طريقه الى المذهب الصحيح هو ما ضمنه كتابه من بعض دلائل اثبات اعجاز القرآن ، وأنه كتاب منزل انزله الذى يعلم الخبء ، فى السموات والارض ، وان مبلغه الى الناس ، صلى الله عليه وسلم ، رسول صادق قد بلغ عن ربه ما امره بتبليغه ، وأن بين هذا الرسول الصادق وبين الكلام الذى بلغه حجازا فاصلا ، وأن هذا الحجاز الفاصل بين القرآن وبين مبلغه ، حقيقة ظاهرة ، لا يخطئها من درس سيرة رسول الله فاحصا متأملا ، ثم درس كتاب الله بعقل يقظ غير غافل .

وهذا المنهج الذى سلكه مالك ، منهج يستمد اصوله من تأمل طويل فى طبيعة النفس الانسانية ، وفى غريزة التدين فى فطرة البشر ، وفى تاريخ المذاهب والعقائد التى توسم بالتناقض أحيانا . ولكنها تكشف عن مستور التدين فى كل انسان . ثم هو يستمد أصوله من الفحص الدائب فى تاريخ النبوة وخصائصها ، ثم فى سيرة رسول الله ،

بأبى هو وأمى ، منذ نشأته الى أن لحق بالرفيق الاعلى . ثم فى هذا البلاغ الذي جاء ليكون بنفسه ، دليلا على صدق نفسه ، انه كلام الله ، المفارق لكلام البشر من جميع نواحيه .

وفى خلال هذا المنهج ستطالعك المحنة التى عاناها مالك ، كما عانيتها انا ، وكما عاناها جيل من المسلمين فى هذا القرن . بل انك لتجد المحنة ماثلة فى « مدخل الدراسة » وهو الفصل الذى استفتح به كتابه ، حيث صور لك مشكلة الشباب المسلم المتعلم فى هذا العصر ، وما كان قاساه وما يزال يقاسيه ، من العنت فى ادراك اعجاز القرآن ، ادراكا يرضاه ويطمئن اليه .

وهذا « العقل » الحديث الذى يفكر به شباب العالم الاسلامى ، والذى يريد ان يدرك ما يرضيه ويطمئن اليه من دلائل اعجاز القرآن ، هو لب المشكلة ، فان « العقل » هبة الله لكل حى ، ولكن اساليب تفكيره كسب يكتسبه من معالجة النظر ، ومن التربية ، ومن التعليم ، ومن الثقافة ، ومن آلاف التجارب التى يحياها المرء فى هذه الحياة . فينبغى ، قبل كل شىء ، ان نتدبر امر هذا « العقل » الحديث فى العالم الاسلامى ، لان فهم هذا « العقل » ، هو الذى يحدد لنا طريقنا ومنهجنا فى كل دراسة صحيحة ، نحب ان نقدمها اليه حتى يطمئن ويرضى .

فمنذ اول الاسلام ، خاضت الجيوش الاسلامية معارك الحرب فى جميع انحاء الدنيا ، وخاض معها العقل الاسلامى معارك اشد هولا حيث نزل الانسان المسلم . وتقوضت أركان الدول تحت وطأة الجند المظفر ، وتقوضت معها أركان الثقافات المتباينة تحت نور العقل المسلم المنصور ، وظلت الملاحم دائرة الرحى قرونا متطاولة ، فى ميادين الحرب وميادين الثقافة ، حتى كان هذا العصر الاخير .

انبعثت الحضارة الاوروبية ، ثم انطلقت بكل سلاحها لتخوض فى قلب العالم الاسلامى ، اكبر معركة فى تاريخنا وتاريخهم . وهى معركة لم يحط بأساليبها وميادينها احد بعد هذا العالم الاسلامى ولم يتقص احد آثارها فينا . ولم يتكفل بدراستها من جميع نواحيها من يطيق أن يدرس ، ولست أزعم انى سادرسها فى هذا الموضع ، ولكن سادل على طرف منها ، ينفع قارىء هذا الكتاب ، اذا صح عزمه على معاناة دراسة الحريص المتغلغل .

لم تكن المعركة الجديدة بين العالم الاوروبى المسيحى ، وبين العالم الاسلامى ، معركة فى ميدان واحد ، بل كانت معركة فى ميدانين : ميدان الحرب ، وميدان الثقافة . ولم يلبث العالم الاسلامى ان القى السلاح فى ميدان الحرب ، لاسباب معروفة . اما ميدان الثقافة ، فقد بقيت المعارك فيه متتابعة جيلا بعد جيل ، بل عاما بعد عام ، بل يوما بعد يوم . وكانت هذه المعركة أخطر المعركتين ، وابعدهما اثرا ، واشدهما تقويضا للحياة الاسلامية والعقل الاسلامى . وكان عدونا يعلم ما لا نعلم ، كان يعلم ان هذه هى معركته الفاصلة بيننا وبينه ، وكان يعلم من خباياها ما لم نعلم ، ويدرك من اسرارها ووسائلها ما لا ندرك . ويعرف من ميادينها ما لا نعرف ، ويصطنع لها من الاسلحة ما لا نصطنع ، ويتحرى لها من الاسباب المفضية الى هلاكنا ما لا نتحرى أو نلقى اليه بالا . واعانه وأيده أن سقطت الدول الاسلامية جميعا هزيمة فى ميدان الحرب . فسقطت فى يده مقاليد أمورها فى كل ميدان من ميادين الحياة ، وصار مهيمنا على سياستها واقتصادها وصحافتها ، اى سقطت فى يده مقاليد التوجيه الكامل للحياة الاسلامية ، والعقل الاسلامى .

وميادين معركة الثقافة والعقل ، ميادين لا تعد ، بل تشمل المجتمع كله فى حياته ، وفى تربيته ، وفى معايشه ، وفى تفكيره ، وفى عقائده ، وفى آدابه ، وفى فنونه ، وفى سياسته ، بل كل ما تصبح به الحياة حياة انسانية ، كما عرفها الانسان منذ كان على الارض . والاساليب التى يتخذها العدو للقتال فى معركة الثقافة ، اساليب لا تعد ولا تحصى ، لانها تتغير وتتبدل وتتجدد على اختلاف الميادين وتراحبها وكثرتها . واسلحة القتال فيها أخفى الاسلحة ، لان عقل المثقف يتكون يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة ، وهو يتقبل بالتربية والتعليم والاجتماع ، اشياء يسلمها بالالف الطويل ، وبالعرض المتواصل ، وبالمكر الخفى ، وبالجدل المضلل ، وبالمراء المتطون ، وبالهوى المتغلب ، وبضروب مختلفة من الكيد الذى يعمل فى تحطيم البناء القائم ، لكى يقيم العدو على انقاضه بناء كالذى يريد ويرجو .

وقد كان ما أراد الله ان يكون ، وتتابعت هزائم العالم الاسلامى فى ميدان الثقافة جيلا بعد جيل ، وكما بقيت معارك الحرب متتابعة سرا مكتوما لا يتدارسه قادة الجيوش الاسلامية وجندها حتى هذا اليوم ، بقيت ايضا معارك الثقافة على تطاولها ، سرا خافيا لا يتدارسه قادة الثقافة الاسلامية وجندها بل اكبر من ذلك : فقد اصبح اكثر قادة الثقافة فى العالم الاسلامى واصبح جنودها ايضا ، تبعا يأتمرون بامر القادة من اعدائهم ، عارفين او جاهلين انهم هم انفسهم قد انقلبوا عدوا للعقل الاسلامى الذى ينتسبون اليه ، بل الذى يدافعون عنه احيانا دفاع غيرة او اخلاص .

لم يكن غرض العدو ان يقارع ثقافة بثقافة ، او ان ينازل ضلالا بهدى ، او ان يصارع باطلا بحق، او ان يمحو اسباب ضعف باسباب قوة ، بل كان غرضه الاول والاخير ان يترك فى ميدان الثقافة فى العالم الاسلامى ، جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة، وينصب فى ارجائه عقولا لا تدرك الا ما يريد لها هو ان تدرك ، ولا تبصر الا ما يريد لها هو ان تبصر ، ولا تعرف الا ما يريد لها هو ان تعرف ، فكانت جرائمه فى تحطيم اعظم ثقافة انسانية عرفت الى هذا اليوم ، كجرائمه فى تحطيم الدول واعجازها مثلا بمثل . وقد كان ما أراد الله ان يكون ، وظفر العدو فينا بما كان يبغي ويريد .

وقد فصل مالك فى « مدخل الدراسة » محنة « العقل » الحديث فى العالم الاسلامى ، على يد أمضى اسلحة العدو فى تهديم بعض جوانب الثقافة ، بل اهم جوانبها ، وهو سلاح « الاستشراق » سلاح لم يدرسه المسلمون بعد ، ولم يتتبعوا تاريخه ، ولم يكشفوا عن مكايده واضاليله ، ولم يقفوا على الخفى من أسرار مكره ، ولم يستقصوا اثره فى نواحى حياتهم الثقافية ؛ بل فى اكثر نواحى حياتهم الانسانية . . كيف . . . ؟ . . بل كان الامر عكس ما كان ينبغى ان يكون ، فهم يتدارسون ما يلقيه اليهم على انه علم يتزوده المتعلم ، وثقافة تتشربها النفوس ، ونظر تتغفيه العقول ، حتى كان كما قال مالك : « ان الاعمال الادبية لهؤلاء المستشرقين ، قد بلغت درجة خطيرة من الاشعاع لا نكاد نتصورها » وتفصيل اثر هذا الاشعاع فى تاريخنا الحديث ، وفى سياستنا وفى عقائدنا ، وفى كتبنا وفى أدياننا وفى اخلاقنا ، وفى مدارسنا ، وفى صحافتنا ، وفى كل اقوالنا واعمالنا ، شيء لا يكاد يحيط به أحد » .

وهذا الاشعاع ، كما سماه مالك ، كان من اعظم الاسباب وابعدها خطرا فى « العقل » الحديث ، الذى يريد ان يدرك دلائل اعجاز القرآن ادراكا يرضى عنه ويطمئن اليه . وهو الذى اوقع الشك فى الاصول القديمة التى قامت عليها ادلة اعجاز القرآن ، بل اكبر من ذلك ، فانه قد اتى اساليب غاية فى الدهاء والخفاء ، افضت الى تدمير الوسائل الصحيحة التى ينبغى ان يتذرع بها كل من درس نصا ادبيا ، حتى يتاح له ان يحكم على جودته او رداءته ، فضلا عن بلاغته او اعجازه .

وقد ذكر مالك فى « مدخل الدراسة » تلك القضية الغربية التى عرفت بقضية « الشعر الجاهلى » ، والتى اثارها المستشرق مرجليوث فى بعض مجلات المستشرقين ، ثم تولى كبرها طه حسين ، فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، يوم كان استاذا للادب العربى بالجامعة المصرية . ولن اذكر هنا تلك المعارك التى اثارها كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، ولكنى اذكر ، كما ذكر مالك ، ان هذه القضية بأدلتها ومناهجها ، قد تركت فى « العقل » الحديث فى العالم الاسلامى ، اثرا لا يمحى الا بعد جهد جهيد ، والعجب أن مرجليوث قد اتى فى بحثه بزيف كثير ، كان هو الاساس الذى بنى عليه هذا « العقل » ، وقد حاول مئات من رجال الفكر ان يزيفوا الادلة والمناهج ، ولكن هذا الزيف بقى بعد ذلك طابعا مميزا لاكثر ما ينشره الطلبة والاساتذة الى يومنا هذا . ولا تحاكم مرجليوث واشياعه الى رأيك ونظرك ، بل دع محاكمته الى مستشرق مثله ، هو آربرى ، يقول فى خاتمة كتابه « المعلقات السبع » وذكر اقوال مرجليوث وفندها : « أن السفسطة — واخشى ان اقول : الغش — فى بعض الادلة التى ساقها الاستاذ مرجليوث أمر بين جدا ، ولا تليق البتة برجل كان ، ولا ريب من اعظم ائمة العلم فى عصره وهذا حكم شنيع ، لا على مرجليوث وحده ، بل على كل اشياعه وكهنته وعلى ما جاءوا به من حطام الفكر » .

ولكن العجب عندى بعد ذلك أن مالكا ارتكز على ذكر هذه القضية ، وعلى اثرها فى العقل

الحديث ، ثم ينطلق منها الى نتيجة اخرى فقال : « وعلى هذا فالمشكلة بوضعها الراهن تتجاوز فى مداها نطاق الادب والتاريخ ، وتهم مباشرة منهج التفسير القديم كلـه ، ذلك التفسير القائم على المقارنة الاسلوبية ، معتمدا على الشعر الجاهلى كحقيقة لا تقبل الجدل وعلى اية حال ، فقد كان من الممكن ان تثور هذه المشكلة تبعا للتطور الجديد فى الفكر الاسلامى ، وانما بصورة اقل ثورية ، فمنهج التفسير القديم يجب أن يتعدل فى حكمة وروية ، لكى يتفق مع مقتضيات الفكر الحديث » .

ثم قال : « لقد قام اعجاز القرآن حتى الآن على البرهان الظاهر على سمو كلام الله فوق البشر . وكان لجوء التفسير الى الدراسة الاسلوبية لكى يضع لاعجاز القرآن اساسا عقليا . فلو اننا طبقنا نتائج فرض مرجليوث . لانهار ذلك الاساس ، ومن هنا توضع مشكلة التفسير على أساس هام النسبة لعقيدة المسلم ، اعنى : برهان اعجاز القرآن فى نظـره » .

ثم أمضى الى هذا الحكم : « والحق انه لا يوجد مسلم ، وبخاصة فى البلاد غير العربية — يمكنه ان يقارن موضوعيا بين آية قرآنية ، وفقرة موزونة او مقفاة من أدب العصر الجاهلى . فمنذ وقت طويل ، لم نعد نملك فى اذواقنا عبقرية اللغة العربية ، ليمكننا ان نستنبط من مقارنة أدبية نتيجة عادلـة حكيمة » .

وانا احب ان اناقش هذه المقالة حتى اعين القارىء على ان يضع كتاب « الظاهرة القرآنية » فى مكانه الذى ينبغى له ، وحتى تـتبين له معالم الطريق الذى يسير فيه وهو يقرأ هذا الكتاب ، وحتى يستفيد من ادلته وبراهينه قوة تعينه على أن يضع أساسا يقيم عليه عقيدته وايمانه .

ولا ادرى ما الذى الجأ اخي مالكا الى ذكر « تفسير القرآن » ومنهجه القديم فى هذا الموضع ؟ . . انه اقحام لباب من علوم الاسلام قائم براسه لا يمسه فرض مرجليوث من قريب او بعيد . وعلم تفسير القرآن كما اسسه القدماء ، لا يقوم على مقارنة الاساليب ، اعتمادا على شعر الجاهلية او شعر غير الجاهلية ، واذا اقتضتنا الحاجة ان ندخل تعديلا على منهج التفسير القديم ، فانه عندئذ تعديل لا علاقة له البتة بالشعر الجاهلى ، لا من قبل الشك فى صحته ، ولا من قبل مقارنة الاساليب الجاهلية بأسلوب القرآن . وكل ما عند القدماء من ذكر الشعر الجاهلى فى تفسيرهم ، فهو انهم يستدلون به على معنى حرف فى القرآن ، او بيان خاصة من خصائص التعبير العربى ، كالتقديم والتأخير والحذف وما الى ذلك ، وهذا أمر يصلح له شعر الاسلام وغاية علم تفسير القرآن ، كما ينبغى أن يعلم ، انما هى بيان معانى الفاظه مفردة ، وجملة مجتمعة ، ودلالة هذه الالفاظ والجمل على المبانى ، سواء فى ذلك آيات الخبر والقصص ، وآيات الادب ، وآيات الاحكام ، وسائر ما اشتملت عليه معانى القرآن . وهو أمر عن « اعجاز القرآن » بمعزل .

اما الامر المرتبط بالشعر الجاهلى ، أو بقضايا الشعر جميعا ، والمتصل بأساليب الجاهلية وغير الجاهلية ، وأساليب العربية وغير العربية ومقارنتها بأسلوب القرآن ، فهو علم « اعجاز القرآن » ، ثم « علم البلاغة » .

ولا مناص لمتكلم فى « اعجاز القرآن » ، من ان يتبين حقيقتين عظيمتين قبل النظر فى هذه المسالة ، وان يفصل بينهما فصلا ظاهرا لا يلتبس ، وان يميز أوضح التمييز بين الوجوه المشتركة التى تكون بينهما :

اولاهما : ان : « اعجاز القرآن » كما يدل عليه لفظه وتاريخه ، وهو دليل النبى صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته ، وعلى انه رسول من الله يوحى اليه هذا القرآن ، وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرف « اعجاز القرآن » من الوجه الذى عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب ، وان التحدى الذى تضمنته آيات التحدى ، من نحو قوله تعالى : « ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون » . (سورة هود : 13 ، 14)
وقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

(سورة الاسراء : 88)

انما هو تحد بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك . فما هو بتحد بالاخبار بالغيب المكنون ، ولا بالغيب الذى يأتى تصديقه بعد دهر من تنزيله ، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب ، ولا بشيء من المعانى مما لا يتصل بالنظم والبيان .

ثانيهما : ان اثبات دليل النبوة ، وتصديق دليل الوحى ، وان القرآن تنزيل من عند الله ، كما نزلت التوراة والانجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه ، لا يكون منها شيء يدل على ان القرآن معجز ، ولا اظن ان قائلا يستطيع ان يقول ان التوراة والانجيل والزبور كتب معجزة ، بالمعنى المعروف فى شأن اعجاز القرآن ، من اجل انها كتب منزلة من عند الله . ومن البين ان العرب قد طولبوا بأن يعرفوا دليل نبوة رسول الله ، ودليل صدق الوحى الذى يأتيه ، بمجرد سماع القرآن نفسه ، لا بما يجادلهم به حتى يلزمهم الحجة فى توحيد الله ، أو تصديق نبوته ، ولا بمعجزة كمعجزات اخوانه من الانبياء . مما آمن على مثله البشر وقد بين الله فى غير آية من كتابه ان سماع القرآن يقتضيهم ادراك مباينته لكلامهم ، وانه ليس من كلام بشر ، بل هو كلام رب العالمين وبهذا جاء الامر فى قوله تعالى : « وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » . (سورة التوبة 6)

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة ، أما صحة النبوة فليست برهانا على اعجاز القرآن .

والخلط بين هاتين الحقيقتين ، واهمال الفصل بينهما فى التطبيق والنظر ، وفى دراسة « اعجاز القرآن » ، قد أفضى الى تخليط شديد فى الدراسة قديما وحديثا ، بل ادى هذا الخلط الى تأخير علم « اعجاز القرآن » و « علم البلاغة » ، عن الغاية التى كان ينبغى أن ينتهيا اليها .

وحسن أن ازيل الآن لبسا قد يقع فيه الدارس لكتاب « الظاهرة القرآنية » ، ففى « مدخل الدراسة » ، وفى بعض فصول الكتاب ما يوهم ان من مقاصده تثبيت قواعد فى « علم اعجاز القرآن » ، من الوجه الذى يسمى به القرآن معجزا . وهو خطأ ، فان منهج مالك فى تأليفه دال أوضح الدلالة على انه انما عنى باثبات صحة دليل النبوة ، وبصدق دليل الوحى ، وان القرآن تنزيل من عند الله ، وانه كلام الله لا كلام بشر ، وليس هذا هو « اعجاز القرآن » كما اسلفت ، بل هو اقرب الى ان يكون بابا من « علم التوحيد » ، استطاع مالك ان يبلغ فيه غايات بعيدة ، قصر عنها اكثر من كتب من المحدثين وغير المحدثين ، فجزاه الله عن كتابه ونبيه احسن الجزاء .

اما مسألة « اعجاز القرآن » ، فقد بقيت خارج هذا الكتاب ، وهى عندى اعقد مشكلة يمكن ان يعانيها « العقل » الحديث ، كما يسمونه ، حتى بعد ان يتمكن من ارساء كل دعامة يقوم عليها ايمانه بصدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبصدق الوحى ، وبصدق التنزيل . وايضا فهى المسألة التى ترتبط ارتباطا وثيقا بقضية الشعر الجاهلى ، وبالكيد الخفى الذى اشتملت عليه هذه القضية ، بل انها لترتبط ارتباطا لا فكاك له بثقافتنا كلها ، وبما ابتلى به العرب فى جميع دور العلم ، من فرض منهاج خال من كل فضيلة فى تدريس اللغة وآدابها . بل انها لتشمل ما هو ارحب من ذلك ، تشمل بناء الانسان العربى او المسلم ، من حيث هو انسان قادر على تذوق الجمال فى الصورة والفكر جميعا .

ومعرفة معنى « اعجاز القرآن » ، وما هو ، وكيف كان ، امر لا غنى عنه لمسلم ولا لدارس ، وشأنه ، اعظم من ان يتكلم فيه امرؤ بغير تثبت من معناه ، وتمكن من تاريخه ، وتتبع للآيات الدالة على حقيقته . وانا لا ازعم انى مستقصيه فى هذا الموضع ، ولكنى مستعين بالله ، فذاكر طرفا مما يعين المرء على معرفته .

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبى هو وأمى ، حين فجئه الوحى فى غار حراء ، وقال له : « اقرأ » ، فقال : « ما أنا بقارىء » ، ثم لم يزل به حتى قرأ : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

رجع بها وهو يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة فقال : « زملونى زملونى » ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع . وذلك انه قد أتاه امر لا قبل له به ، وسمع مقالا لا عهد له بمثله ، وكان رجلا من

العرب ، يعرف من كلامها ما تعرف ، وينكر منه ما تنكر — كان هذا الروع الذى اخذه بأبى هو وامى ، اول احساس فى تاريخ البشر ، بمباينة هذا الذي سمع ، للذي كان يسمع من كلام قومه ، وللذي كان يعرف من كلام نفسه . ثم حمى الوحي وتتابع ، وامره ربه أن يقرأ ما انزل عليه على الناس على مكث . فتتبع الافراد من عشيرته وقومه ، يقرأ عليهم هذا الذى نزل اليه . ولم يكن من برهانه ولا مما أمر به ان يلزمهم الحجة بالجدال حتى يؤمنوا انما هو اله واحد ، وانه هو لله نبي ، بل طالبهم بأن يؤمنوا بما دعاهم اليه ، ويقروا له بصدق نبوته ، بدليل واحد هو هذا الذى يتلوه عليهم من قرآن يقرؤه . ولا معنى لمثل هذه المطالبة بالاقرار لمجرد التلاوة ، الا ان هذا المقروء عليهم ، كان هو فى نفسه آية فيها أوضح الدليل على انه ليس من كلامه هو ، ولا من كلام بشر مثله . ثم ايضا لا معنى لها البتة الا ان يكون كان فى طاقة هؤلاء السامعين أن يميزوا تمييزا واضحا بين الكلام الذى هو من نحو كلام البشر ، والكلام الذى ليس من نحو كلامهم .

وكان هذا القرآن ينزل عليه منجما ، وكان الذى نزل عليه يومئذ قليلا كما تعلم ، فكان هذا القليل من التنزيل هو برهانه الفرد على نبوته . واذن ، فقليل ما اوحى اليه من الآيات يومئذ ، وهو على قلته وقلة ما فيه من المعاني التي تتامت وتجمعت فى القرآن جملة كما نقرؤه اليوم ، منطو على دليل مستبين قاهر ، يحكم له بأنه ليس من كلام البشر . وبذلك يكون دليلا على ان تاليه عليهم ، وهو بشر مثلهم ، نبي من عند الله مرسل .

فاذا صح هذا ، وهو صحيح لا ريب فيه ، ثبت ما تلناه أولا من ان الآيات القليلة من القرآن ، ثم الآيات الكثيرة ، ثم القرآن كله ، اي ذلك كان ، فى تلاوته على سامعه من العرب ، الدليل الذى يطالبه بأن يقطع بأن هذا الكلام مفارق لجنس كلام البشر ، وذلك من وجه واحد ، هو وجه البيان والنظم .

واذا صح ان قليل القرآن وكثيره سواء من هذا الوجه ، ثبت ان ما فى القرآن جملة ، من حقائق الاخبار عن الامم السالفة ، ومن انباء الغيب ، ومن دقائق التشريع ، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من اسرار الكون الا بعد القرون المتطاولة من تنزيله ، كل ذلك بمعزل عن الذى طولب به العرب ، وهو ان يستبينوا فى نظمه وبيانه انفكاكه من نظم البشر وبيانهم ، من وجه يحسم القضاء بأنه كلام رب العالمين . وههنا معنى زائد ، فانهم اذا اقروا انه كلام رب العالمين بهذا الدليل ، كانوا مطالبين بان يؤمنوا بأن ما جاء فيه من اخبار الامم ، وانباء الغيب ، ودقائق التشريع ، وعجائب الدلالات على اسرار الكون ، هو كله حق لا ريب فيه ، وأن ناقض ما يعرفون ، وان باين ما اتفقوا على انه عندهم او عند غيرهم حق لا يشكون فيه . واذن فاقرارهم من وجه النظم والبيان ان هذا القرآن كلام رب العالمين ، دليل يطالبهم بالاقرار بصحة ما جاء فيه من كل ذلك ، اما صحة ما جاء فيه ، فليست هى الدليل الذى يطالبهم بالاقرار بأن نظم القرآن وبيانه ، مباين لنظم البشر وبيانهم ، وانه بهذا من كلام رب العالمين . وهذا أمر فى غاية الوضوح .

فمن هذا الوجه كما ترى طولب العرب بالاقرار والتسليم ، ومن هذا الوجه تحيرت العرب فيما تسمع من كلام يتلوه عليهم رجل منهم ، تجده من جنس كلامها لانه نزل بلسانهم ، لسان عربي مبين ، ثم تجده مباينا لكلامها ، فما تدرى ما تقول فيه من طغيان اللدد والخصومة . وانه لخبر مشهور ، خبر تحير النفر من قريش ، على رأسهم الوليد بن المغيرة . لقد ائتمرت قريش يومئذ حين حضر الموسم ، لكي يقولوا فى هذا الذى يتلى عليهم وعلى الناس قولا واحدا لا يختلفون فيه ، وأداروا الرأى بينهم فى تاليه على اهل المواسم ، وتشاوروا ان يقولوا : كاهن ، او مجنون ، او شاعر ، او ساحر ، فلما آلت المشورة الى ذى رأيهم وسنهم وهو الوليد بن المغيرة ، رد كل ذلك بالحجة عليهم ، ثم قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان اصله لعذق ، وان فرعه لجناة ؛ وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف انه باطل ، وان اقرب القول فيه لان تقولوا : « ساحر جاء بقول يفرق بين المرء وابيه ، وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته » .

فهذا التحير المظلم الذى غشاهم وأخذ منهم بالكظم ، والذى نعته الوليد فاستجاد النعت ، كان تحيرا لما يسمعون من نظمه وبيانه ، لا لما يدركون من دقائق التشريع ، وخفى الدلالات ، وما لا يؤمنون به من الغيب ، وما لا يعرفون من انباء القرون التى خلت من قبل .

وحمى الوحى وتتابع عاما بعد عام ، واقبل صلى الله عليه وسلم يلح جهرة فيقرأ القرآن عليهم وعلى من طاف بهم من العرب فى بطن مكــة ، وفى مواسم الحج والاسواق ، وهبــت قريش تناوئــه وتنازعه ، وتلج فى اللدد والخصومة ، وفى الانكــار والتكذيب ، وفى العداوة والاذى ، فلما طال تكذيبهم وانكارهم ، على ما يجدون فى أنفسهم من مثل الذى وجد الوليد ، ومن مثل الذي آمن عليه من آمن مــن قومه العرب ؛ صب الله عليهم ، من الوحى ما هالهم وافزعهم كانوا يتحيرون فى هذا الذى يتلى عليهم ، وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثــة عشر عاما والمسلمون قليــل مستضعفون فى ارض مكة ، وظل الوحى يتتابع وهو يتحداهم ان يأتــوا بمثل هذا القرآن ، ثم بعشر سور مثله مفتريات . فلما انقطعت قواهم ، قطع الله عليهم وعلى الثقلين جميعا منافذ اللدود والعناد ، فقال : « قل لئــن اجتمعت الانس والجن على ان يأتــوا بمثــل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولــو كان بعضهــم لبعــض ظهيرا » . وكذلك كان !

فكان هذا البلاغ القاطع الذى لا معقب له ، هو الغاية التى انتهى اليها امر هذا القرآن ، وامر النزاع فيه ، لا بين رسول الله وبين قومه من العرب فحسب ، بل بينه وبين البشر جميعا على اختلاف السنتهم والوانهم ، لا . . بل بينه وبــين الانــس والجن مجتمعين متظاهرين . وهذا البــلاغ الحق الذى لا معقب له من بين يديه ولا من خلفــه ، هو الذى اصطلحنا عليه فيما بعد ، وسميناه « اعجاز القــرآن » .

وهذا الذى اقتصصته لك ، تاريخ مختصر اشد الاختصار ، ولكنه مجزىء فى الدلالة على تحديــــد معنى « اعجاز القرآن » بالمعنى الذى يفهم من هذا اللفظ على اطلاقه ، ومجزىء فى الدلالة على هــذا « الاعجاز » . من اى وجوه الاعجاز كان اعجازا ؟ ، وانه ليكشف عن أمور لا غنى لدارس عن معرفتها :

الاول : ان قليــل القرآن وكثــيره فى شــأن « الاعجاز » سواء .

الثانى : ان الاعجاز ، كائن فى رصف القرآن وبيانه ونظمه ، ومباينة خصائصه للمعهود مــن خصائص كل نظم وبيان فى لغة العرب ، ثم فى سائر لغات البشر ، ثم فى بيان الثقلين جميعا ، انسهــم وجنهم متظاهرين .

الثالث : ان الذين تحداهم بهذا القرآن قــد أوتوا القدرة على الفصل بين الذى هــو من كــلام البشر ، والذى هو ليس من كلامهم .

الرابع : ان الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الاتيان بمثله ، أو بعشر سور مثله مفتريات ، هو هذا الضرب من البيــان الذى يجدون فى انفسهم انه خارج من جنس بيان البشر .

الخامس : ان هذا التحدى لم يقصد بــــه الاتيان بمثله مطابقا لمعانيه ، بل ان يأتــوا بمــا يستطيعون افتراءه واختلاقه ، من كــل معنــى او غرض ، مما يعتلج فى نفوس البشر .

السادس : ان هذا التحدى للثقلين جميعــا انسهم وجنهم متظاهرين ، تحد مستمر قائــم الى يــوم الديــن .

السابع : ان ما فى القرآن من مكنون الغيب : ومن دقائق التشريــع ومن عجائب آيــات الله فى خلقه ، كل ذلك بمعزل عن هــذا التحدى المفضى الى الاعجاز ، وان كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلا على انه من عند الله تعالى ، ولكنه لا يدل على ان نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم ، وانه بهذه المباينة كلام رب العالمين ، لا كلام بشر مثلهم .

فهذه امور تستخرجها دراسة تاريخ نــزول القرآن ، ومدارسة آياته فى جدال المشركين مــن العرب فى صحة الآيات التى جاءتهــم من السماء ، كما جاءت سائر آيات الانبياء ومعجزاتهم ، وحسبك فى بيان ذلك ما قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : ما من نبى الا وأوتى من الآيات ما مثلــه آمن عليه البشر ، وانما كان الذى اوتيته وحيا أوحى الى ، فانا ارجو أن اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ، فالقرآن هو آية الله فى الارض ، آيته المعجزة من الوجه الذى كان به معجزا للعرب ، ثم للبشر ، ثم للثقلين جميعا .

وكل ما ليس يقع فى ضبط هذه الامور المتعلقة بمعنى « اعجاز القرآن » وكل اختلال فى تمييزهــا وتحديد ما تقتضيه فى العقل والنظر ، سبيــل الى انتشار اغمض اللبس ، وابلغ الخلل فى فهــم معنى « اعجاز القرآن » ، من الوجه الذى صار بــــه القرآن معجزا للعرب ، ثم لسائر البشر على اختلاف السنتهم ، ثم للثقلين جميعا متظاهرين .

(البقية فى العدد المقبل)

تعقيب

على الرد على مقال

أحمد بابا التمبكتي السوداني

للدكتور شوقي عطا الله الجمل

توصلنا من د. شوقي عطا الله الجمل الاستاذ بكلية الآداب بالرباط بهذا التعقيب على الرد الذى نشرته المجلة للدكتور عثمان عثمان اسماعيل فى العدد الثالث من هذه السنة على مقال حول (احمد بابا التمبكي السوداني) نشرته الزميلة المناهل فى احد اعدادها الاخيرة . كما توصلنا بتعقيب آخر من الاستاذ عبد القادر العافية حول نفس الموضوع .

ونحن اذ ننشر تعقيب الدكتور شوقي يهمنا جدا ان تسود روح الزمالة الفكرية بين الكتاب والمفكرين وان يكون هدف الجميع خدمة الحقيقة الموضوعية وتجلية الجوانب المشرقة من تاريخنا العربى والاسلامى .

ولعله من الواضح ان اثارة النقاش العلمى الرصين فى مستوياته العليا من صميم رسالة الصحافة الاسلامية والادبية وقد اضطلعت دعوة الحق بهذا العبء منذ اعدادها الاولى واضعة نصب عينها اثراء الفكر وتنشيط الحركة الثقافية وفتح المجال امام اولي الراى والنظر ليعبروا عن الحقيقة فى اطار الموضوعية والانصاف العلمي.

مرة اخرى نؤكد انه يهمنا جدا اثارة النقاش حول موضوع التاريخ المغربي فى الوقت الذي نواجه فيه بحملات تغريبية وعقائدية يغذيها الاستعمار الفكري بمخططاته الشيوعية والصليبية والصهيونية .

ودعوة الحق تفتح صدرها لجميع الاقلام الجادة الملتزمة بالامانة والنزاهة والمخلصة للحق والعدل .

دعوة الحق

كتب الدكتور عثمان عثمان اسماعيل فى العدد الثالث ـ السنة الثامنة عشرة ـ من مجلة دعوة الحق تعقيبا على مقالى المنشور منذ عام فى مجلة المناهل (العدد السادس يوليو 1976) ـ وقد دهشت من الطريقة التى تناول بها الدكتور عثمان تعقيبه على المقال المذكور للاسباب الآتية :

1 ـ اتخذ الدكتور عثمان لتعقيبه على المقال عنوانا مثيرا «دفاعا عن الاسلام والمغرب والمنصور» والذى يقرأ المقال المشار اليه بسروح علمية وبلا هدف مسبق يدرك كيف استطاع الدكتور أن يقلب الحقائق ويشوهها ليخلق قضية ينصب نفسه مرافعا عنها محاولا استخدام اسلحة ليس

هذا مجالها .

فالمقال قبل كل شيء بحث تاريخي صرف بعيد كل البعد عن الاجواء التي اختلقها المعقب وهو محاولة لالقاء الاضواء على تاريخ وجهود عالم وفقيه مسلم ينتمي الى غرب افريقيا التي كان للمغرب دور رئيسي في نشر الحضارة والاسلام والعلم ثم، وقد ابرز المقال المشار اليه ذلك ـ كما سأوضح به بالاضافة الى العديد من المقالات الاخرى التي كان لي شرف نشرها ـ اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المقال عن «الحضارة الاسلامية العربية في غرب افريقيا سماتها ودور المغرب فيها» ـ نشر بمجلة المناهل العدد السابع 1976 ، ومقال عن «عثمان بن فوديو وسياسة الجهاد الاسلامي التي اثبتها ـ في ضوء مخطوط فريد بوثائق الرباط ـ نشر بمجلة البحث العلمي العدد 26 ، ومقال عن «علاقة المغرب بالاقاليم الصحراوية الواقعة جنوبه ـ في صور رحلتي ابن بطوطة والحسن بن الوزان ـ نشر في المناهل العدد 8.

2 ـ بدأ الدكتور تعقيبه بمقدمة عن تحامل بعض المستشرقين اليهود والمبشرين المسيحيين والخصوم على ابطال الاسلام .. ولست ادري علاقة هذا بالمقال موضوع البحث والذي يلقي اضواء على عالم من علماء المسلمين وفقيه وينتمي لاسرة علم ودين معروفة ومشهورة ـ ولا ادري كيف يجهلها الدكتور ويريدنا كما جاء بتعقيبه ان نتجاهلها وينعي علينا ابراز دورها ويعتبر ان الهدف من ذلك هو الاساءة للاسلام والمغرب والمنصور مع ان العكس هو الصحيح ، فتجاهل امثال هذا العالم والفقيه هو الاساءة الحقيقية للاسلام والحضارة الاسلامية في المغرب ودوره الرائد فيها لكن من الواضح منذ البداية ان المعقب اراد ان ينحرف بالبحث موضوع المقال ناحية معينة ليمكنه ان يستغل هذا السلاح غير مدرك انه اصاب نفسه قبل ان يصيب غيره .

3 ـ يذكر التعقيب انه من حيث الشكل (نلاحظ ان المقال يشغل ثلاثا وثلاثين صفحة من صفحات المجلة خصصت تسع عشر منها للتعريف بالشخصية في مقدمة المقال ثم اثنتى عشرة صفحة بآخر المقال لمؤلفات احمد بابا السوداني بينما يتركز صلب المقال على الظروف التي جاء فيها الى المغرب ـ مما لا يتفق مع عنوان المقال ويستنتج من هذا ان المقال لم يوضع لدراسة شخصية احمد بابا السوداني ودراسة مؤلفاته لكن خصص لاثارة المشكلات فهل تخصيص احدى وثلاثين صفحة من ثلاث وثلاثين صفحة لدراسة شخصية احمد بابا ومؤلفاته يثير التساؤل وبدل ان المقال قصد به اثارة المشكلات .. اي منطق هذا واية مشكلات الا ما اختلقها نفسه والا يكشف هذا عن ان هناك دوافع اخرى وراء التعقيب الذي البس ثوب الدفاع عن الاسلام والمغرب، والمنصور .

4 ـ يتخذ المعقب من الاشارة الى ظروف مجيء احمد بابا الى المغرب ومقابلته للمنصور ، وما دار بينها من نقاش وصفه المعقب بانه قحة من العالم ـ وهي اشارة جاءت عابرة في هذا المقال الطويل بالاضافة الى انها معروفة وذكرها اكثر من مؤرخ اساسا لكل هذه الزوبعة غير الحقيقية ، وهي امر لا يثير ما اثاره هو من استنتاجات ـ ويذكر انه كان يجب ان يتجاهل كاتب المقال هذه الناحية وهذا اتجاه غريب من كاتب يدعي انه موجه لنا في النقد التاريخي .

5 ـ ياخذ المتعقب على المقال تعظيمه لاسرة احمد بابا ويشير الى ان القول بان المعقب بابا التمبكتي ينتهي الى اسرة علم وصلاح توارث العلم فيها نحو خمسمائة سنة ـ قصد به الاساءة الى المنصور والمغرب .. ولست ادري اية علاقة بين ابراز مكانة هذه الاسرة العلمية وبين ما وصل اليه الدكتور من استنتاج ، ومازلت اوكد ان التراث الاسلامي الذي تركته لنا هذه الاسرة شيء نفتخر به ويجب ان نفتخر به ونبرزه وننشره .

6 ـ يشير التعليق الى ان «الاشادة بمكانة جني وتمبكتو» خطأ لانه يهدف الى تبرير حجم الجريمة في الفتح الاسلامي للسودان ، ويدهشني هذا الربط العجيب بين الاشادة بمكانة هذه العواصم الاسلامية وبين حملة المنصور للسودان فهو امر من نسج خيال المعقب ، كما ان المكانة العلمية لهذه العواصم الاسلامية في غرب افريقيا في ذلك الوقت بالذات يجب الا يجهلها احد خاصة من الذين يتناولون بالبحث امور التاريخ الاسلامي ، ولعل ما نشرته في مقالي عن الحضارة الاسلامية في غرب افريقيا ودور المغرب

فيها في العدد السابع بمجلة المناهل ـ يوضح المكانة التى كانت لهذه البلاد قبل الاستعمار الاوروبى والدور الذى لعبه المغاربة من مهندسين وعلماء وفقهاء وتجار فى بناء المساجد والتعليم والارشاد فيها ، وكذا قصور الحكام الى غير ذلك من البيانات التى تناولها المقال المشار اليه.

7 ـ اما عن البحث الذى ساقه لنا المعقب عن التكوين النفسى للمنصور السعدى ـ والناحية الروحية فى حياته ـ واشارات وتنبيهات حول حملة السودان فهى اشياء خارجة تماما عن موضوع المقال ، فعلاقة احمد بابا بالمنصور ـ كما اشرنا نقطة عارضة وسط بحث تاريخى عن شخصية احمد بابا ومؤلفاته شغل كما يقول المعقب نفسه 31 صفحة من 33 صفحة مجموع المقال تلقفها صاحب التعقيب فاعطانا حديثا طويلا مسهبا عن موضوع آخر ما كان اجدره ان يقصر كلامه عليه ويتخذ له عنوانا آخر غيرالعنوان الذى قصد ان يلفت به الانظار ـ ليستقيم الامر مع نهج البحث العلمى السليـــم .

8 ـ اما محاولات التجريح الجانبية التى احتواها التعقيـب ومنها وصفـه لعالـم من اجـل علمـاء المسلمين وهو احمد بابا بالقحة فهذا خروج عن المنهج العلمى السليم فى النقد واسلوبه ، ولا يحتاج منا لتعقيب .

هذه ملاحظات عابرة على بعض ما جاء بالتعقيب ولم اشأ ان اطنب فى الرد على كل ما اثاره لان التحامل فيه على الحقيقة واضح لم يخف على أي قارىء للمقال الاصلي وللتعقيب. لقد حاول كاتب التعقيب ان يصور مقالا علميا تاريخيا قصد به القاء اضواء على حياة عالم من علماء الاسلام ، وابراز انتاجه العلمى ودور المغرب فى ذلك بانه مساس بالمغرب والاسلام . ولست ادرى كيف يتمشى هذا المنطق مع ما جاء فى المقال موضوع التعقيب وما اراد المعقب ان يخفيه ليصل الى هدفه واشير لبعضه هنا مجرد اشارة دون أي تعقب فالقراء ـ كما لا يجب ان يخفى على كاتب التعقيب ـ يتمتعون بقدر كبير من الذكاء والقدرة على التمييز بين الغث والثمين .

وفى الختام لا يسعنى الا ان ارجو ان يقدر الجميع الكلمة المنشورة ـ خاصة فى مجلاتنا الدينية التى لها مكانتها ـ قدرها فلا نسىء استغلالها لما هو بعيد عن رسالتها الحقيقية .

دكتور : شوقى عطا الله الجمل

الاسلام والنصر

اللواء الركن
محمود شيت خطاب

القيادة والتوجيه الديني

— 1 —

المشير مونتكومري قائد بريطاني ، من ابرز قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (1939 ـ 1945) وقد لمع اسمه لاول مرة بعد انتصاره على جيوش المحور في معركة (العلمين) سنة (1942) ، فاصبح معروفا في العالم كله .

بدا حياته العسكرية العلمية برتبة ملازم في الحرب العالمية الاولى (1914 ـ 1918) ، ثم تدرج في الرتب العسكرية ، وتولى المناصب القيادية ومناصب الاركان واصبح معلما في كلية الاركان البريطانية في (كامبرلي) وهو منصب تعليمي تربوي مرموق .

وفي اواخر الحرب العالمية الثانية اصبح قائد مجموعة جيوش مؤلفة من مختلف الاسلحة، كان تعدادها يناهز المليونين من الجنود وضباط الصف والضباط والمراتب الاخرى.

وبعد الحرب العالمية الثانية تسنم منصب رئيس هيئة اركان الحرب في بريطانيا ، ثم تسنم منصب نائب القائد الاعلى للحلف الاطلسي .

واخيرا اصبح عضوا في مجلس اللوردات البريطاني اذ منح لقب : «لورد العلمين» ، فتفرغ لواجبه في هذا المجلس ، وعكف على التاليف ، واصبحت هوايته توجيه الشباب ورعايتهم .

وقد امضى في الخدمة العسكرية نحو خمسين سنة ، ربى خلالها ما لايعد ولايحصى من العسكريين معلما ومدربا ومثقفا ومحاضرا وقائدا .

وقد سجل في آخر مؤلفاته : «السبيل الى القيادة» عصارة تجاربه في تربية الاطفال وتوجيه الشباب وهو يرعى في الوقت الحاضر جماعة من الشباب ، ويجدلذة ومتعة في توجيههم ، ويرى في ذلك خدمة لوطنه وتطبيقا عمليا لمبادئه التربوية .

وسأذكر ما اورده في كتابه هذا عن التربية والتوجيه لعل فيها فائدة للذين لا يرضخون الا لآراءالغربيين والذين لا تطربهم مغنية الحي ، والذين تشفى عيونهم رمال الغرب وتدميها ورود بلدهم ، والذين يستسلمون للاجنبي ولا يسالمون العربي او المسلم : بهرتهم حضارة الغرب لانهم يجهلون حضارة امتهم واستحوذ عليهم الاستعمار الفكري البغيض .

الى هؤلاء اسوق آراء مونتكومري التربوية ، تلك الآراء التي لو سمعوها من عربي مسلم لكالوا له التهم جزافا ولرموه بالتخلف والرجعية ! !

ترى ! ماذا سيقول هؤلاء عن آراء مونتكومري التربوية ؟

— 2 —

عقد مونتكومري في كتابه «السبيل الى القيادة» بابا كاملا هو الباب الحادي عشر بعنوان : «قيادة الشبيبة» استغرق نحو ثلاثين صفحة من كتابه ، ولا أرى مسوغا لعرض آرائه التربوية كافة لانني لا اريد ان اطيل فأثقل على القارئ ، ولكنني سأعرض مختصر ارائه لاعطاء فكرة كاملة عنها ، وهذا يقتضيني ان

اكشف تلك الآراء بعيدا عن الايجاز المخل والاطناب الممل .

يذكر مونتكومرى ان اولاد امته لا نقص فيهم من حيث المادة او النوع ولكن الخطا فى اسلوب تربيتهم مما ادى الى ان يصبحوا دون المستوى المطلوب ، وهذا خطأ المربين لا خطا الشباب .

ثم قال : « انني غير راض عن شباب اليوم » (1)

ويمتدح بنات جيله فيقول : «ان البنـات لم يكـن ليسمح لهن بالخروج من البيت وحدهن والذهـاب مع الاولاد الى المراقص وغيرها» 2 ، وبذلك ينتقد مر النقد ما يراه من ترك الابوين بناتهـم يسرحـن ويمرحن كما يشأن دون رقيب او حسيب .

ويقول عن تربية الاطفال وتنشئتهم ليكونوا عناصر مفيدة للمجتمع : ان ولد اليوم وهو رجل المستقبل يجب ان يكون الغرض من تربيته بنـاء سجيتـه ، ليتسنـى له عندمـا يحيـن الوقـت المناسـب ان يؤثر فى الآخرين الى ما فيه الخير . وهناك امر يجب الا نخطىء فيه ، وهو ان اسس (السجية) يجب ان توضع فى البيت ، بل ان التربية الاساسية يجب ان تبدا هناك ، فهذه التربية هى التى تؤثر فى الولد وتوجهه طيلة حياته ، اما الى الخير او الى الشر . وعلى اسس الخير القويمة التى تبنى فى البيت ، سيبنى المعلم (سجية) الولد عندما ياتى الى المدرسة ، فان لم تكن تلك (السجية) قد اقيمت فى البيـت ، فـلا يستطيع المعلم او اى شخص آخر ان يفعل شيئا فى هذا الصدد . اننا نسمع اليـوم الكثيـر عـن : (آثام الاحداث) التي لا شك ان السبب الرئيسي لاغلبها هو اهمال الآباء .

«ان تجربتى الشخصية تحملنى على الاعتقاد بان الاسس لبناء السجية يجب ان تغرس فى الولد عندما يصبح فى السادسة من عمره ، واهم ما فيها التمييز بين خطا والصواب والتحلى بالصـدق والمـروءة» (3)

ويرثى مونتكومرى الحال البشريـة التـى اصبحـت تلهث وراء (المادة) وتبتعد عن (الروح) فيقـول : السنا نعيش جميعا فى ضباب من خداع النفس ، فى عالم تستحوذ عليـه (الماديـة) وتنبذ فيـه القيـم الروحية ؟ !

«فلنفكر مثلا فى نماذج الاعلانات الكثيـرة التـى تواجهنا انى ذهبنا ، والتى تؤثر فى كثير من الناس فهى توحى الينا ان حل كل مشكلة يمكن ان يشترى بالمال . انها تقول مثلا : اتنشد السعادة فى بيتك اذن فاشتر هذه المكنسة الكهربائية او ذلك النوع من طعام الفطور ، او هذا الصابون ، او اشرب تلك الجعة ! ولا شك ان الناس جميعا لا ينخدعون بهذه الاعلانات الكثيرة ، ولكن الولـد المراهـق يتعرض للخطر وهو يعيش فى هذا الضباب من خداع النفس (ماذا ينفع الانسان ، لو حصل على الدنيـا كلهـا ، واضاع روحه) 4 .. » 5 .

هكذا يستشهد مونتكومرى بآيات من الانجيـل ليتاييد آرائه ، فكم من قادتنا من يستشهد بآيات من الذكر الحكيم ؟

ويضيف مونتكومرى : «اذا اردنا ان يجتاز العالم بسلام وتعقل حالة الهياج والاضطراب التى تسوده اليوم ، فينبغى ان نحيا الحياة الحقة ونقتدى بالمسيح عليه السلام ، بدلا من الخبط فى دياجير الظلام » 6.

انه ينصح بالاقتداء بالمسيح ، وهذا طبيعى لانه مسيحى ، فكم من رجالنا من ينصح علنا وبكل قوة العرب والمسلمين بالاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم.

ويقول : «وهكذا نرى مدى الصعوبة التى يجابهها اولاد اليوم ، وجسامة (الواجب) الذى يجابهه الآباء والمعلمون فى تفسير كل ذلك لهم وتوجيههـم نحـو الصراط المستقيم . وقد زادت المهمة صعوبة زيادة كبيرة من جراء احوال الحياة العصرية ـ الحياة التى يواجه فيها الاولاد مغريات ومشاكل اعظم من

---

1 ـ السبيل الى القيادة 191 ، 192 .
2 ـ السبيل الى القيادة 193 .
3 ـ السبيل الى القيادة 194 .
4 ـ آية من آيات الانجيل ... تـرى ! كـم من قادتنا يستشهدون بآيات من الذكر الحكيم ؟ !
5 ـ السبيل الى القيادة 195 .
6 ـ السبيل الى القيادة 196 .

تلك التي واجهها اى واحد منا عندما كنا شبابا . فالاشياء المثيرة ، وافلام العصابات والبيوت المخربة بسبب التهاون فى الواجبات الزوجية ونشر القضايا الجنسية فى بعض الصحف ، كل هذه تفرض على الولد المراهق ضغطا شديدا ، وليس من السهل ان تنمى (السجية) فى ظروف كهذه» 7 .

ونحن ! ! لماذا نستورد افلام العصابات ؟ لماذا نسمح للصحف والمجلات بنشر القضايا الجنسية لماذا نعرض الافلام الخليعة والتمثيليات الداعرة فى الاذاعة المرئية ؟ ألاجل ان نخرب بيوتنا بايدينا ؟ الاجل ان نشيع الفاحشة فى اولادنا ؟ ! الاجل ان تتصاعد نسبة الرسوب فى مدارسنا وكلياتنا ؟ لماذا ؟ !

— 3 —

ويمضي مونتكومرى بالحث على تلقين الاطفال التعاليم الدينية فيقول : «لقد سبق ان ذكرت كلمة (الضبط) . ان لهذه الكلمة صدى غير مستحب عند فريق من الناس ، وربما كان السبب هو لانها غير مفهومة فهما صحيحا . ان الاساس الحقيقى للضبط هو ضبط النفس ، وهو السيطرة على النفس وكبح جماحها ، وان يعيش المرء حياة ، منظمة ومقيدة بقيود اختيارية يفرضها على نفسه ، وقد نعد هذه القيود بمثابة واجبات ينبغى ان تشعر بضرورة القيام بها .

«ان مفهوم الواجب هذا يؤكد اهمية التعاليم الدينية التى تتعلق بالسيرة الشخصية للانسان ، ويجب ان يوحى بهذه التعاليم الى كل طفل حالما يبدأ بالذهاب الى الروضة (يريد روضة الاطفال التى تسبق المدرسة الابتدائية) وينبغى ان يتم ذلك حتما قبل بلوغه السنة السادسة من عمره» 8.

ويتساءل مونتكومرى : «فما هو غرضنا» ؟ ويجيب : «ان الغرض هو ان نبث فى صفوف الشبيبة الاستقامة والشجاعة الادبية ، الحمية ، بغية اقامة حصن يتحدى المؤثرات المخربة التى تسعى الى تحطيم اخلاق اولادنا . وينبغى تربية هؤلاء ليكونوا (نقاطا قوية) فى الامة ، تدافع عن الامانة وسط مغريات تحرض على الخيانة، وتدافع عن العمل الجماعى والاخلاص ، وعن الجهد الصادق وشعور الواجب الرفيع ، عن كل شيء فيه خير البلاد» 9 .

ثم يقول : اين يجب ان يبدا التعليم ؟ فى البيت طبعا ، فذلك هو المكان الذى يجب ان يبدا فيه تكوين (السجية) . ويجب ان يتعلم الطفل فى البيت امورا معينة تعد خطا واخرى تعد صوابا ، ويجب ان يتعلم الامانة والاخلاص والصدق والثبات على ما يعتقده صوابا وحقا ثباتا راسخا برغم ما يواجهه من اغراء ويجب ان تبدا اسس هذه التربية فى وقت مبكر وان ترسخ فى ذهن الطفل عندما يبلغ السادسة من عمره ، حتى اذا ما بدا بالذهاب الى المدرسة لا يكون فريسة لتاثيرات شريرة قد يواجهها» 10.

ثم ينبغي مونتكومري على العالم تخليه عن « المثل العليا» ، ويتوجه الى قومه البريطانيين برايه صريحا واضحا : «لكى نخدم بريطانيا ونفخر باننا بريطانيون ليس من الضرورى ان نملك قنابل ذورية بقدر ما تملكه الولايات المتحدة الامريكية او علماء بقدر ما تملكه روسيا ، فليست البلاد التى تنقصها القنابل الذرية او القوات الكبرى هى التى يجب ان تدعى (دولا من الدرجة الثانية) ، بل ينبغى ان يطلق ذلك على البلاد التى تعوزها المثل العليا ، وهذه المثل تبقى وغيرها يفنى» . ثم قال : «ان اول ما نحتاج اليه ، هو معالجة الجهل المتفشى بيننا عن الحقائق الاولية للدين» 11 .

— 4 —

ووصف مونتكومرى آراءه التربوية التى تؤدى الى اعداد قادة المستقبل ورجال الامة فقال : «وقد لا تكون آرائى مقبولة على العموم ، لكنها بسيطة على

7 ــ السبيل الى القيادة 197 .
8 ــ السبيل الى القيادة 197
9 ــ السبيل الى القيادة 198 .
10 ــ السبيل الى القيادة 198 ــ 199 .
11 ــ السبيل الى القيادة 205 .

الاقل ، وقد بنيت على (مثل عليا) وحقائق ازلية ، لن تتغير مهما كان العصر الذى تعيش فيه» 12 .

ثم يكرر ما قاله سابقا باسلوب جديد ، اكثر وضوحا وتفصيلا فيقول : انى من المؤمنين ايمانا راسخا بوجوب توجيه الشباب نحو «العلا» ويجب ان نوضح لهم ما يجب ان يفعلوه لبلوغ ذلك ، وان نبين لهم السبب . ان ذلك لامر مهم ، لان المستقبل هو للشباب ، فهم الذين يجب أن يستلموا المشعل هنا ان مهمتنا ان نوحى الى الشباب ان يستهدفوا غرضا «اخلاقيا» عاما مبنيا على ايمان واع قوى بالدين . فذا استطعنا بعدها ان نوحد شبابنا وراء قادة يهتمون بهذا الدين كما يهتم الشيوعيون بعقيدتهم ، فما من شيء نخشاه : لا الاعداء ولا المشكلات الاقتصادية ، اذ يمكن التغلب عليهما معا . ان اهم ما فى التربية ـ وفى الحياة كذلك ـ هو ان يكون لدى الطفل او الشاب احساس بالغرض قوى الى درجة تمكنه من مواجهة الصعاب والتغلب عليها . ان غرضا كهذا لا يمكن ان يبنى الا على (عقيدة) ، ولا يمكن تنمية هذه العقيدة الا فى زمن الصبا لكنه يجب ان تكون هذه (العقيدة) حسنة ، فالعقيدة السيئة هى السبب فى معظم ما نعانيه اليوم من اضطرابات 13

ويعتبر مونتكومرى تضليل الطفل او الشاب اخلاقيا من اعظم الجرائم فيقول : «سئلت ذات مرة عن رايى فى اسوأ جريمة يمكن ان يرتكبها اي انسان ؟ فاجبت بدون تردد : تضليل طفل او شاب اخلاقيا !

«واضفت الى ذلك قولى : ما من عقوبة تعد قاسية بحق انسان كهذا» 14 . ومن الواضح ان راى مونتكومرى هذا سليم الى ابعد الحدود ، لان الذى يضلل طفلا او شابا اخلاقيا ، سيقضى على مصدر الخير فيه ، وسيجعل منه بؤرة للفساد والشر ، اذ سيكون عملا من عوامل اشاعة الفساد والشر ، يهدم ولايبنى ، ويفسد ولا يصلح ، ويخرب ولا يعمر .

ان الوالدين اللذين لايربيان طفلهما تربية سليمة يضللان طفلهما ويحرمانه من ومضات النور والخير.

والمعلم الذى لا يعلم تلميذه تعليما ناجعا ، يضلل تلميذه ويفسد طبعه ويوجهه نحو الجهل والضياع .

فكم من اب او ام ضللا طفلهما عن عمد باهمالهما تربيته او عن غير عمد لجهلهما التربية السديدة .

وكم من معلم ضلل تلميذه لكسله او جهله او عدم تقديره المسؤلية الملقاة على عاتقه ، فاصبح ذلك التلميذ مشردا ، او لصا او قاتلا او تافها .

— 5 —

ويعود مونتكومرى الى تلخيص آرائه التربوية فيقول : ما هى النصيحة التى اقدمها للشباب كيف يستطيعون احراز مجد الفتوة ؟ اننى اقدم اليهم الوصايا الاربع التالية :

«اولا : ليكن لديك شيءمن رزانة الفكر ! ان ذلك لا يعنى ان الطفل او الشباب لا يجب ان يكون سعيدا نبيها ، بل بالعكس . ولكن انبه الناس هو من كان ذا بصيرة ، وقلب بسيط ، وضمير طاهر ومن يحاول قلبيا وبكل تواضع التمسك الشديد بتعاليم الدين .

«ان الملذات التى لا نهاية لها ، والفرص الضائعة والامتيازات التى يساء الاستفادة منها ـ كل هذه الامور لا تعوض عن ضياع الفضيلة ، وفقدان الرجولة وعدم احترام النفس .

ثانيا اوصى بالطاعة ، تلك الفضيلة التى يبنى عليها السلطان ، وهى تعنى قبول قانون (الواجب) قانونا للحياة . ان الله سبحانه وتعالى يفوض شيئا من سلطته الى اخواننا البشر منذ السنين الاولى من حياتنا : يفوضه اولا الى ابوينا ، ومن ثم الى الذين يولون علينا ، فاحترام السلطة اذن واجب مقدس كما هو امر الهى ، وما من عصر انتهكت فيه حرمة هذا الامر الا وساد فيه الفساد . ان آمال الامم تتعلق باخلاص ابنائها وتواضعهم وفى طاعة شبيبتها واحترامهم لمن هو اكثر منهم سنا .

---

12 ـ السبيل الى القيادة 211 .
13 ـ السبيل الى القيادة 213 .
14 ـ السبيل الى القيادة 215 .

«ثالثا : اوصي بالجد والمثابرة . فالوقت المتيسر للعمل والدراسة قصير وسن الصبا سرعان ما يمر من غير ان نشعر به الى دور الشباب فدور الرجولة.
«رابعا : لقد تعلمت فى حياتى الخاصة ، ان صفات ثلاثة ضرورية للنجاح : العمل الشاق ، والاستقامة المطلقة ، والشجاعة الادبية ، وهى تعني عدم خوف الانسان من قول ما يعتقده صوابا والثبات على هذا الاعتقـــاد 15 .

ولا يكتفي مونتكومري بهذا الباب من كتابه للحديث عن : (آرائه التربوية) ، بل يعود ثانية فى الباب الخامس عشر الى عرض آرائه فى التربية فيقول : «بالاضافة الى تزويد المدارس بنظام تربوى جيد ، وبمعلمين ماهرين ، يجب ان يتيسر فيها نظام سليم للتدريس الديني بالتعاون مع رجال الدين» 16 .
ثم يقول عن اثر المثال الشخصي الذى هو التطبيق العملي للنظريات التربوية : «والواقـع ان التربيـة الفكرية والخلقية التى نزود بها اولادنا ، هى ليست بذاتها اهم الامور ، بل المهم هو ما سيفعلونه بهذه التربية ، والفائدة التى سيجنونها منها فى السنين القادمة . ومن الواجب تخصيص قسم من هذه التربية لغرس الصفات التى هى جزء لا يتجزأ من القيادة الجيدة ويجب ان يقوم بذلك خيرة المعلمين الذين يمكن ان نحصل عليهم ، وان يقوموا به بالمثال الشخصي الحسن الذي يضربونه بانفسهم لتلاميذهم وطلابهم » 17 .

وفى ختام كتابه قال مونتكومري : «عندمـا انظـر الى عالمكم اليوم ، ينتابني القلق احيانا على الجيل الجديد ، عندهم مغريات لم نحصل عليها انا وانت 18 . ويبدو انهم ينضجون مبكرا ، ولكن ذلك يجرى فى عالم غير مامون ، وهم يميلون الى ان يجعلوا للامور (المادية) قيمة كبيرة ويهملوا (القيم الروحية) على الشباب ان يتسلح جيدا بالشعور (الروحى) اذا اراد الاينحرف او اراد الايجرفه التيار ..

«ان (الحرية) الحقيقية ، هى ان يكون لديك الخيار فى ان تفعل ما (يجب) ان تفعله لا ما (تريد) ان تفعله ان هذه هى الحقيقة بعينها التى تواجه اى ولد ،وهى التوفيق بين ما (يريد) ان يفعله وبين ما يوحى اليه ضميره ان يفعله» 19.

تلك هى موجز آراء مونتكومرى فى (التربية المثالية) اعرضها للذين يتلقون الوحى من الاجنبى ، ويؤمنون بما يقوله دون مناقشة .

اما الذين يعرفون ما ورد عن : (التربية المثالية) فى تراثنا العربى الاسلامى العظيم ، والذين درسوا هذا التراث بامعان من منابعه الاصليه ، فعيلمون ان آراء مونتكومرى تعتبر تافهة عند موازنتها بآراء السلف الصالح من علمائنا الابرار .

وبكل صراحة وامانة ، اذكر اننـى نقلـت آراء مونتكومرى فى التربية مضطرا وبعد تردد طويـل ولكن ما حيلتى مع الذين تستهويهم آراء الاجانب ولا تستهويهم آراء الاقارب ؟ ؟ ! !

على كل ، فان العلم لا وطن له ، وباستطاعة من يشاء ان ينقل ما يشاء من علوم الآخرين وآرائهم ، على ان تكون تلك الآراء مفيدة وبناءة .

ولكن رايى الذى اومن به ، هو ان العربى المسلم اذا وجد فى تراثه ما يتفوق على تـراث الاجانـب او يشابهه ، فلا ينبغى ان يغمط حق آبائـه واخوتـه ليستورد من الابعدين ، او يتباهى باقوال الاجانـب ويتنكر لاقوال قومه وبنى عقيدته .

اننا بحاجة الى علوم الغرب ، ولكننا لسنا بحاجة الى مبادئه .

ومرة اخرى .. .

لو ابدى عربى مسلم مثل آراء مونتكومرى فى التربية فماذا يقول عنه ابناء جلدته المحدثون ؟ !

ان الاسلام اقوم المبادىء التـى تبنـى الرجـال والنساء وهو دين الخلق الكريم والفضيلة والعزة والمجد والسؤدد .
فمتى يعرف قيمة هذا الدين ابناؤه مـن العـرب والمسلمين ؟ ؟ متى ؟ ؟

يتبـع ان شــاء اللــه

---

15 ــ السبيل الى القيادة 217 .
16 ــ السبيل الى القيادة 291 .
17 ــ السبيل الى القيادة 292 .
18 يقصد الناس من جيله .
19 ــ السبيل الى القيادة 307 ــ 308 .

نحو جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة سلام

للأستاذ المهدي البرجالي

تعد منطقة البحر المتوسط من اكبر مناطق العالم اضطراما بالتناقضات الايديولوجية وتشعبات النظرة والممارسة السياسية .

الا ان هناك ـ مع ذلك ـ اتجاها مشتركا بين عدد من الدول المتوسطية تتلاقى خلاله حول الرغبة فى ابعاد المنطقة عن مخاطر التهديد النووى ، وتوفير الظروف المناسبة لتصيير منطقة سلام وتعاون .

وفى التحليل التالى ، محاولة لاستبانة الآفاق الدولية التى تسلسلت فيها احوال الحرب والسلام بالمتوسط ، وذلك بما يمكن من رؤية التفاعلات التى تتطور فى مضمونها الاتجاهات الايجابية الحالية فى المنطقة .

حروب ساخنة ، وحرب باردة

انطلقت شرارة الحربين العالميتين فى النصف الاول لهذا القرن من البحر المتوسط (حادثة سراجيفو) او من المناطق المشارفة للمنطقة المتوسطية (بولندا) وان كانت عوامل انطلاق الشرارة فى حالة او أخرى قد تراكمت على مدى طويل ، متاثرة بالمنافسات الناجمة عن تناقض مصالحها الامبريالية .

وكما كان البحر المتوسط منطلق انفجار الحربين العالميتين مباشرة ، او ضمنا ، فانه كان مسرحا رئيسيا للصراع فى تلك الحربين (معارك الشام فى الحرب العالمية الاولى ـ معارك البلقان ـ ـ معارك صقلية فى الحرب العالمية الثانية) كما تطور فى محيطه عدد من التبلورات المؤذنة بالاتجاه نحو النصر بالنسبة لطرف من اطراف الصراع (فوز الحلفاء فى العلمين) او نحو الهزيمة بالنسبة لطرف اخر (تراجع المحور فى شمال افريقيا والغرب الاوروبى ، اثر نزول الحلفاء فى المغرب وتونس ، ثم فى نورماندى) .

واستوعبت المنطقة ـ الى ذلك ـ فصولا اساسية من التحرك السياسى الدولى الذى اسهم فى التاثير على سير الحرب وحسمها (مؤتمر آنفا مثلا) .

وفى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث انقسم المعسكر المنتصر الى طرفين متعارضين وتغيرت ـ فى اتصال بذلك ـ الاطروحات الفكرية

الديموقراطية فـي مواجهة الفاشيـة) اصبح البحـر المتوسط من جديد مضمارا للتيارات المتعارضة في خضم هذا الصراع ، بعد ان عـدت اقطـار الضفـة الشمالية منه موزعة بين الجبهتين المتصارعتين ، ومستقطبة استقطابا حادا في نطاق هذه الكتلة او في حظيرة الكتلة الاخرى المضادة لها .

ومما شهدته المنطقة المتوسطية من تفجرات الصراع الدولى فى وضعه ذلك :

أ ـ استحواذ الشيوعيين على الحكم في اوروبا الشرقية والوسطى ، مع ما كان للامر من انعكاسات على المتوسط الشرقي (توزع البلقان بين المعسكرين الشرقى والغربى) .

ب ـ قيام الحلف الغربى ، وانخراط عدد من الدول المتوسطية فيه (فرنسـا ، ايطاليـا ، تركيـا اليونـان) .

ج ـ قيام اسرائيل ، وانفتاح صفحة النزاع العربى الاسرائيلى داخل الاطار الدولى الذى أصبح هذا الصراع يتطور فيه .

واثناء الخمسينات ، ظل حوض المتوسط محيط توترات دولية حادة في مناخ الحرب الباردة بين الشرق والغرب .

وشهد في سيـاق الفتـرة ، تفاقـم المضاعفـات الناجمة عن الصراع بين العرب واسرائيل (حرب سنة 1956 مثلا) وهى المضاعفات التى استمـرت اثنـاء العقدين التاليين (حربا سنة 1967 و 1973) بكل ما يرتبط بها من خلفيات دولية معقدة .

والى هذه النزاعـات ذات البعـد الدولى ، عـرفت المنطقة سلسلة من المشابكات المحلية ، ارتبط بعضها بالصراع الايديولوجى العالمى (الحرب ضد الشيوعيين فى اليونان اثناء الاربعينات) وتأصـل بعضهـا عـن انقسامات طائفية ذات تشعبات دولية محدودة (النزاع الطائفى بقبرص ومضاعفاته على العلاقـات التركيـة الاغريقية بينما تبلور بعضها الآخر ، كنتيجة لحالة من الصراع الطائفى ايضـا ، الا انـه صـراع أكثـر تعقيدا خاصة من حيث الملابسات الدولية المحيطة به (الازمة اللبنانية وملابسـاتهـا الشـرق اوسطيـة ، والدولية) .

وبطبيعة الحال ، فان مجمل هذه التطورات التى ارتج بها حوض المتوسط ، انما كانت نتاجا لصراعات المصالح ، وتناقض الاتجاهات بين اقطار الضفة الشمالية للحوض (اوروبا) ضمن نطاق الصراع الاعم بين الشرق والغرب الذى تميزت به مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن يدخل في الحساب بهذا الشان الجانب المتعلق بمصالح سكان الضفـة الجنوبيـة للمتوسـط (شمال افريقيا) ومالهم من حوافز وتطلعات ، وما يجرى فى مسار حياتهم من تطورات تاريخية ومن ثم ، فان التحول الذى سجلته الخمسينات بتلاحق الثورات فى المغرب العربى ضد الهيمنة الاوروبية ، وتعمق فاعليتها محليا ، واتساع ابعاد انعكاساتها الدولية ـ قد خلق وضعية ، جديدة فى المنطقـة المتوسطيـة ، ضغطـت بكيفية قوية على اتجاه التفاعلات الدولية بالمنطقة ، وغيرت موازين العلاقات المترتبـة عن ذلـك تغييـرا اساسيا وكان استقلال المغرب اواسط الخمسينات حدثا رائدا فى هذا النطاق التاريخـى ، انفتحت بـه افاق التحول الفعال والجذرى ، الذى عرفته المنطقة بهذا الصدد ، حيث انه ما ان انقضت سنوات قليلة جدا على المتوسط الشرقى ، توزع البلقان بين المعسكرين كل الضفة الجنوبية للمتوسط قد تحررت بكيفيـة شاملة .

منطقة المتوسط ساعة تراجع الحرب الباردة :

كان القرن الحاضر قد انتصف قبل بضع سنوات حين افضى المغرب الى احراز استقلاله ، وطبعا فقد شكل الحدث ـ بالنسبة لهذه البلاد ـ منعطفا تاريخيا فى حاضرها آنذاك ، ووجهتها المستقبلية ، الا انه ـ بصرف النظر عن هذا المضمون المغربى الذى احتواه الظرف ، فان التاريخ فى منظوره العالمى الاوسع كان يتهيأ ـ ساعتها ـ للتمخض عن تطورات جوهرية تشمل

آفاقها ، الاتجاه التدريجى نحو التخفيف من حدة الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، وتسرب بعـض عوامل المرونة على حالة الاستقطاب الشديد فى كيانات واتجاهـات التكتلات الدولية الكبـرى ، خاصـة حلف الاطلسى ووارسو ، والارهاص بظهور مواقع جديدة للاستقطاب خارج المواقع التقليـديـة المتمثلة فى المعسكرين الشيوعى والراسمالى وبدء تبلور دلالات

مؤذنة ـ بتحولات واسعة فى خريطة العلاقات الدولية على العموم .

والواقع ان آثار هذه التغيرات لم تتجل بكيفية ملموسة الا فى غضون العقد السادس وما تلاه ، الا ان المؤثرات الدالة عليها بدات فى الظهور خلال النصف الثانى من الخمسينات بعد ان مضى على نهاية الحرب العالمية الثانية اكثر من عشر سنوات كانت كافية لا دخال تغيير فعلى على نظرة الاطراف المتشابكة فى الحرب الباردة ـ الى الاطروحات القائمة عليها المواجهة بينها والى طبيعة الاسلوب المتبع فى الصراع وغاياته .

وقد تتابع مسلسل التراجع عن ساحة الحرب الباردة، متأثرا بالمناخ الدولى الذى اخذ يسود العالم فى اثناء الستينات ومؤثرا فيه . ومن بين ما كان من حوافز هذا التراجع :

1) بلوغ السباق الدولى مجال توازن الرعب ، الى طريق مسدود .

2) آثار التطور التقنى فى مضمار الاسلحة التكتيكية ، على الاوضاع التقليدية للتخطيط الستراتيجى ، وتقلص حجم الحاجة ـ نتيجة لذلك ـ الى القواعد فى البلدان الاجنبية .

3) تخلخل متانة التماسك داخل الاحلاف القائمة وانفتاح ثغرات واسعة بهذه الصورة فى بنياتها ، (حالة يوغوسلافيا ورومانيا والصين فى المعسكر الشيوعى ، وحالة فرنسا فى المعسكر الغربى) .

4) انهيار النظام الاستعمارى ، واتجاه الدول المتحررة منه الى سلوك سبيل خاص بها فى سياساتها الدولية باستقلال مطلق او نسبى عن هذا المعسكر او ذاك

5) الانعكاسات المالية والاقتصادية لسياسة التطوير المستمر للاسلحة والاسلحة المضادة ، وما اسفر عنه الاتجاه المحموم الذى ساد جبهات الصراع الدولية الكبرى بهذا الشأن ـ من اثر فى ارهاق الطاقة الاقتصادية للبلاد المعنية ، ورفع نسبة التضخم عندها وبما ينطوى عليه من مضاعفات مختلفة .

المنطقة المتوسطية فى تطورات الاتجاه نحو الانفراج الدولى :

استقطبت منطقة البحر المتوسط ـ كما استعرضنا ذلك فى الفقرة الاولى ـ جانبا اساسيا من اسباب فاعلية المواجهة بين الاطراف الدولية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكان لمحورية موقع المنطقة بين مختلف القارات ، ووجود اوروبا فيها ـ وهى بؤرة الصراعات الدولية الكبرى فى العالم الحديث ومنطلقها ـ دخل فى الامر على نطاق مهم .

ولنفس الاعتبارات ، كانت المنطقة ايضا مجالا رئيسيا لظواهر التغيير الذى حصل فى العلاقات الدولية خلال العقدين الاخيرين ، حين اخذت سياسة الوفاق بين الشرق والغرب تحل بالتدريج ـ محل الحرب الباردة ، وارتفعت فى الافق الدعوات للتعايش بين الانظمة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، وخفتت نوازع الاندفاع نحو الصراع المسلح بين المعسكرين الرئيسيين فى العالم ، لتقوم مقامها فكرة اعتماد المنافسة السلمية كأداة لتحقيق التفوق الذى يبتغيه احدهما على حساب الآخر .

وصحيح ان هذه التحولات فى السياسة الدولية ، قد تبلورت فى ظل مناخ فكرى وسياسى عالمى ، يتسع لما بين الشرق والغرب فى مجموعه ، ولا ينحصر فى منطقة البحر المتوسط بالذات ، الا انه يجب ان يوضع فى الاعتبار انها ـ اى هذه التحولات لم يكن لهاالتحصل الا تحت ضغط مؤثرات فكرية وسياسية مختلفة ، توالت خلال امد طويل على الصعيد العالمى ، وتحت تأثير هذه التفاعلات العالمية التى طال امد اختمارها اثناء العقد الخامس واوائل السادس ، فحدثت تبلورات اساسية على سطح الحياة الدولية برز من خلالها الاتجاه الذى اصبح يحدو الدول الكبرى الى مراجعة الوضعية الدولية الناجمة عما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث كانت تلك الدول تستقطب مقدرات العالم الستراتيجية والسياسية ، وانفسح المجال لوجهة جديدة عند هذه الدول ، تتميز بالبحث على اسس علاقات مرنة ومتطورة فيما بينها ، والسعى لبناء صلات متفتحة ـ بقدرها ـ مع الجهات الاخرى فى العالم .

وقد كان هذا التحول ولا شك وليد حتميات تاريخية قوامها ، الا ضرورة تدعو الى استمرار الاحوال

الناجمة عن عالم ما بعد الحرب الى ما نهاية له ، خصوصا فى ظل الظروف المحفوزة بسرعة عوامل التطور ، التى كان من اللازم ان تسود العالم فى اعقاب الحرب .

وفى نطاق هذه النظرة الشمولية للامور ، المستمدة من طبيعة سنن التاريخ، نتبين سلسلة من الظواهر مما حفل به المسرح الدولى فى خلال العقدين الاخيرين ، وقد نشا الكثير منها فى منطقة البحر المتوسط ليؤثر بثقله فى اعادة صياغة كثير من اوضاع العلاقات الدولية ، وليعبر عن عمق التيار التاريخى الذى اصبح يحتم هذه المراجعة ، ويوسع نطاقها .

ومن بين الظواهر المؤثرة من هذه القبيل التى عرفتها منطقة المتوسط ، فى خلال العقدين الاخيرين وهى واقعة فى نفس السياق التاريخى الموجودة فيه النقط الاخرى التى عرضنا لها من قبل ، ومن ثم امكانية جمع هذه وتلك ، ولى نسق واحد — اذا اريد ذلك — على الرغم من اختلاف حجمها التاريخى وملابساتها الفكرية وما تنطوى عليه من تأثير ، ويذكر من هذه الظواهر :

أ) بروز فكرة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وهى فكرة التقت فيها الضفة الجنوبية للبحر المتوسط مع دولة من الضفة الشمالية (يوغوسلافيا) وكان مظهر هذا التلاقى الفكرى السياسى فى حد ذاته ، ايذانا بحالة تطور فى الفكر الدولى بحوض المتوسط ، ذى دلالات تاريخية رائدة .

ب) تطور النظرة الى الالتزام المذهبى فى اوساط شيوعية مختلفة باوروبا ، واتجاه ذلك التطور الى القول عند احزاب ماركسية اوروبية مهمة كالحزب الشيوعى الايطالى ، بتعدد المحاور الشيوعية ، وتنوع الاجتهادات فى مضمون الفكر الماركسى ، وقد كانت منطقة المتوسط منبثق مثل هذه الاتجاهات التى اصبحت تسكس — بالفعل — وجهة قطاع من الراى العام الاوروبى على جانب كبير من الاهمية فكريا وسياسيا .

ج) امتداد مضاعفات الخلاف الروسى الصينى الى ساحة المتوسط ، نتيجة لانسجام موقف البانيا — خاصة قبل الآونة الاخيرة — مع الاتجاه الصينى فى مضمار الايديولوجية الشيوعية ، وقضايا السياسة الخارجية . وعلى الرغم من ان «حالة» البانيا فى هذا النطاق — لم يؤدعمليا — الى خلق وضع مثير فى منطقة المتوسط ، فان الامر شكل — على اى حال — ظاهرة دولية لها اشان يذكر ، خاصة فى نطاق الاعتبار الخاص بتماسك الكتلة الشيوعية واتساق وحداتها .

د) تزايد معارضة الاقطار المشرفة على المتوسط ، لوجود أساطيل الدول الكبرى فى مياهه ، والالحاح المتواتر على ضرورة تجريد المنطقة من الاسلحة النووية ، واعلانها منطقة سلام وتعاون ، والملفت للنظران مثل هذه المطالبات الداعية الى تحييد المنطقة فى خضم الصراع الدولى ، ليست صادرة فقط عن الدول المعتنقة لمبدأ الحياد ، بل تروج لها كذلك — بصيع مختلفة — بعض البلدان المرتبطة على وجه او آخر بنظام الاحلاف والتكتلات : وهو امر ذوبال فى مضمار التطورات الدولية ، ومن الضرورى ان تكون له انعكاسات ما ، على مستقبل الصراع بين الدول الكبرى .

نحو صيغة سلام بالبحر المتوسط فى اطار التعدد والتباين :

هذه التحولات التى استوعبت اصولها ، أو تفرعاتها منطقة البحر المتوسط فى تفاعل هذه المنطقة مع تيارات التطور العالمى خلال العقود الاخيرة منذ نهاية الحرب — تتضافر كلها — كما راينا فى غضون الفقرات السالفة — على تاكيد الاتجاه نحو تخفيف التوتر الدولى ، وترسيخ عوامل الانفراج بين الشرق والغرب ، كما انها لم تفتا تتكشف — فى نفس السياق — عن تصاعد فاعلية الدول الصغرى المتساكنة على ضفتى الحوض الموسطى ، وما اصبحت تستطيع احداثه من تأثيرات بناءة فى دعم الاتجاهات السلمية بالمنطقة ، وتقوية النزوع الى مزيد من التقارب بين مختلف الاتجاهات فيها ، وذلك رغما عن استمرار بعض بؤر التوتر فى عين المكان ، وبعضها مفتعل ولا مسوغ له (التوتر الذى احدثته السياسة الجزائرية فى منطقة المغرب العربى) .

ومن ايجابي المؤشرات المنبئة عن اهمية هذا الاتجاه في عالم البحر المتوسط :

أ ــ بدء تحول الراى العام الاوروبي ــ بعد حرب اكتوبر 1973 عن ايلاء المساندة المطلقة واللامشروطة لاسرائيل، وتفتحه التدريجي على القضية الفلسطينية.

ب ــ انبثاق فكرة الحوار العربي الاوروبي ، وتواتر اللقاءات فى نطاقها بين العرب والمجموعة الاوروبية لمحاولة ايجاد ارضية للتفاهم والتعاون بين الجانبين .

ج ــ تفتح بعض الاقطار الملتزمة داخل الاحلاف على المعسكر الآخر الذى تقف مبدئيا فى مجابهته بحكم التزاماتها التحالفية ،تطور العلاقات التركية والايرانية مع الاتحاد السوفياتي ــ ذوبان الجليد فى مضمار العلاقات الاقتصادية بين بعض اعضاء «الكوميكون» وبين الغرب بما فيه الاقطار الغربية المتوسطية).

د ــ تطور الاوضاع بالبحر المتوسط فى اتجاه تصفية آخر الجيوب الاستعمارية بالمنطقة ، (تصفية الاستعمار الاسباني بالصحراء المغربية) ووضع حد لبقايا الحروب الاستعمارية المنطلقة مصادرها من الناحية (انهاء الامبراطورية البرتغالية فى افريقيا) ومن الجلى ، اهمية المؤثرات الايجابية لهذه التطورات على صعيد الحوض المتوسطى ، علما بما ادى اليه بعضها (تصفية الاستعمار الاسباني) من تفادي بعض حالات الصراع التى كان من الجائز نشوبها فى المنطقة ، وما افضى اليه بعضها الآخر (تصفية الاستعمار البرتغالى) من اقصاء لمصدر من مصادر التطرف الاستعمارى الذى كان مشحونا ــ حالة وجوده ــ بالكثير من الاحتمالات المتفجرة .

و ــ الانعكاسات غير المباشرة للتقارب بين الشرق والغرب على اساس تحديد السباق فى موضوع الاسلحة الستراتيجية ، وتقريب شقة التفاهم بين طرفى القارة الاوروبية .

ومن الاكيد ان مزيدا من التلافى والتفاعل بين هذه النزوعات البناءة التى يتمخض عنها قطاع البحر المتوسط او تنعكس عليه ، لمما سيضاعف من فرص التعاون والتبادل فى المنطقة . ويعزز توافر الظروف التى يجب ان تفضي ــ كما تتمناه الاقطار المتوسطية الى جعل الحوض الذى تتساكن حواليه ، بحيرة سلام وتعايش .

من أساليب الحرب الفكرية والنفسية

للأستاذ ابو عبد الله عبد القادر البوشيخي

فى البداية اذكر بما جاء فى الحلقة السابقة (عزل الاسلام وعلمائه وتغريب المجتمعات الاسلامية) وهو أن عملية الغارة على العالم الاسلامى تمر الآن بمرحلتها الثالثة ، كانت المرحلة الاولى هجوما حاميا صارخا بالسيف والخيل والمنجنيق ، أرضه حوافر وحديد، وسماؤه رايات صليبية ودخان ونقع ونار ، وكانت الثانية هجوما سافرا صامتا أيضا ، أرضه دبابات وشركات واحتكارات ، وسماؤه الانجيل والقروض والمساعدة «والمحبة والاخاء والاحسان» اما المرحلة الحالية فهجوم صامت بارد مقنع ، خفى ملفوف ومغلوف ، أرضه أقلام وبيادق وأشباح ، وسماؤه العلم والفكر والثقافة والادب .

فما شعار الحضارة الحديثة وأعلام العلم وروايات الآراء المعاصرة ـ والمسيحية ايضا ـ الا ظلال واقنعة تخفى ملامح الوجه البشع للهجمة الشرسة الجشعة الحاقدة على الاسلام والمسلمين(1) ، لقد استفاد الغرب من المرحلتين السابقتين دروسا وتجارب وخبرات هدته الى اعادة الكرة ولكن بعد ان يضع على رأسه «طاقية الاختفاء»(2) أى أنه يطبق خدعة «حصان طروادة» بأسلوب عصرى مناسب ، وما هو هذا الحصان ؟ وكيف أسرج وملئت بنادقه بارودا وقيد ويقاد اليوم ؟

1 حصان طروادة قديم ، حصان طروادة جديد

حصان طروادة قديم حصان طروادة جديد ، ونعود الى الحصان القديم : طروادة مدينة فى آسيا حاصرها اليونان ـ 1193 ق‍م نظرا لحصانتها ومناعتها واستماتة أهلها فى الدفاع عن العرض والشرف ، وعندما لجأوا الى سلاح الخداع والحرب خدعة كما قال الرسول عليه السلام ، فصنعوا حصانا ضخما من الخشب فوق قاعدة خشبية تحملها عجلات من خشب ، وأدخلوا فى جوفه رجالا شجعانا مسلحين ، وتظاهروا بالانسحاب والعودة الى بلادهم تاركين بعض الاثقال ، وخرج أهل المدينة وجمعوا مخلفات المنسحبين ، وكان الحصان العجيب «أثمن» غنيمة باردة تدخل المدينة المنيعة

وفى الليل ـ والليل فى خدعة الحصان الحديث هو حالة الغموض التى تحدث عنها مالك بن نبى عشر سنوات دون ان يتمكنوا من فتحها واقتحامها حيث لا يتميز بكامل الوضوح العدو من الصديق والاعلى من الاجنبى والاصيل من الدخيل ـ وفى الليل

1 يقول المجاهد محمد محمود الصواف : وفى الحقيقة والواقع فان جميع حملات المستشرقين والمبشرين على الاسلام ومكافحتهم له ولمبادئه واهله ؛ ما هى الا ثمرات من الحروب الصليبية واتخذت حملات اليوم جلباب العلم الكاذب ، المخططات ص 116 .

2 يقول المرحوم مالك بن نبى : ان الاستعمار يعتمد فى حربه الفكرية على مبداين هما : مبدا الغموض ومبدا الفعالية فالمبدا الاول يقضى بالايكشف الاستعمار النقاب عن وجهه فى المعركة الا اذا لم تترك له الظروف حيلة ، فهو دائما او غالبا يستخدم قناع القابلية للاستعمار الصراع الفكرى طبعة ثانية ص 62 والذى يهمنا من كلامه فى هذه الحلقة هو مبدا الغموض الذى يتوسل الى اغراضه بالنقاب والقناع .

خرج الرجال المسلحون من جو فالحصان ، وذبحوا الحراس وفتحوا أبوب المدينة ، وأشعلوا نيرانا كان متفقا على اشعالها كاعلان عن نجاح الخدعة ، والنهاية معروفة ، فقد اقتحم اليونان المدينة واستباحوها وخربوها .

حصان طروادة الجديد : هاجم الصليبيون مدينة حصينة منيعة عالية الاسوار مسلحة الابراج حديدية الابواب اسمها الاسلام ، هاجموها ليس عشر سنوات فقط كما فعل اليونان ، بل قرنين كاملين ، وعندما تحطمت قواهم وانهارت معنوياتهم أمام مقاومة الاسوار الاسلامية رجعوا الى بلادهم يجرون اذيال الذل والحسرة والخيبة والخسران ، وهناك فكروا او قدروا ودبروا ، وانتهى تفكيرهم الى تطبيق خدعة اجدادهم الاقدمين ، فصنعوا «حصانا» من المبشرين والمستشرقين والمفكرين ـ اجانب و«اهليين» وملأوا جوفه افكارا ـ وبتعبير اصح الغاما ـ وادخوه الى مدينتنا الحصينة ، وقد خرج العملاء من جوف الحصان مسلحين بالغام وقنابل الافكار ، الا آن الحراس انتبهوا والقيادة متيقظة ، والمعركة الآن انما هي معركة أفكار بين المذاهب والمبادىء الاسلامية ـ التي عزلت وحوصرت في مرحلة ضعف بدأت تنحسر الآن ـ وبين الافكار والمبادىء التي تسربت تحت جنح الظلام الى بعض الابنية والمخابىء واختفت هناك وتقنعت ، ومن مخابئها ومكانها تنطلق القذائف والقنابل الفكرية الهادفة الى تخريب المدينة وتمكين المنسحبين من العودة ، والاستباحة والاستعباد .

واذا عدنا باذهاننا الى ما جاء في الحلقة الاولى من هذا المقال من الاقوال والآراء المتنبئة بيقظة الاسلام واستعادة سطوته وقوته ـ حكمنا حكما جازما أن نهاية المعركة هي انتصارنا وطرد الدخلاء رجالا وأفكارا ، وان الباطل كان زهوقا .

لكن الانتصار لاينزل هبة من السماء اذا لم نتوسل اليه بأسباب العمل ، ولو كان الله سبحانه ينصر الحق دون دفاع لما اضطر رسولنا عليه السلام الى خوض معارك طاحنة ضد وثنيي ويهود الجزيرة العربية ولما قاوم أجدادنا حملات التتار والصليبيين ، ولما تسلح مفكرونا ومثقفونا حاليا ببنادق الاقلام ورصاص الحبر ، وأداروا مدافع المطابع ، ونصبوا رادارات التصور ومراصد الاستقرأء لتتبع خط المعركة الفكرية ، واستنتاج قوانينها وحصر أساليبها ، وكشف أوكارها ومكامنها ، تمهيدا للهجوم المضاد ورد العدوان «والرأى قبل شجاعة الشجعان».

3 ـ الدفاع عن السكن ام الساكنين

أعتقد أن الجهود التي تبذل حاليا في عملية البعث الاسلامي ـ في العالم الاسلامي عامة والمغرب خاصة ـ يجب ألا تقتصر في مرحلتها الحالية على الدفاع عن الاسلام كعقيدة وشريعة صالحة لكل زمان ومكان ، والرد على الدعاوى المضادة والافتراءات والشبهات ، فبالاضافة الى أن الاسلام لم يعد هدفا مباشرا يهاجم مهاجمة سافرة داخل العالم الاسلامي وانما بوسائل مقنعة فان للقرآن الكريم قوة ذاتية ومناعة وحصانة الهية قادرة على رد وصد وتحطيم الافكار والمبادىء عندما تهاجمه مجردة من الاقنعة والأغفة واللقائف ، كما سأوضح في حلقة «القرآن والمبشرون» ولهذا أرى أن الجهود يجب أن تصرف أيضا الى الدفاع عن المسلمين وتبصيرهم بالوسائل الخبيثة التي تستعملها الحرب الفكرية في سبيل السيطرة على نفوسهم وتعطيل فعالية الاسلام الكامنة في أعماقهم .

انني أرى من التبذير والاسراف أن تصرف الاموال الطائلة والجهود والوقت في الدعوة الى عالمية الاسلام ، في الوقت الذي لا تزال فيه أرضنا مزروعة بافكار ومبادىء معوقة ومعرقلة لانطلاق الاسلام ، وفي الوقت الذي تعطى فيه حياتنا وسلوكنا ونظرتنا الى الوجود مثالا صارخا على تنكرنا للاسلام وأبعاده ومحاصرته وعزله !

ان الوسيلة السليمة والطريقة المثلى القوية لتحقيق عالمية الاسلام هي القدوة والمثال ، لا الدعوات والافكار والنظريات المجردة التي تسقط هامدة عند اصطدامها بالواقع الاسلامي المتخلف يجب أن يكون العالم الاسلامي برقيه وتقدمه وحضارته مثالا ومنارة وواجهة لماعة تجذب اليها بقية الشعوب الباحثة عن النور والحضارة الانسانية المتوازنة روحيا وماديا ، والشرط الجوهري الاساسي لبناء حضارة اسلامية راقية هو تطهير الارض الاسلامية أولا من الطفيليات والالغام وتنقية التربة وتصفيتها ، والا كنا كمن يبني قصورا فوق الرمال أو على أسس ملغومة .

فنقطة الانطلاق اذن هي المسلم هي الدماغ والقلب والنفس حيث تسكن وتعشعش وتفرخ الافكار التي بثها هناك رجال الحصان الطروادي ، فما دامت هذه التربة النفسية ملغومة فلن نتمكن اطلاقا من اقامة هيكل اسلامي سليم ، وما دامت هناك الافكار المعطلة لفعالية الاسلام ، فان هجماتنا على المبشرين والمرتزقة والمستشرقين والعملاء من أبناء جلدتنا لن تجدي فتيلا . يقول المرحوم مالك بن نبي في هذا الموضوع: «ويجب أن نضيف الى هذا أنه كلما وضعنا أنفسنا في فصل كهذا ـ يقصد محاربة الظل والقناع ـ فان الاستعمار سوف يكلف الاخصائيين في لعبة الظل ليصور لنا معركة خيالية تصرف المسؤولين في البلاد الاسلامية عن المشاكل الحقيقية ، وهذا ما نشعر به أولا ازاء بعض المشاريع ذات الشان، حينما يحاول من يقوم بها ، أو يجند الافكار والاقلام والاموال للدفاع عن الاسلام من هجمات المستشرقين، فاذا بالاستعمار يبدى ارتياحه لمثل هذه المشاريع حينما ياتيه نبؤها ، ان لم نقل أنه أوحى ، من بعيد بفكرتها، لانها سوف تصرف الاموال والاقلام والافكار عن الاشياء الجدية ، كما نشعر أنه سوف يبدى قلقة ، لو ان احدا انفلت من تأثير سحره وحاول ان يقول ان المشكلة ليست في الدفاع عن الاسلام الذى يجد في جوهره حصانته من عطاء الله اليه ـ ولكن في تعليم المسلمين كيفية الدفاع عن أنفسهم بما في الاسلام من وسائل الدفاع .

فالاستعمار يغضب حينما يتوقع بأن المشكلة سوف توضع هكذا ، اذ بذلك سوف يفلت من يده زمام الامور ، وان القضية سوف تخرج من عالم الميتافيزيقيا والظلام لتدخل عالم الجد ، وتصبح قضية مطروحة لعلم النفس والاجتماع لتدرس على ضوئها الشروط التي تشجع الاستعمار ، أو تنمى القابلية للاستعمار» الصراع الفكري طبعة ثانية ص 122.

فالمشكلة كما يراها مالك بن نبي وبعض الاصلاحيين الذين يرون ما يرى هي البحث في كيفية تخليص المسلم من « القابلية للاستعمار » والقابلية للاستعمار الفكرى تعني الذوبان في بيئة الغرب واعتناق مبادئه وفلسفته ونظرته شعوريا او لاشعوريا وبالتالي استعبادا واستسلاما له ، وقد تقدم أن الاستعمار الفكري وهو في طريقه الى غرس أفكاره يلجأ الى قناع يزرع بواسطته أفكارا معينة في نفس المسلم حتى اذا ذابت وانحلت وامتزجت بنفسه كونت الحالة المسماة بالقابلية للاستعمار انظر الهامش رقم 2).

والسؤال الاساسي هنا هو كيف نخلص المسلم من القابلية للاستعمار الفكرى ؟ وبالتالي كيف نمزق الاقنعة التي يختفي خلفها الاستعمار ـ ويتوسل بواسطتها الى تحقيق أغراضه دون مقاومة ـ ونكشف عن وجهه البشع الجشع الحقود فنعطل مفعول أفكاره ؟(3) .

للاجابة على هذا السؤال نعود ثانية الى حصان طروادة الجديد لنحلل تركيبه ونستخلص العناصر والمواد التي استعملت في بنائه ، وكيف استعمل كقناع وملىء جوفه بالاقنعة والاغلفة واللفائف .

نظرا للوقت الطويل الذى يستغرقه تحرير وقراءة تحليل هذا الحصان القناع ـ اذ يتكىء كلية على تقديم استشهادات من كتب ومراجع عديدة ، وتطبيقا لقاعدة من قواعد علم النفس تقول «ان الموضوع المفتوح أشد تأثيرا من الموضوع المغلق» وتعني في احد تطبيقاتها ان الحديث عن موضوع ما اذا ابتدا وانتهى في جلسة واحدة ، فان آثاره سرعان ما تتلاشى وتنسى بخلاف اذا ما بدىء الحديث بتمهيد قوى مثير ثم توقف قبل النهاية ، فان العقل الباطن يظل طوال المدة الفاصلة بين التوقف والاستئناف يفكر في الموضوع ـ رغم نسيان العقل الواعي له ـ

3 يعرف (انجلز) تلميذ وشريك ماركس ، ولاغضاضه في الاستشهاد برايه مادام حقا ولاسيما اذا كان ينصب على الحرب الفكرية التي يعتبر الشيوعيون قادتها واساتذتها حاليا بعد تلمذهم على الصهيونية مخترعة الحرب الفكرية ـ اقول يعرف الايديولوجية وهي الحرب العقائدية كمايلي : «هي مجموعة من الافكار تعيش حياة مستقلة لا تخضع الا لقوانينها الخاصة . ان ظروف الحياة المادية التي يحياها الرجال الذين تجرى في ادمغتهم هذه العملية الفكرية تقرر في التحليل الاخير خط سير هذه العملية . ولكن اولائك الرجال يجهلون تلك الحقيقة ولو عملوا بها لكانت انتهت الايدلوجية . النكسة والخطا اولى ص 33 .

صارفا جهده فى هضم وتمثيل الجزء المتقدم من الموضوع ، محاولا تصور النهاية ، باعثا فى النفس الشوق والرغبة فى استقبال الجزء الذى لا زال مجهولا وكشف غموضه وانها، حالة التوتر التى أوجدها الانتظار . (وهذه احدى القواعد الهامة التى تعتمد عليها الحرب الاعلامية) نظرا لكل هذه الاعتبارات ارجىء الجواب عن السؤال السابق ـ كيف نمزق قناع الاستعمار ـ الى حلقة قادمة بعنوان «حصان طروادة الجديد» .

وابادر فاقول اننى باستعمال هذا الاسلوب التشويقى لا اقصد به السادة العلماء الافاضل المطلعين على اوكار ومخابىء ومكامن الافعى النفسية والمتتبعين لاتجاهات وتمددات اذرعها الاخطبوطية ، ومراوغاتها وخبث وسائلها فى نفث سمومها ، والعارفين باسرار واساليب الحرب الفكرية اضعاف ما اعرف ، وانما اقصد بالذات طبقة خاصة من المثقفين ، اخذوا بالاساليب التبشيرية ـ الدينية والفكرية ـ وخدعوا ببريق الحضارة الغربية (4) فاصبحوا مبشرين بها دون ان يفطنوا الى ما فى خباياها وثناياها من بذور التخريب والتدمير لكيان مجتمعهم وكيانهم ذاته ، وبعملهم هذا اصبحوا يكونون قطعة او مسمارا فى الحصان الطروادى دون أن يشعروا .

(4) لست ادعو الى رفض الحضارة الغربية جملة وتفصيلا ، ففيها لباب وقشور ، وقد أشرت سابقا الى الفرق بين التحديث والتجديد ، والتغريب .

سئل لابلاس العالم الفلكي الشهير ، صاحب الراى السائد ان العالم تكون فى بدايته كرة ضبابية تفجرت وصدرت منها الاجرام السماوية ومنها ارضنا ، سئل « لماذا لم يذكر الله فى ابحاثه الفلكية ؟ فاجاب : لاننى لم اجد حاجة الى ذلك ، لان الله خلف كل بحث تناولته او اي رأي ابديته . الله خلق كل ظاهرة فى الكون والطبيعة والحياة » .

الشاعر الوزير محمد بن موسى (1)

دراسة في شعره

بالأستاذ محمد المنتصر الريسوني

تمهيـــــــــد

شدني الى شعر ابن موسى اعجاب قوي منذ سن مبكرة من حياتي ، سن الطلب والتحصيل ، تلك السن التي تبرعمت خلالهـا فى الاعماق الرغبـة فى ارتياد آفاق المعرفة ، فالهب الاصرار العــزم على المضي فى الطريق قدما لاكتساب المعارف لاجـل المعارف وحدها ، وضمن هذا الولع بالمعارف اتفقت مع بعض الاخوان على انشاء مجلة اسميناها (النصر) تيمنا بالنصر الذي أحرزه المغرب فى انتفاضته على الاستعمار البغيض الغاشم ، وحصوله على سيادته واستقلاله ، وكان ذلك فى محرم عام 1377 موافق غشت 1957 وصدرت المجلة ، وبدأنا ننشر فيهــا بواكير اعمالنا ، وشارك فيها اساتذتنا ، واخــوان آخرون بانتاجاتهم ، وكان اخي الاستاذ محمد ابــو خبزة من الذين يشاركون فيها ، فمدنا بقصائد شاعرنا — وكان من اصدقائه المقربين — واذكر أن اول عمل شعري نشرناه له مولدية رائعة يقول فى مستهلها :

واها لعهد بأكناف الحمى سلفــا
لم أستطب أسفا من بعده خلفا

الوى فما جذوة الاشواق كاتمة
وجدا ولا الدمع فى اخمادها وقفا(1)

وهكذا اخذنا ننشر لشاعرنا انتاجه الشعــري طيلة صدور المجلة المذكــورة الى أن توقفــت عن الصدور عام 1380 .

وشاء الله لي ان اطلع على أعمال ابن موســى رحمه الله ، وان احتك به احتكاكا ، وان أعيش معه لحظات مفوفة خصبة فى عالمه الشعري المعطــاء ، فأعجبت به اي اعجاب ، وليس من تفسيــر لهــذا الاعجاب الا انني وجدت فى عمله اصداء شعرائنــا القدامى الذين صاحبتهم مدة غير قصيرة ، واستظهرت نماذج من اشعارهم امثال المتنبي وابى تمام والبحتري وابن الرومي وغيرهم من اقطاب الشعر العربي .

تلك هي صلتي الاولى بشعر ابن موسى ، وبعد مرور الايام والسنين وجدت نفسي مشدودا مــرة اخرى الى شعر هذا الشاعر فاكببت على قراءته مرة اخرى وعشت معه ردحا من الزمن أتأمله بامعــان ، مستمتعا بخصب العطاء ، وقوة التعبير وصفاء اللغة وصدق الشعور ، فاتضحت لي ملامحه الشعريـة وخصائصه بجلاء ووضوح ، مما جعلني احله من نفسي محلا عزيزا اكثر من ذي قبل ، وعــن لي أن أجمــع شعره — وكذلك نثره — بعد ان اقتنعت مع نفسي ان الرجل له وزن كبير وثقيل فى شعرنا العربي بعامــة

(1) مجلة النصر العدد الثاني — السنة 1 — صفر — ربيع الاول عام 1377 — شتنبر — أكتوبر 1957 ص 6 وما بعدها .

والمغربي بخاصة ، وانه يمتلك شاعرية من الطـــراز الكلاسيكي الفريد لا يشاركه فيها ــ بدون مبالغة ــ احد من معاصريه الا القليل النادر جـــدا ، لذلــك اعتبره ــ كما سياتي في الدراسة ــ خاتمة الكلاسيكيين في المغرب على النمط الرفيع ، وهذا ما دفعني الى ان اكتب عنه بحثا تحت عنوان (محمد ابن موســى شاعر من الجيل الماضي) بهذه المجلة (2) ، سلطت فيه الاضواء على اعماله الشعرية وعرفت به كشاعر كلاسيكي متميز بقوة النسج والنفس الطويل ورصانة التعبير وثراء الخيال .

وسرت في الطريق ، وعزمة الاصرار تشد من ازري ، اجمع شعره ونثره مما ليس تحـت يـــدي لتحقيقهما ودراستهما دراسة وافية ونشرهمـــا ، وراجعت المجلات والصحف (3) التي تولت نشـــر انتاجه والتي كان اكثرها يصدر بتطوان ، واتصلـــت باخي الاستاذ محمد ابي خبزة السالف الذكر باعتباره صديق الشاعر ومن المعجبين بشعره فغمرني بفضله وكرمه ــ وسوف لا انسى له هذه اليد السخيـــة ــ وامدني بما عنده ــ وهو الكثير ــ من اعمال الشاعر الشعرية والنثرية في حاتمية ــ كما هي عادته دائما في مجال الفكر ــ ولولا امداده ما رات هذه الدراسة النور ، وما تسنى لي تحقيق ديوانه ، واتصلت كذلك بأستاذي الجليل السيد عبد الله كنون وبالاخ الاستاذ السيد سعيد اعراب وخالي الاستاذ السيد الحسن ابن عبد الوهاب فامدوني بما لديهم من شعر ابن موسى ــ جزاهم الله خيرا على لغة القرآن ــ واستطعت بفضل الله ثم بفضل هذه الصفوة من الاساتذة ــ ان اجمع جل ما تندت به يراعه شعرا ونثرا ، غير انني آثرت الاقتصار على تحقيق شعره ليس غير ، واثبات ملحق لبعض نماذج من نثره الجيد في آخر الديوان مع دراسة مقتضبة عنها مرجئا اخراج نثره ودراسته باسهاب الى فرصة أخرى ان مد الله في العمر .

هذه قصتي كاملة مع شعر ابن موسى ، وهذه هي دراستي عن شعره سأوالي نشرها في حلقات ان شاء الله بهذه المجلة . حاولت فيها اعطـــاء لمحـــة تاريخية عن شعرنا المغربي منذ القـــرن الماضـــي والتركيز على الروافد التي امدته انطلاقـــا لدراسة شعره ، كما حاولت الكشف عن حياة الشاعر بما توافر لدى من معلومات عنه ، واستقراء ثقافته من خـــلال شعره ونثره وتقرى المضامين التي عالجها والسمات الفنية التي تميزت بها والقيم الشعورية التي رفدت عمليته الشعرية ،وقد استقطبت ذلك في فصلين اثنين :

الفصـــــل الاول :

تمهيـــــــــد

حيـــاة الشاعـــر

ثقـافتـــــه

الفصــــــل الثانـــي :

شعره ــ خصائصه الفنية

المضمــــــون

1 ــ المــدح 2 ــ الرثـــاء 3 ــ الغـــزل 4 ــ الاخوانيات 5 ــالتوســـلات والاستغفـــارات 6 ــ الوصف 7 ــ الهزليات والاجتماعيات .

1 ــ الوزن 2 ــ البديع 3 ــ التشخيـــص 4 ــ ندواة العاطفـــة .

فالدراسة ــ في الحق ــ استوعبت ــ حسب الطاقة ــ بالتحليل والتقييم حياته وثقافته ومكانتـــه الشعرية من حيث المضمون والشكل .

ومهما يكن من أمر فهذه دراستي عن الديوان ، وغايتنا هي خدمة لغتنا الاسلامية ، لغة القـــرآن ، وابراز ما لها من فضائل ومزايا لا تحصى ، وغايتنا كذلك الكشف عن الطاقة الشعرية لشاعر مغربي يكاد يكون مغمورا لدى كثير من مثقفينا ، ذلك الشاعـــر الذي سخر قلمه ، ووظف امكاناته الفكرية لخدمـــة الثقافة في هذا البلد ، وابراز القيم الاسلامية وخاصة في مولدياته الفريدة وتوسلاته التي حفلت بالصدق الشعوري والروح الايمانية والاشراق الوجدانـــي ، وارجو الله ان اكون قد وفقت في هذه الدراسة التي لا ازكيها ولا ابرئها من التقصير غير المقصود ، ولكنها على كل حال ثمرة عمل استفرغت فيها جهد الطاقة غير ضنين بوقتي ، فاذا كان هناك توفيق فمن الله ،

---

(2) العدد الثاني ــ السنة 12 ــ رمضان ــ شوال ــ 1388 ــ دجنبر ــ يناير 1969 ص 65 .

(3) ارى من الواجب أن اشكر لقســـم الصحف بالمكتبة العامة بتطوان مساعدته الطيبة في هذا الشان.

واذا كان هناك أثارة من شطط فمني والكمال لله وحده ومنه أستمد العون وعليه قصد السبيل .

= × =

شهد الشرق العربي في القرن التاسع عشر انبعاث الحركة العلمية والادبية وخاصة حين تولى محمد علي عرش مصر ، فعمل على انشاء دولة قوية ترتكز على أسس علمية ، لذلك قامت نهضة شاملة في الجيش والصناعة والزراعة والتعليم والاداره ، وحينذاك نشطت حركة البعثات والطباعة وتأسيس المدارس ونقل آثار الامم الغربية .

وكان المغرب في هذه المرحلة التاريخية بالذات ضاربا على نفسه العزلة ، لا تربطه بالشرق أو الغرب علاقة خصوصا وانه لم يكن تابعا للسيادة العثمانية التي كانت تدين لها الجزائر وتونس ، ذلك انه كان ـ كما هو معروف عن تاريخه ـ يتمتع بكيان مستقل.

وحين سقطت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي سنة 1830 وتونس سنة 1881 م اصبح المغرب يحتاط اكثر في علائقه بالغرب بعد أن تحققت اطماعه السياسية في الجزائر وتونس وغيرهما .

وهكذا تقوقع المغرب على نفسه في هذه الفترات التاريخية العصيبة خوفا من ان يضحى لقمة سائغة للاستعمار البغيض ، الذي لا يتورع ابدا عن التفكير في الوسائل الشيطانية للاستيلاء على اراضي الشعوب من اجل استنزاف خيراتها واذلال اهلها واستعبادهم واسترقاقهم .

وفي معركة (اسلي) (4) عام 1260 هـ الموافق 1844 م هب المغرب لانجاد اخوانه الجزائريين ، فاشتبكت قواتنا المغربية مع القوات الفرنسية في الحدود الشرقية ، ومنذ تلك الحقبة تحلبت أشداق الاستعمار الفرنسي للاستيلاء على البلاد المغربية الجنوبية ، كما طمعت اسبانيا في الاستيلاء على شمالها حين اقدمت على احتلال تطوان سنة 1276هـ الموافق 1860 م .

وكل هذا حفز الاستعمار الحقود الى ان يفكر جديا ، ويبيت النية الخبيثة في غزو ديارنا فتوالت المؤتمرات والاتفاقيات لتنفيذ المخطط الامبريالي الجهنمي ، ثم بعد ذلك تحقق حلم الاستعمار بتوقيع عقد الحماية سنة 1912 م .

والحق ان المغرب لم يكن مكتوف الايدي امام هذه الدسائس الخطيرة والاطماع الاستعمارية السافرة ، فقد بذل قصارى جهده في الدفاع عن سيادته ، والذود عن كرامته ، كما قام باعمال في الميادين العسكرية والتعليمية ، وكل ما له صلة بالنهضة العلمية اذ اعتنى بايفاد البعوث الى مصر ايام حكم السلطان محمد الرابع ، وكان من المتخرجين من مصر الطبيب عبد السلام العلمي (5) والجغرافي احمد شهبون (6) ، واعتنى كذلك بايفاد البعوث الى اوروبا ايام السلطان مولاي الحسن الاول ، وقد اورد في هذا الشأن ابن زيدان في كتابه (العز والصولة في معالم نظم الدولة) (7) أسماء الاشخاص الذين تخرجوا من المعاهد الاوربية في العلوم الهندسية والرياضية ، فمن فرنسا تخرج الطاهر بن الحاج الودبي والقاسم الودبي ومحمد بن الكعاب الشركي ، ومن انجلترا محمد الجباص الفاسي والزبير سكيرج ومن ايطاليا المختار الرغاي البخاري ومحمد بناني الفاسي وعبد السلام الودبي ، ومن اسبانيا احمد بن العباس بن شقرون الفاسي وعبد السلام الرباطي ومحمد الشرادي الرباطي ، ومن المانيا الميلودي الرباطي والحسين الودبي وعبد السلام الدسولي . كما توجهت الى جبل طارق مجموعة كبيرة من الاشخاص قصد تعلم الفنون الحربية هناك وتتشكل هذه المجموعة من 280 شخصا منهم علال بن بلا المراكشي ، والمختار بن ناصر المراكشي والعربي بن التاودي السقاط الفاسي وغيرهم .

يتبع

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

(4) راجع بتفصيل الناصري الاستقصا ج 9 ، ص 49 ومابعدها طبعة دار الكتاب ـ الدار البيضاء 1956

(5) من انتاجه الطبي شرح الوزكاني ، وضوء النبراس في حل مفردات الانطاكي بلغة فاس ، والبدر المنير في علاج البواسير ـ انظر ابن زيدان الدرر الفاخرة ص 95 ـ المطبعة الاقتصادية الرباط ، 1356هـ 1937 م

(6) له مصنف في الجغرافية تحت عنوان (الجغرافية المغربية) يتضمن صورا وخرائط ـ المصدر السابق ص 95 وما بعدها .

(7) ج 2 ـ ص 150 وما بعدها المطبعة الملكية 1382 هـ ـ 1962 م .

الروح والايمان

للأستاذ محمد حمادي العزيز

تبدا الروح وجودها فى فكر الله الخالق .

وهى خالدة خلودا ابديــا (1) .

وترتبط ابديــة خلودهــا بازليــة الله الخالق وسرمديتــه .

وبأمر الكينونة من الله الخالق تكون الروح روحا ، وتحيا كما قضى عليها وقدر لها .

وهى رسوله (2) الالهى الغيبى المباشر فــى اعماق كل انسان ، كائن من كان ، فى اى مكان وفــى اى زمــان .

ولهذا فهى الواسطة الغيبية المباشرة التى تنقل الاشعاع الالهى الى الانسان ليشرق فى اعماقه بأنوار الايمان ، والهدى ، والرشد والخير ، والمعرفــة ، والحكمـــة .

والله الخالق هو المؤمن الازلى السرمــدى ذو الايمان الدائم اللانهائى اللا محدود .

انه سبحانه وتعالى يؤمن بنفسه ، ويؤمن بوجوده ، ويؤمن بكل من وما أوجد من مخلوقات وموجودات .

وهو يحب الايمان لكل انسان كائن من كان ، فى اى مكان وفى اى زمان كان .

والاصل فى الروح التى يتعلق وجودها بوجود الله الخالق، وبأمره وترتبط ابدية خلودها بازليته وسرمديته، وتبدا فكرة ايجادية فى فكره الالهى المؤمن ان تؤمن بالله، وتكون روحا مؤمنة .

ان هذا الايمان فرض عليها لانها تبدا فى الفكــر المؤمن لله الخالق المؤمن من الازلى السرمــدى ذى الايمان المطلق اللا نهائى اللا محدود .

ويعنى كل هذا ان للروح علاقة وثيقة بالايمان ! فهى تبدا فى الفكر المؤمن لله الخالق المؤمن !

وهى بالايمان وجدت وخلقت .

وهى فى مراحل وجودها وحياتها تتعلق بالايمان الالهــى .

واذن ، فالاصل فى الروح انها تبدا وجودهــا بداية ايمانية أصيلة وتكون فى بدايتها هذه مؤمنة !

والمفروض انها يجب أن تستمر بعد بدايتها هذه فى طريق الايمان وتظل مؤمنة ، وتخلد مؤمنة !

---

1) راجع مقال « الروح والخلود » .

2) عن عبد الواحد بن زيد قال : سألت الحســن عن علم الباطن فقال : سألت رسول الله عــن الباطن فقال : سألت الله عز وجل عن علم الباطن لا يقف عليه احد من خلقى « والسراسم مــن عن علم الباطن فقال : سألت حذيفجة بن اليمان علم الباطن فقال : « سألت جبريل عن علــم فقال : هو سر من سرى ، اجعله فى قلب عبدى، اسمــاء الـــروح » .

واما ان تؤمن وتكون مؤمنة ، أو لا تؤمن، وتكون غير مؤمنة فتلك قضية تتعلق بالظروف البئوية السائدة فى المجتمع الذى ينتمى اليه الانسان ، وبجميع ما فيـه من عقائد ، وطقوس وايديولوجيات وأعراف ، وتقاليد ، وغيرها ، وتتعلق ايضا باختيار الانسان نفسه !

والروح المؤمنة فى الانسان المؤمن تعرف انـه يوجد الله الخالق ، الذى خلق الوجود والحياة والكون ، وخلقها لتتمتع بالوجود والحياة والخلود ، وتؤمـن بـــه !

وايمانها هذا ايمان مباشر بالله الخالق .

اما فى حالة عدم ايمانها بالله الخالق ايمانـــا مباشرا ، فى حالة الانسان الذى لا يؤمن فان الايمان يمكن أن يكون موجودا ، باية صورة غير مباشرة ، يمكن ان تعوض الايمان المباشـر بالله كالايمان بالوجـود اللا نهائى اللا محدود ، والايمان بخلود الروح ، والايمان بوجود مبرر على مطلق لوجـود الوجود والكـون والحيـــاة .

والايمان المبـــرر العلى المطلق للوجود هـــو نفسه الايمان بالله ولكن بشكل آخر ، بشكل ضمنـى فيه احتياط او حذر ، أو فيه مرونة وتهرب واع ذكى من الايمان المباشر بالله وما يترتب عليه من مسؤوليات .

ويمكن اعتبار الانسان الذى وصلت الى اعماقه احساسات ايقانية بوجود حياة بعد الموت وبخلـود الروح باية صورة تأويلية من الصور الفلسفية هـو انسان مؤمن بالله الخالق بصورة غير مباشرة شعوريا اولا شعوريـــا .

وان الانسان عندما يرفع عينيه الى السماء يتأمل كواكبها ونجومها ، وسحبها ، وغيومها وزرقتهـــا اللا نهائية فانما يتأمل فى الله الخالق تأملا لا شعوريا ان كان لا يدرى شيئا عن الخالق وعن الايمان به ، أو تأملا شعوريا ان كان يعرف عنه سبحانه وعن الايمان بـــه اشياء كثيرة ، ولقد اكتسب هذا التأمل فى السمـــاء زرقتها اللا زوردية نوعا من القداسة ، فاصبح اللون الازرق محبوبا لانه يذكر الانسان بالامتدادات السماوية البعيدة حيث يوجد الله الخالق ، وحيث توجد الجنة ، وحيث حياة الخلود الابدى ، وحيث يوجد الهناء والصفاء، وبهذا صار اللون الازرق معاد لا للون الابيض .

ولله الخالق فى كل لغة من اللغات ، وفى كل لهجة من اللغات ، وفى كل لهجة من اللهجات اسم اعظـم واسماء حسنـــى .

ومنذ القديم عرف الانسان الله الخالق معرفـة واضحـــة مباشـــرة .

ومنذ القديم ايضا عرفه معرفة رمزية غير مباشرة لاسباب بئوية ومجتمعية وسياسية وطقوسية عديدة .

وكثيرا ما كانت الرموز تغطية اضطراريــــــة للحقيقة الالهية خوفا من العذاب والاضطهاد والهلاك .

ان فى لا شعور كـل انسان كما فى وجدانـــه (ضميره) ايمانا بالله الخالـــق بصورة مباشــــرة أو بصورة غير مباشرة .

ومهما استطاعت قوة التأثيرات البئوية والمجتمعية والسياسية والطقوسيـــة والايديولوجية المتنوعـــة ان تسيطر توجيهيا على الانسان وتمنعه من التدين بصورة ظاهرية فانها لن تستطيع ان تدخل اعماقه ووجدانـــه (ضميره) او لا شعوره لتبعده عن الله الخالق او لتمنعه من الايمان به باطنيا .

ان الانسان حر داخل اعماقه ، وهو يستطيـع ان يستبطن ايمانه بالله الخالق استطانا ذكيا ويتمه فى لا شعوره مثلما يكتم جميع ذكريات حياته ، وبامكانه ايضا أن يصونه فى وجدانه (ضميره) صيانة لائقــة اريبـــة (4) .

وازاء قوة التأثيرات البئوية والمجتمعية والسياسية والطقوسية المتنوعة والايديولوجية لا يجد الانســان من مفر الا ان يتخذ لنفسه قناعا يستر به اعماق لا شعوره ووجدانه (ضميره) !

وحقيقة الايمان (5) فى اللا شعور والوجدان تختلف عنها فى الواقع الحيانى الظاهر كما تبدو فى القناع

---

4) وكمثال مؤمن فرعون الذى كان يكتم ايمانه .

5) نقل عن ابى حنيفة انه قال : « ايمانى كايمان اهل السماء والارض وجبريل والملائكة باعتبار ان الايمان اعتقاد فقط والعمل كله خارج عنه » انظر صفحة 97 من كتاب « التعرف لمذهب اهل التصوف » تأليف تاج الاسلام ابو بكر محمـــد الكلاباذى الطبعة الاولى سنة 1969 القاهـــرة مصـــر — (الهامش 2) .

الاصطراعى الذى وضعه الشعــور ليتقى به عقــاب قــوة التأثيرات البثوية والمجتمعيــة والسياسيــة والطقوسية والايديولوجية المتنوعة .

ولاينبغى أن يحار القارىء فى هذا فالروح من أمر الله ، وهى رسوله الغيبى المباشر فى أعماق كل انسان كائن من كان ، فى أى مكان وفى أى زمان .

واذا كانت قوة التأثيرات البثوية والمجتمعيــة والسياسية والطقوسية والايديولوجية المتنوعة تستطيع أن تحكم على ما هو انسانى فانها لن تستطيع ابــدا أن تنال بأى حكم من احكامها ما هو الاهى .

وعندما يموت الانسان يبقى القناع الذى تتنع به فى الواقع الحياتى الظاهر مجرد ذكرى دنيوية ويدفــن جسمه فى التراب ويتلاشى ، أما روحه فانها وحدها التى تبقى خالدة لا يعلم ما كانت تخفيه وتكتمــه الا خــالقهــا !

وعندما يستقر الايمان فى اللا شعور استقرارا مكينا فانه يسمو بوعى الانسان ويرقى بوجدانه .

وان أصدق وأوثق من وما يثق به الانسان هــى أعماقه الذاتيــة .

وهذه الاعماق تريد أن تقتنع اقتناعا ذاتيا عــن طريق الدراسات التأملية الباطنية الواعية الهادئــة الصامتة لتعرف معرفة حقة وتؤمن ايمانا حقا .

وليس الوجدان (الضمير) الا يقظة اللاشعــور وتفتحه للشعور (الوعى) من جديد تفتحا واعيا ايجابيا وملتزمــا .

ــ وهل يوجد انسان لا يحمل فى لا شعوره شيئا ولو قليلا جدا من المعرفة بالله ، والايمان به ، وبالدين ، وبالمقدسات ، وبالطقوس الخاصة بالعبادات ؟

والجواب علــى هذا السؤال هو :

ــ كلا ! ولا ينبغى أن يكذب الانسان على نفسه ابــدا !

ويعرف الايمان ، ويهتدى الى الدين ان لم يكن يعرفه . فبواسطة الروح يعرف الانسان الله الخالق ،

واذا اراد الانسان الا يعرف أى شىء ولولا شعوريا عن الله الخالق فليبعد الروح عنه ان استطاع !

ان الروح كرسول غيبى مباشر لله فى كل انسان واجبها ان تعرفه بالله ، وبالايمان به .

وفى حالة الانسان المؤمن فان الايمان بالله يوجد فى اللا شعور ، والشعور ، والوجدان وجودا متجليــا فى كل آن .

أما فى حالة الانسان غير المؤمن فان ادراك وجود الله يوجد فى اللا شعور ، ولكن ذلك الانسان لم يــرد ان يهتدى اليه ولم يرغب أن يؤمن به ، لهذا لم يتجل فى شعوره وفى وجدانه تجليا حقيقيا ظاهرا فى كــل حيــــن .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نفهم كثيرا مــن الحالات النادرة عن الصوفيين الفلاسفة ، وعند الفلاسفة الصوفيين .

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى فى القــرآن الكــريــم :

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » (6) .

« وفى انفسكم أفلا تبصرون » (7) .

« وهو معكم اين ما كنتم » (8) .

اذا كان الله الخالق يعلن فى هذه الآيات قربه من الانسان المخلوق فهل من المنطق أن ينكره الانسان ؟

ولنتأمل الآيات البينات السابقة تأملا عميقــا لنعرف عظمة الروح التى يشعر بها كل انسان منا فى أعماقه ، ولا يعلم من حقيقتها شيئا ، ولا حول له ولا قوة فى أى أمر من أمورها ، لانها من أمر الله الخالق وحــــده !

---

6) الآية 16 من سورة « ق » .
7) الآية 21 من سورة الذاريات .
8) الآية من ســورة

ولنتأمل أيضا فضل الله الخالق الذى هو أقرب الى كل انسان منا من حبل الوريد فى عنقه والذى هو مع كل منا اين ما كان ، وفى كل آن !

ان حبل الوريد فى عنق كل انسان ليس روحا ، ولذا فهو ليس واسطة الاتصال بالله الخالق .

والروح شىء آخر غير حبل الوريد ، وهى الرسول الغيبى الذاتى المباشر لله الخالق فى كل انسان كائن من كان فى كل مكان وفى كل زمان ، ولهذا فان الله سبحانه وتعالى قريب الينا بواسطة الروح التى فى أعماقنا ، والتى تبعث الحياة فى الدماء الحارة المتدفقة فى حبل الوريد بالعنق !

هذه النفس ، او الروح ، عندما تؤمن ، وتتزكى ، وتبلغ ذروة صفائها واطمئنانها تفيض عليها نعم الله الخالق ، وعندئذ يشعر الانسان انه قريب جدا جدا من الله اللطيف الخبير !

ومن أقوال الصوفيين المشهورة : « من عرف نفسه عرف ربه » !

وقديما وجد الفيلسوف سقراط الاثينى هذه العبارة الشهيرة : « اعرف نفسك » مكتوبة على باب معبد دلفى ، واتخذها شعارا لفلسفته ودعوته .

وتعد الآية « وفى انفسكم افلا تبصرون » بالنسبة للانسان المسلم بصفة خاصة ولكل انسان بصفة عامة أمرا الاهيا صريحا بوجوب التأمل فى النفس ، ودراستها ودراسة ما يجرى فى أعماقها ، ومعرفتها المتيقن من فضل الله الخالق والايمان به .

حقا ، ان الانسان لا يستطيع أن يتوصل الى معرفة سر الروح ، ولكنه يتمكن من دراسة تجلياتها ، ومظاهر نشاطاتها المتنوعة وتحليلها والاحاطة بها علما والاستفادة منها فى فهم وجوده وحياته .

وعليه ، فان التأمل فى النفس ، والنظر فى شؤونها ، ودراستها واجب علينا أمرنا الله به !

ولنتأمل فى نعمة من النعم الكبرى التى وهبها الله الخالق لكل انسان وهى معيته عز وجل له .

فالله سبحانه وتعالى مع كل انسان كائن من كان فى كل مكان وفى كل زمان ، يرى ، ويسمع ويهب ، ويرحم ، ويتوب ، ويغفر !

والروح التى يشعر كل انسان بها فى أعماقه هى واسطة هذه المعية الالهية العظيمة .

افلا يجب على الانسان الذى فى أعماقه هذه الروح التى تبدأ وجودها فى الفكر المؤمن لله المؤمن الازلى السرمدى ، والتى هى من أمره ، وسر من أسراره الالهية ، والتى بفضلها يتمتع الانسان بمعية الله الخالق الابدية الدائمة ان يؤمن به سبحانه وتعالى، ويكون مسلما حنيفا .

أو ليس من المنطق والمعقول انه أولى بالروح التى تبدأ وجودها بداية مؤمنة فى الفكر المؤمن لله المؤمن الازلى السرمدى أن تحيا كل مراحل وجودها وحياتها مؤمنة ، وتخلد مؤمنة ؟

أو ليس من واجب الروح التى تتمتع بمعية الله الخالق أن تكون مؤمنة وتخلد مؤمنة لتحافظ على هذه النعمة العظمى ؟

واذا كان الله الخالق مؤمنا ايمانا أزليا سرمديا أفليس من واجب المخلوق أن يكون مؤمنا ايمانا أبديا ؟ !

لقد بدأت الروح بالايمان !

ويجب عليها أن تستمر مؤمنة فى طريق الايمان .

ولا مناص لها من الايمان اذا ارادت أن تخلد خلودا أبديا منعمة فى الجنان !

* * *

لقد آمن الانسان منذ بداية الوجود الانسانى بالروح وبالمادة فى كل مكان وزمان ، وميز بينهما .

فالروح عنده ليست المادة .

والمادة ليست الروح .

الروح روح والمادة مادة .

وهذا أمر عند الانسان معروف ، وواضح ، وصريح لا يقبل الشك أو الجدل .

ورغم أن الروح روح والمادة مادة فانهما تتصلان، وتتلاقيان ، وتتكاملان بل وتتدخلان ، لان المادة لا تتحرك بدون روح ، وتظل جامدة هامدة ساكنة حتى تتصل بها الروح فينبعث فيها الوجود وتتدفع فيها الحياة .

ويدل هذا على توأمتهما ، ووجوبه وضرورته لتكامل الوجود للانسان وتستقيم حياته .

وهذا أمر عند الانسان معروف ايضا .

واذا كان الانسان لا يعرف سر الروح فانه يعرف اليوم الكثير من مظاهر نشاطاتها السلوكية كنفس .

ورغم وجود المادة فى متناول الانسان وتقدمه فى الاحاطة علما بشؤونها فانه لا يعرف من أمرها ايضا الا القليل .

ومهما بلغ من تشيع الماديين للمادة وايمانهم بها فانهم لا يستطيعون نكران الروح وجحود فضلها .

وما داموا لا يستطيعون نكران الروح ولا جحود فضلها فانهم يؤمنون بها ايمانا ضمنيا بل ايمانا حقيقيا .

وما داموا يعرفونها كرابط غيبى مباشر بين الله الخالق وبين الانسان المخلوق فانهم ، اذن ، يؤمنون ضمنيا بالله ان لم يكن فى مستطاعهم ان يؤمنوا به حقيقة .

والايمان الضمنى تمهيد للايمان الصريح العلنى !
والفرق بين ايمان صريح علنى وبين ايمان ضمنى مستتر هو الاعلان فقط !

والله الخالق العليم مطلع على الايمانين معا .

ومن المهم جدا ان يعرف الانسان المؤمن ضمنيا وتستريا ان الله الخالق عالم بايمانه المكتوم ، وان روحه رسول الاهى غيبى مباشر فى أعماقه يصله بخالقه .

والدعوات الروحية تؤكد وجود الروح ، وهى بالتالى تؤكد وجود الله ، وتؤكد الايمان به !

وهذه وحدها خدمة جليلة للايمان بالله .

وأمام دعوات مادية طاغية تقف الدعوات الروحية سدا منيعا يؤكد وجود الروح ، ووجود الله والايمان به ، ويضحد دعواها وزعومها .

وهذه ايضا خدمات أخرى مهمة جدا للايمان .

ويكفى هذا فقط بالنسبة لموضوع هذا المقال !

ان الايمان بخلود روح الانسان يؤكد خلود الله خالق الروح !

واذن ، فان الانسان الذى يؤمن بروحه ، وبخلودها يؤمن بالله الخالق وازليته وسرمديته !

وهذه هى النتيجة المطلوبة .

والان وقد وصلنا الى هنا الى هذه النتيجة يحسن بنا ان نعود ثانية لنتذكر قول الله الخالق العظيم فى القرآن الكريم : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

لقد اتضح لنا الآن عظمة أمر الله الخالق لنا بالتأمل والنظر فى أنفسنا ، دراستها واهميته وقيمته .

واتضحت لنا ايضا قيمة الدراسات الروحية والنفسية وأهميتها .

ولهذا يجدر بنا ان نستجيب لامر الله الخالق ، وتجعله عنوانا وشعارا لجميع دراساتنا الروحية والنفسية .

وللدراسات الروحية والنفسية ، كما هو معلوم ، قيمة كبرى بالنسبة لحياة الانسان فى الدنيا على الكوكب الارض وحياته الاخرى بعد الموت .

واذن ، هذه الروح المجهولة كروح يجب أن نعرف من أمرها ما نستطيع معرفته .

وهذه الروح المعروفة كنفس يجب ايضا أن نعرف من أمرها الكثير الذى نستطيعه .

— ولماذا ؟

والجواب هو ان هذه المعرفة تفيدنا فائدتين مهمتين :

أولاهما : تتعلق بشخصياتنا ، فكلما عرفنا شيئا عن الروح كنفس قومنا سلوكنا ، وهذبنا أخلاقنا ، وقوينا شخصيتنا ، والشخصية القوية قلما تعتريها اضطرابات نفسية أو عقلية ، وتحيا حياة هادئة ايجابية جيدة ، وتعود الى الله الخالق راضية مطمئنة .

هذا بالنسبة للروح .

وبالنسبة للمادة ، فانه يجدر بنا أن نلاحظ أنها تدل دلالة واضحة ايضا على وجود الله الخالق وارتباطها به ، وهى كالروح من أمره الالهى .

فاذا كانت الروح التى هى أرقى من المـادة من امر الله ، وترتبط به ارتباطا غيبيا لدرجة انهـا تصبح رسوله الالهى فى اعماق كل انسان ، فما بالنا بالمادة التى هى موجود ادنى من الروح او ليست هى الاخرى فى امس الحاجة الى خالق ؟ !

واذا كانت الروح الراقية تحتاج الى الخالـق بايقان الجميع ، وشهادتهم ، وايمانهم فان المادة ، دونما شك ، تحتاج هى الاخرى الى الخالق سبحانـه وتعالى وبايقان الجميع ايضا وشهادتهم ، وايمانهم !

والمنطق ، كل منطق فى كل مكان وفى كل زمان ، يؤكـد هـذا .

وعليه ، فالروح والمادة من أمر الله ، ويرتبطان بـه .

وهكذا يتضح لنا أن الدعوات المادية لا اساس متينا لها ، وانما هى دعوات ضالة تقوم فقط من اجل الالحـاد للالحاد لا غير .

وهـى دعوات جاهلية كتلـك التى كانـت فى الجاهلية العربية قبل بعثة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالاسلام والتى بينها الله تعالـى فى القرآن الكريم فى هذه الآية :

« وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنـون » (9) .

ولهذا فان هذه المادة التى تبهر العقول ، والتى نصنع انواعا منها صنعا فى المعامل والمصانع لا يجب ان تغرى الانسان بالابتعاد عن الايمان بالله .

فلا ينبغى أن يغتر الانسان بما يكتشفه ، ومـا يصنعه فيخرج عن سبيل الحق والهدى والرشـد والايمـان .

فمهما استطاع الانسان أن يكتشف ويصنع مـن انواع المادة ما يشأ ، ولاى غرض يشاء فانه لـن يستطيع ابدا ان يخلق روحا بل وحتى ذرة صغيرة من المـادة !

ان ما يستطيع الانسان أن يصنعه ما هو مادى خاص بالمادة ، فهل من المنطق والمعقول أن يعبد الصانع المصنوع ، ويؤمن بـه ؟

— ما الراى فى هـذا ؟

انى اترك الجواب للقارىء !

— فاذن ، اى عقل هذا عقل الانسان الذى يغتر بالمادة التى يصنع منها ما يستطيع صنعه ، ويبتعـد بسببها عن الايمان بالله الخالق ؟ !

فحتى المادة نفسها ، كما نرى ، تدل الانسان على الله الخالق ، وتوجهه الى الايمان به .

وهى كالروح بدأت فى فكر الله الخالق المؤمن ، وترتبط بأمره ، وتتعلق جميع مصائرها بقضائه وقدره ، وهى مؤمنة لانها صدرت من فكر مؤمن ، ومن ارادة مؤمنة ، ولغايات ايمانية .

اعتقد ان هذا هو حال هذه المادة البكماء التى لا تستطيع نطقـا كالروح !

فلا ينبغى ، اذن ، ان يظلم الانسان المـادة بعبادتها ، وتأليهها ، فهذا لا يليق بانسان عاقـل يفكر تفكيرا منطقيا سويـا !

واذا كان هناك اى سبب يمكن أن يكون وجيها لعبادة المادة وتأليهها فانما عبادة الانسان ذاته وتأليهه نفسه لا شعوريا بصورة غير مباشرة ، اما المادة فانها مبرر واق فقط لهذه العملية النفسية اللا شعوريـة الذكية التى يستهدف منها تمتعه بحرية مطلقـة لا ينازعـه فيهـا منـازع .

ان المادة ذاتها تقف مع الروح ضد الالحاد وتندد بـه !

ولن تستقيم للانسانية أمورها الاستقراريـة اللازمة ، ولن يسود السلم والرفاهية ما دام الالحاد سائدا متفشيا ، وما دام التعصب الضيق يتعايش ايضا جنبا الى جنب مع الايمان .

ويعنى هذا ان تفتحا عقيديا واعيا جديدا يجب ان يتولى توجيه انسانيتنا وجهة سديدة متزنة ورزينة .

---

(9) الآيـة 24 من سورة الجاثيـة .

ورغم هذا فان انسانيتنا ، رغم ما تعانيه من ويلات الصعوبات والآفات المتنوعة ، قد قطعت أشواطا بعيدة فى طريقها الى الرشد ، وليست هذه المرحلة التى تعيشها الا مرحلة انتقالية نحو هدفها الاسمى .

* * *

الله الموجود المؤمن الازلى السرمدى هو الخالق الوجود .

ولقد قام الوجود اللا نهائى اللا محدود على الايمان .

وكل انسان يفكر بعقله تفكيرا منطقيا سليما يعرف هذه الحقيقة .

والى اى وجود غير هذا الوجود اللا نهائى اللا محدود يستطيع ان يذهب من تسول له نفسه أن يتجرأ على تحدى هذه الحقيقة والاصرار على نكرانها ؟

وان الانسان لا يستطيع ان ينكر الوجود اللانهائى اللامحدود وان تهرب من الايمان .

وهو لا يستطيع أن ينكر الروح التى فى اعماقه وان تهرب من الاعتراف بأى أمر من الامور التى تتعلق بالايمان ايضا .

وقد يكون وراء هذا التهرب رغبة نفسية لا شعورية اخرى تستهدف منها الروح استبطان مداركها الايمانية استبطانا باطنيا تحفظا واتقاء باعتبارها قضايا خاصة تهمها هى وحدها فى علاقاتها المباشرة بالله الخالق ولا دخل لغيره فيها .

وقد تلجا الى هذا خوفا من الواقع الحياتى المضطرب الذى لا يعرف استقرارا فى اى شىء حتى فى العقائد والطقوس والعبادات او على الاقل فى تأويلها وتفسيرها والنظر اليها .

وربما تكون هذه الرغبة النفسية اللا شعورية التى تستهدف بها الروح استبطان مداركها الايمانية ليست تهربا من الايمان ولكنها هروب ممن او مما يؤثر عليه .

فاذن ، الايمان موجود فى الروح ، ومستبطن فى اللا شعور ، والاتصال بالله الخالق مستمر دائما بطريق شعورى وجدانى أو بطريق لا شعورى بصورة ذاتية تلقائية باطنية .

واذا آمن الانسان باللا شعور وبالوجدان (الانا الاعلى) فانه يؤمن بالله الخالق .

ان كل انسان يجب ان يكون حرا فى اتصاله الروحى بالله ، وهذا الاتصال هو الايمان ذاته .

وان كل انسان يجب ان يكون الله الخالق الذى يؤمن به لطيفا ورؤوفا ، وغفورا رحيما !

وكل انسان مستعد أن يؤمن بالله شرط أن يقتنع .

ولعل هذا هو ما لا يفطن اليه الداعون الى الايمان الذين قد يلجؤون أحيانا الى استعمال اسلوب يبعد الناس عنه ، وتكون نتيجة دعوتهم عكسية !

وربما كان هذا هو المشكل الذى يقع فيه الايمان ويعانى منه كثيرا ، وهو مشكل خارج عن الروح التى فى اعماق الانسان ، ولم يرده الله الخالق ابدا !

والله الخالق عالم باسرار الروح ، وطبيعتها ، وميولها الى السهولة واليسر واللين ، ولهذا كانت توجيهاته الالهية بشأن الدعوة الى الايمان به تساير طبيعتها وميولها ، فقال سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين » (10) .

ولهذا كان من واجب كل داع الى الايمان بالله ان يلم بالدراسات الروحية وبالدراسات النفسية ليتمكن من النجاح فى محاوراته مع الروح كروح صفت وتطهرت وزكت ، ومعها كنفس تشتاق الى الصفاء والطهر والتزكية !

وكل حوار يتطلب استخدام المنطق كوسيلة للاقتناع .

---

10) الآية 125 من سورة النحل .

وعندما يدخل المنطق فى الحوار تدخل معـــه الفلسفـــة .

ويعنى هذا ان من واجب كل داع الى الايمان بالله أن يلم بالدراسات الفلسفية وهذا كله مع المامه بالدراسات الدينيـة .

ونحن أحوج ما نكون الى دعاة حديثين لهـــم هذا التكوين الدينى والفلسفى والروحى والنفســـى ليحببوا الايمان بالله الخالق الى الناس .

وليتذكر كل داع دائما أن الروح ، أو النفس ، التى يحاورها تستبطن فى لا شعورها أو فى وجدانهـا (اناها الاعلى) الايمان بالله ، وأنها متصلة باللـــه الخالق ، ومرتبطة به ، وأنها رسوله الالهى الغيبـى المباشر فى أعماق الانســـان .

ولهذا ينبغى أن يكون حواره شفافا لانه يحاور روحا ، أو نفسا ، شفافة واعية مدركة مؤمنة فى أصلها وهى تفوق دائما الى الايمان بالله والى الصفاء والخلود فى الاســـلام .

م. ح. العزيز

ان أهـــم أمر فى الحيـــاة هو الايمان بحقيقة المعنويات ، وقيمة الاخلاق ، ولقد كان زوال هــذا الايمان سببا للحرب العامة ، واذا لم نجتهـد الآن لاكتسابه او لتقويته فلن يبقى للعلم قيمـة ، بـل يصير العلم نكبة على البشريــة .

« روبرت مليكان »

القرآن أمام التاريخ

للأستاذ عبد الله الجراري

بعد ظهور الاسلام وبزوغ نوره الوضاء على ارجاء المعمور — انتشرت حركة تاريخية جعلت تتسع وتنتظم شيئا فشيئا حتى خلفت لنا ثروة ادبية من اغنى ثروات الادب العربي كانت اهم العوامل وابرزها فى هذا البحث .

هى اولا اضطرار المسلمين لتفسير الآيات القرآنية ومعرفة مناسباتها واسباب نزولها والمكان الذى نزلت فيه والحادثة التى تشير اليها وما الى هذا المعنى الذى يعد من ضروريات الوصول الى الهدف الاسنى الذى يوجد ما حول النص . وثنايا سطــــوره .

ومن الجلى أن معرفة هذا النوع يحتاج الى بحث تاريخى فى حوادث الاسلام .

فكان التفسير لهذا المدلول من العوامل التى دعت الى تدوين التاريخ والعناية به .

والقرآن الكريم ذاته قد اكثر من الاشارات الى الامم والقبائل والانبياء فى قصصه عن الغابرين فكان لهذه الغاية الشريفة ظاهرة حفزت علماء الاسلام لفهم مضامين تلك الاشارات وتوضيحها .

وكان الاسلام فى حياته وتعاليمه قد اظل كثيرا من اليهود والنصارى — فلجأ اليهم المسلمون ليعرفوهم بتلك الاشارات ، وما تحتويه من رموز وغايات ، وفعلا اخذ هؤلاء يحدثونهم بقصص التوراة والانجيل وشروحهما الشىء الذى دفع المسلمين لربطها بالتفسير والتاريخ .

واشتهرت هذه الاخبار باسم « الاسرائيليات » التى كانت تضم فى رواياتها واخبارها غثا وسمينا وخرافات ينبو عنها المنطق السليم ، ويتجلى هذا المعنى بأجلى مظهر فى كعب الاحبار ، ووهب بن منبه حتى أن آثارهما لا تزال قائمة فى كتب التاريخ التى بين ايدينا — بل كان وهب بن منبه التابعى الشهير اول من الف فى قصص الانبياء وسيرهم وكان كل ما يروى عنه فيه ما فيه من الاساطير التى نشأت عن بنى اسرائيل ومن على شاكلتهم وأن كنا ننزهه عن التدليس والدس مادام الهدف البيان .

كما أن السنة والحديث كانا بدورهما من عوامل تدريس التاريخ اذ عنى المسلمون بجمع الاحاديث ليفسروا بها القرآن ويستنبطوا منها أحكام الدين وهو معنى الآية « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وكان من هذه الاحاديث جملة وافرة تتعلق بحياة الرسول عليه السلام والصحابة الكرام ، فجمعت فيما جمع حيث أصبحت بعد اساسا لكتب السيرة والمغازى .

ادرك بعض الخلفاء انهم فى حاجة ملحة الى نبراس يهتدون بهديه فى حياتهم وسلوكهم اذ لم يكن تراث عربى منظم فى فجر الاسلام يقتدون به ، كما انهم راوا ممالك اجنبية بهرتهم حضارتها

فتشوقت نفوسهم التواقة ، وأحبوا أن يعرفوا كيفية سياستها ونظامها فى ظرف كثرت فيه المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية شان الدول لاول عهودها .

نعم نشأ عن ذلك هدم نظام الخلافة وإقامة نظام الملك مكانه . وواجه العقل العربى الذى كان ساذجا بسيطا فى جاهليته مشكلات حقيقية منها ما يمس الدين والحضارة ، ومنها ما يمس الحياة العادية والاجتماعية أشياء عرفته أن لا بد من الاستعانة بأخبار من سبقه ليستنير بها ، ونجد المؤرخ المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » الجزء الثانى ص 52 يقول عن معاوية انه كان بعد ان يفرغ من عمله يستمر الى ثلث الليل فى اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها ، وسياستها لرعيتها ، وغير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد ، فيقرا ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وانواع السياسات . وهذا ما نحن فى أشد الحاجة اليه لا سيما وقد انفتح فى وجوهنا باب المعارف على مصراعيه ولم يبق بيننا وبين الاشراف على غاياته سوى التوجه عن حماس وصدق . وقد كان الاجانب الذين اظلهم الاسلام بظله يفخرون على العرب بتاريخهم وحضارتهم ويروون لهم أفعالهم المجيدة فى ماضيهم ، فاضطر العرب الى ابتكار تاريخ لهم يستطيعون به الوقوف ازاء هذا الفخر الاجنبى ، ويظهرون لابنائهم وغيرهم من الامم أنهم وأن كانوا حديثى عهد بالحضارة ليسوا اقل من الامم الاخرى مجدا ومكانة ، كان هذا من دواعى ظهور الكتابة التاريخية فى الامة اليونانية .

وكان نظام الحكومة الاسلامية خاصة النظام المالى من العوامل التى ادت الى قيام الحركة التاريخية وانتشارها ، لان الضرائب « الخراج » على البلدان المختلفة تتباين حسب فتحها صلحا أو عنوة أو بعهد .

فكانت المعاملة السياسية والاجتماعية نفسها تختلف فى بعض البلدان تبعا لما حدث فى أثناء فتحها فدعا كل ذلك « والنظام المالى خاصة » الى بحث تاريخ الفتوح والاهتمام به كفرع من التاريخ .

كما دعا النظام المالى الى نشوء فرع آخر من التاريخ ، وكان ذلك لان نظام العطاء تغير منذ عهد الخليفة عمر الفاروق حيث صار بحسب الاسبقية الى الاسلام ، اى ان الذين اسلموا فى اول الدعوة يأخذون من العطاء اكثر مما يأخذ من أسلم بعدهم ، ومن اسلم وهاجر يأخذ اكثر من المسلم بعد الهجرة ، ومن اسلم وشهد بدرا يأخذ اكثر ممن لم يشهدها من الذين اسلموا بعدها ، وهكذا فكان هذا النظام سببا فى البحث الدقيق فى الدعوة الاسلامية وانتشارها ، كما كان العطاء مرتبا أيضا حسب الانساب اى يبدأ بقرابة النبى صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب ، ثم قرابة ابى بكر ثم عمر ، وهكذا فى الانصار ثم فى جميع المسلمين ومن الواضح أن هذا النظام يدعو بطبيعته المنضبطة الى البحث فى الانساب التى كان من حذاقها وحاملى رايتها العربيان — دغفل بن حنظلة نسابة العرب وزيد بن الحارث :

« أحاديث من أبناء عاد وجرهم

تنورها العضدان زيد ودغفل »

نعم كان فى المقدمة الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومن هذا المنطلق نشأ هذا النمط من التاريخ ، كما ظهرت كتب الطبقات .

ثم ابتدأت حركة التأليف فى العلوم الاخرى المعروفة بين العرب لذلكم العهد الفتى حتى أننا نجد صحارى بن عياش العبدى (1) يؤلف كتابا فى الامثال ، ثم يتطور الامر بمرور الزمن فتترجم بعض كتب الكيمياء فى عهد خالد بن يزيد بن معاوية وله هو نفسه كتب منها كتاب الحرارت ، وكتاب الصحيفة الكبير وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيته الى ابنه فى الصنعة . أما الكيمياء التى ترجمت بعض كتبها له فقد كان بعض علماء السلف يحذر منها ويجعل تعاطيها من السحريات التى تفضى بالاشياء

(1) توفى نحو سنة 40 هـ 660 م خطيب مفوه من بنى عبد القيس . قال له معاوية : ما البلاغة ؟ فقال : الايجاز . قال : وما الايجاز ؟ قال : أن لا تبطىء ، وهو احد النسابين له مع دغفل النسابة محاورات ، كان ممن شهدوا فتح مصر .

الى قلب حقائقها ، ومن ضمن الحركة التاليفية ان عمر بن عبد العزيز امر بجمع الحديث وترجمة كتاب فى الطب حركات تدل فى مجموعها على ان العقل العربى كان يعانى تحولا خطيرا ، وانـه اخـذ فى التحضر والتمدن السريعين ، والمشاركة فى التدوين والتـاليـف .

ولا ينسينا هذا ما كان من عناية فى الجاهلية بالانساب والايام ازدادت قوة فى العهـد الاسلامى اذ كانت تغذى الشعراء فى ميدان الفخر والهجـاء والنقائض التى شاعت فى هذا العصر ، وكان لهـا المقام الاول فى شعر الفحول ، كما ان هذا النوع من التاريخ اتخذ لونا جديدا ، هو العنـايـة بغـزوات الرسول فما كان هذا النوع من التاريخ الا استمرارا لما عهد عند الجاهليين الا ان الاسلاميين دونـــوا والجاهليين حفظوا ورووا .

واننا لندرك فى نفس الحال ان هناك كتبـــا مقدسة هى التوراة والانجيل والفرقان .
ونعلم كذلك ان معظمها قصصى ديـنى وهو يختلف عن القصص السياسى او التاريخ السياسى فى انه يتناول فقط تاريخ الحركات الدينـية ، وان تنـاول الحالة السياســة والشخصية والاجتماعيـة فانما يتناولها من ناحية علاقتها بالناحية الدينية فحسب .

وتلك نفس الظاهرة فى التاريخ السياسى القديم فهو يتـنـاول الحركـات السياسيـة والاجتماعيـة والحربية وان تناول الحال الدينية فانما يتناولها من ناحية السياسة .

لهذا نرى التاريـخ السياسى لا يشـيـر الـى ظهور بعض الانبياء ولا يعرفنا عنهم شيئا مما دعـا بعض الناس الى التشكك فيهم واعتبارهم اشخاصا وهميين ، ولم يتعـرض المؤرخون لابراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام كما لم يذكـر مؤرخوا الرومان شيئا عن عيسى وبدء حركته .

والحقيقة انه لولا الكتب الدينية ، وما خلفـه الانبياء من تعاليم ومبادىء اخذت تنتقل من جيل الى جيل لما علمنا شيئا عـنهم وهذا ما سبب الجهـل والغموض اللذين اكتنفا زمن ظهور هؤلاء الرجـال حتى لا يستطيع احد من المؤرخين أن يحدد متى ظهر موسى أو يوسف او ابراهيم صلوات الله عليهم ، وان حاول شيئا من هذا فانما هو عبارة عن تواريخ تقديرية وهمية لا ترتكز على حقيقة علمية كقولهـم عن دعوة ابراهيم من دور الكلـدانيـيـن الى ارض كنعان انها كانت سنة 1921 قبل الميلاد ، وانه عمر 175 ، كما ان يوسف قبضه الله اليه سنة 1635 قبل الميلاد وموسى سنة 1451 قبل الميلاد .

وبما ان القرآن الكريم آخـر الكتب السماوية فإنه قد جمع كل ما فى الكتب السالفة مسهبا حينا ، وموجزا حينا آخر ، ولكنه بحكم نزوله بعد الانجيل قص علينا الحقبة التى بين عيسى ومحمد عليهمـا السلام بالتفصيل ، فقص علينا قصة اهل الكهف ، واصحاب الاخدود ، وغزوة ابرهة لمكة ، كما اخبرنا عن عيسى عليه السلام باشياء لم يتناولها الانجيل مثال ذلك تكليم عيسى الناس فى المهد ونزول مائدة عليه من السماء وتكوينه من الطين على هيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وقـد اعتـرف الانجيل نفسـه انه لم يلم بكل معجزات عيسى يقول يوحنا فى انجيله (واشياء كثيرة صنعهـا يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست اظـن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبـة) .

ونعلم ان القرآن الكريم أنزل مجزءا مفرقـــا حسب ما تتطلبه الوقائع والاحداث وكان فى هذه الحالة داعيا الى الاخبار باشيـاء ادى اليها حـب استطلاع أصدقائه واعدائه المريدين تحديه بأسئلتهم التى ظنوها تحمل الاعجاز فى ثناياها ، فقص علينـا قصة ذى القرنـيـن الذى اختلـف المفسرون فيـه فالبعض منهم يقول انه الاسكندر المقدونى ويقـول البعض الآخر انـه شخص آخـر مختلف عنـه كل الاختـلاف ويظهـر ان هـؤلاء اصحـاب الـرأى الصحيـح (2) .

وقد ازال القرآن اللبـس المحيط بكثـيـر من المسائل وحددها تحديـدا واضحا لا غموض فيه ، وللقرآن ميزة تاريخية اخرى هى دقته المتـنـاهية

---

(2) حقق العالم الكبير (أبو الكلام ازاد) وزيـر معارف الهند سابقا بما لا يدع مجالا للشك ان ذا القرنين فى القرآن هو الملك الفارسى الصالح (قورش) ورد بقوة القول بأنه الاسكندر المقدونى.
من المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى ـــ سورة الكهف .

بحيث انك اذا اردت ان تعبر عن حادثـة تاريخيـة تعبيرا موجزا وافيا بالغرض واضحا بينا يؤدى كل ما ترمى اليه بحيث يغنى قارئـه وسامعه عن اى تفسير وايضاح اذ تجد فيه فوق مـا ترنـو اليـه وتحبـو .

انظر اليه وهو يصف ديانة المصريين القدماء على لسان نبيه يوسف الصديق عليه السلام فى سورة يوسف قال : (يا صاحبى السجن أربـاب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون) .

فهل هناك خير من هذا واكثر توضيحا لديانة قدماء المصريـين ؟

الم يكونوا يعبدون آلهة متعددة ، بل كان لكل بلدة الهها الخاص — ارباب متفرقون —

وكان يحدث بين الحين والآخر ان تنتشر عبادة اله من هذه الآلهة عندما يعظم شأن البلدة التى يعبد فيها كروع (اله عين الشمس) وآمون (اله طيبة) و (تحوت) اله العلم والحكمة وغيرها من الاسماء الخالية التى اخترعتها عقولهم .

ولقد بين القرآن الكريم حقيقـة اخرى متعلقة بديانة قدماء المصريين بايجاز وجلاء ، هذه الحقيقة هى تبيانه أن فرعون كان يعتبر فى نظر المصريـين الههم الرئيسى الذى بيده كل شيء بينها الله تقدست اسماؤه فى سورة النازعات قـال : (فحشر فنادى فقال : أنا ربكم الاعلى) .

وهذا عين ما قاله التاريخ بعد ان ازيح الستار عنه وكشفت غوامضه فى القرنين الاخيرين اذ كـان المصريون يقدسون الملك ويعتبرونه اكبـر آلهتهـم وكانوا يسمونه (بحوريس الحى) وقد راعوا فى بناء اهرامهم وقبور ملوكهم أن تكون فرق الروابى لتتمكن الفراعنة (فى نظرهم) من الاشراف على البـلاد فى مماتهم ، كما كانوا فى حياتهم .

ولم يقتصر القرآن على موضع واحد فى الاشارة الى هذا الاعتقاد بل اشار اليه فى سورة الشعراء فى خطاب فرعون الى موسى : قال : (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنـك من المسجونين) وفى سورة القصص فى خطاب فرعـون الى شعبـه : (وقـال فرعون : يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى) .

ولكن اعجاز القرآن الكريم لا ينحصر فى دقتـه واعجازه البلاغى فحسب كمـا يفعل الزمخشرى فى كشافه وعبد القاهر الجرجانى فى أسرار بلاغتـه ودلائل اعجـازه ، والاصـم يوسـف السـكاكى فى تاريخه المستقبل وحوادثه تاريخيا حقـا واقعيـا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وتلك بحق آيته الكبرى ومعجزاته الخالـدة التى تتجلى عنـد المعارضة والتحدى وقتمـا وقف ابنـاء الاسـلام والنصرانية وجها لوجه ، وظهر فى الافق دين سماوى جديد عز على اليهودية كما عـز على النصرانية ان يبدو من الاعلى نبراس آخر يجتذب اليـه عيون الناس وافئدتهم وتخوف كل منهمـا على مكانتـه ان تضمحل ، وأن يحتل هذا المصباح الوضاء مكـان الصـدارة منهمـا .

اما اليهود فبعد تفكيرهم الطويل لجـأوا الـى الكيد لهذا الوليد الجديد رجاء أن يكتموا انفاسه وهو فى مهده فاخذوا يؤلبون العرب عليـه ، ويحرضونهم على محاربته وقد نجحوا جملة فى هذا فتحالفت قبائل العـرب واليهـود وحـاصروا المدينـة فى غـزوة الخندق (3) ومما زاد فى محنة المسلمين ان حلفـاء الرسول عليه السلام وهم يهود بني قريظة نكثوا عهدهم ، وتخلفوا عن النبى وانضموا الى اعدائه ، فضاقت الدنيا بالمسلمين ، وزلزلوا زلزالا شديدا فقد كانت بلاد الحجاز كلها تطبق عليهم فى المدينة ، ولكنهم خرجوا من هذه المحنة آخر الامر سالمين ، وتفرق الحلفاء بعد أن صمدت لهم المدينة فاستعصت عليهم وبذلك ارتد سهم اليهود الى نحرهم .

(حسبتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن فى فؤادى)

وطفق هذا النور اللامع من السماء النور الذى حاولوا اطفاءه يزداد تألقا ويسمو حتى عم الجزيرة واضاء العراق وفارس والهند ، ووصل الى الصين ، واشرق على الشام ومصر وشمال افريقيا ووسطها

(3) هى غزوة الاحزاب الواقعـة فى السنـة الخامسة للهجرة والمفصلة فى سورتها .

وشرقها وأطراف آسيا وقلبها وجنوبها وعبرت مدارنه البحر الابيض والقلزوم حتى جنوبى روسيا ، اما النصرانية فنحت حباله منحى آخر واقـفـة امامه تـحـاجـه .

فهذا وفد من نصارى نجران ورد على الرسول الاكرم محمد عليه السلام يريد ان يتحدى الاسلام والقرآن عرض عليه النبى الاسلام فقـال : « اننـا نحن المسلمين حقا » فما كان منه صلوات الله عليه الا ان افهمهم ان ثلاثة اشياء ، تمنعهم عن الاسلام : 1) اكل الخنزير . 2) عبادة الصليب . 3) قولهم ان لله ولـــدا .

فما كان منهم الا ان سألوه سؤالا ظنوه معجزا وهو « من ابو عيسى » ؟ وهنا تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان مثل عيسى عند الله كمثـل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحـق من ربك فلا تكن من الممترين ، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنـا وانفسكـم ثم نبـتـهـل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهـو العزيـز الحكيـم » آية 62 آل عمران .

وقد حسم الله بهذه الآيـات هـذا الخـلاف وأفهمهم ان عيسى ما هو الا عبد من عبيـد الله خلقه من غير أب ، وان هناك سابقة لهذا أشـد وقعا فى النفس من ميلاد عيسى وهى خلق الله آدم من غير اب ولا ام ، وكان القرآن الكريم يرد عليهم بسؤال من نوع سؤالهم الا وهو من ابو آدم . ثم افهمهم ان كثرة المجادلة غير مجدية ، وانهم اذا كانوا لا يزالون يصرون على قولهم فأحسن طريقة لحسم هذا النزاع هو أن يلتجىء الفريقان الى الله ويدعواه ان ينزل لعنته على الفريق الكاذب منهما .

فى هذا الظرف الحاسم ظهرت قـوة الحـق وبلبلة الباطل فعندما دعاهم النبى عليه السلام الى المباهلة ارجأوه حتى يتشاوروا فلما انعقد جمعهـم قال لهم رئيسهم : « والله لقد عرفتم نبوته ، ولقد جاءكم بالفصل فى أمر صاحبكم والله ما باهل قـوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا دينكم فوادعوا الرجل »

ولكن محمدا صلوات الله عليه كان واثقا من نفسه ومن حقه المؤمن بربه غدا محتضنا الحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلي رضى الله عنـه وراءهما وهو يقول لهم : اذا دعوت فامنـوا .

وساعتئذ قال الاسقف : يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله عز وجل ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا »

والظن اننا لا نزال نستحضر أولى حركاتنـا السلفية بالمغرب حركة الاصلاح المبنية على أساس الاتحاد المؤرخة بـ سنة 1345 الموافق 1926 م وقتا وقف فيه شيوخ الطرق المزورون وادعيـاء الزوايا ، واذناب الاستعمار منهم على الاخص حجر عثرة فى سبيل حركة الشباب الواعى والسعى فى مناقضتها والعمل على اقبارها فى المهد .

اذ كانت الجزائر آنذاك تعمـل علـى نـشـر الاسلام الصميم بين شباب الامة وانقـاذ الشعب من براثن الاستعمار ومفاتنه ، فحمل راية الدعوة المغفور له « عبد الحميد بن باديس » وجماعة من اخوانه الاباة ، وفتحوا مدرستهم السلفية فى وجه ابناء الشعب ، كما بعثوا صوتهم المدوى فى جنبات العالم العربى على صفحات الشهاب والبرق ضـد بلاغ المشعوذ ابن عليوة المدفوع هو وجماعته من طرف الاستعمار الخبيـث .

واثناء الحركة اندفع احد الفريقين للدعوة الى المباهلة حيث يكون مقر اقامتها الجزائر الشقيقـة غير ان الموقف الذى تحدثت عنـه الآيـة ، كمنهج للدعوة هو ما جرى فى الحركة المغربية اذ تهيـب احد الفريقين خيفة الفضيحة ، ولكن ابى الله تعالى الا ان تنتصر الحركات الاصلاحية ويضمحل الباطل واهله وليست هذه أول الحركات بل تقدمتها انتفاضات أولية قام بها جماعة من الاخوان الرباطيين رحمة الله عليهم : كالحاج المعطى جوريو والحاج محمد البحراوى والمحجوب الازرق وابو بكر ابن الكرة (4) وسواهم من المشاركين .

فقاموا جبهة متراصة فى وجه فرض ضريبـة جديدة عن وقاية الدكاكين « كيام » عـام 1339 هـ 1921 م الشىء الذى دفع الفرنسيين الى نفـى

---

(4) البحراوى الى الصويرة ، ابن الكرة الى آسفى ، الازرق الى الجديدة ، الحاج المعطى جوريو الى طنجـة .

بعضهم وسجن البعض ، فكانت تلك الوثبة كأولى وثبات وطنية ظهرت بالمغرب تلتها حركات موفقة كان النصر حليفهـا .

هكذا قوة الحق اذا تجلت ارتعد الباطل لهـا وتقهقر فلم يكن منهم الا ان اذعنوا للرسول عليـه السلام وتفادوا المباهلة ، وارتضوا الجزية كمـا تعاهدوا أن لا يأكلوا الربا أو يتعاملوا بـه ، ثـم رجعوا الى قومهم .

اما النبى صلى الله عليه وسلم فرجع وهـو يقول : « والذى نفس محمد بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر » .

حكمة بالغة وحجة دامغة تحداهم النبى عليه السلام بها أن يتفوا فى صعيد واحد فيدعوا الله أن ينزل لعنته على الكاذبين فما كان منهم الا أن ولوا مدبرين ولو كان الحق بيدهم لما وجلوا ولا خافـوا ولاباؤه للملأ ، ولكن علموا صدق الرسول فخشوا العاقبة ، واستنكفوا أن يهجروا دينهم الى الديـن الجديد الذى علموا أنه الحق بعد أن كانوا يظنون أنهم بـه سيظفرون .

ولكنها هيمنـة القـرآن التاريخيـة والعلمية « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديـه من الكتاب ومهيمنا عليـه » الآيـة 48 من سـورة المـائـدة .

فالقرآن العظيم له طابعه الخاص فى التاريخ حيث يتناول الاحداث تناولا يـدل على استـقـلاله العلمى وله فى وسطها اسلوبه الخاص يـدل على هذا الاستقلال العلمى ، انه ذكر عن عيسى عليـه السلام اشياء لم يتناولها الانجيل نفسه كما اشـير اليه قبل ، ولم يقتصر الامر على الانجيـل بـل ان هيمنته التاريخية تناولت التوراة فى اعظم شخصياتها موسى ويوسف وابراهيم عليهم السلام عدا كثـير غيرهم من الانبيـاء .

فالتوراة لم تتناول حياة ابراهيم بين الكلدانيين ومجهوداته لاقناعهم بوجود اله واحد ، ومحاولاتـه نشر دعوته وتحطيم اصنامهم وقذفهم به فى النـار ونجاته منها ، ولم تتناول علاقته بوالده ومـا دار بينهما ، كما لم تتكلم عن اعادة بناء اسماعيل وابراهيم للبيت الحرام بينما تـنـاول القرآن الكريـم هذه الموضوعات بما ليس فيه زيادة لمستزيد وباسلوبه الشيق الجذاب الذى تحار امام عظمتـه الالباب ، أما عن يوسف فان التوراة لم تتعرض لكيفية ظهور براءته مما نسبته اليه امـراة العزيـز من اتهـام بمحاولة هتك عرضها بينما شرحها القرآن شرحـا وافـيـا .

وشهد شاهد من اهلها ــ هو ابن عم لها أو ابن خال لها ــ والقى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون أوجب للحجة عليها واوثـق لـبـراءة يوسف .

« ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين » الآية 26 ــ 27 سورة يوسف .

كما أن التوراة لم تتكلم عن حادث النسـوة اللاتى بهرهن يوسف بجماله فقطعن أيديهن ، كما لم تبـين لنا الموقف العظيم الذى وقفـه حين ابـى الخروج من السجن الا بعد أن تعلن براءتـه على الملأ ، وان تسأل النسوة ليقـررن الحقيقة يقول الكتاب : « قلن حاشا لله ما علمنا عليـه من سوء قالت امراة العزيز الآن حصحص الحق انـا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » الآية 51 يوسف .

خرج يوسف ومثل بين يـدى العزيـز ليكون عنده المتصرف الامين على خزائنه وارضه ، واقوات رعيته ، خرج ليأمـر فيطاع ــ « تزرعـون سبـع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبلة الا قليلا مما تأكلون » الآية 47 يوسف . طريقة طريفة فنيـة لحفظ القمح من السوس والتلف ــ لقد حار الناس كيف حفظ يوسف القمح سبع سنين اذ لـم تفسر التوراة ذلك ، والسوس يتسرب الى المخزون منه بعد أربعة شهـرا على الاكثر فكيف تسنى ليوسف انقـاذ مصر وانقاذ قوتهـا .

هنا تظهر عظمة القرآن الكريم اذ ابان لنا تلك الطريقة العجيبة على الرغم من بساطتها .

اتى اخوة يوسف الى مصر للمرة الثانيـة فاحتجز يوسف شقيقه « بنيامـين » ، ولكن التوراة اغفلت ذكر رجوعهم الى أبيهم واخباره بفقدان اخيهم كما لم تذكر ما ترتب على علم ابيهم بفقد ولـده العزيز من حزن شديد كان من جرائه ذهاب بصره « وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » الآيـة 84 يوسف اذ

تقول التوراة فى سفر التكوين الاصحاح الرابع والاربعين على لسان اخوة يوسف فى رجاء موجه اليه (هنا نحن عبيد لسيدى نحن والذى وجد الكأس فى يده جميعا) فقال : حاشا لى أن افعل هذا الرجل الذى وجد الكأس فى يده هو يكون لى عبدا . (أما انتم فاصعدوا بسلام الى ابيكم) ولم يردف ذلك بقوله هل هم ذهبوا ام لا ؟

وانما اردفه برجاء لكبيرهم (يهودا) عارضا نفسه بدل اخيه لشيخوخة والده وخوفه من هلاكه لشدة حزنه ؛ ثم يتلو ذلك الاصحاح الخامس والاربعون حيث يبدأ بتعريف يوسف نفسه لاخوته وهنا يحدثنا القرآن الكريم عن طريقة استرجاع يعقوب لبصره كما حدثنا عن سبب ذهابه فأنبأنا أنه شفى بمعجزة تتلخص فى وضع قميص يوسف على وجهه فارتد بصيرا ؛ بيد ان التوراة لم تذكر شيئا عن هذا الامر .

هذا عن يوسف عليه السلام .

اما عن موسى فان القرآن انفرد دون التوراة بالمعلومات التالية :

1) الشرط الذى اشترطه شعيب على موسى لتزويجه احدى ابنتيه (على ان تاجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك) وقضاء موسى ابعد الاجلين . (الآية 27 سورة القصص)

2) ايمان السحرة الذين تحدوا موسى وسجودهم لله وصلب فرعون لهم وتعذيبهم .

3) امرأة فرعون وايمانها خفية وامر فرعون لهامان أن يبنى له صرحا ليطلع على اله موسى .

4) انتشال جثة فرعون بعد غرقه (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) الآية 92 سورة يونس .

5) مؤمن آل فرعون الذى اخذ يعظ الشعب ليهديهم سبل الرشاد ؛ هذه بعض الامثلة على هيمنة القرآن التاريخية وانها لهيمنة تظهر بوضوح وجلاء كلما امعن الانسان البحث فى ثناياه .

وليست هذه الهيمنة قاصرة على التاريخ فحسب بل ان جلاله وهيبته وقوة عظمته تشمل جميع النواحى فهو يبسط سيطرته الجبارة على كل ما يتناوله من تشريعات دينية واخلاقية ونواميس تربوية واجتماعية ، وحقائق علمية وفلكية ، ومعلومات طبية ، واخبار غيبية لها اسرارها الباهرة، وابعادها البادئة تحدث عنها منذ ما يقرب من اربعة عشر قرنا ، واليوم اصبحنا نرى اقطاب الفكر فى العالم يطلعون علينا بين الفينة والفينة بنتائج أبحاثهم العلمية وعصارات أفكارهم المدهشة التى سبقوا اليها بقرون قد لا نشك انها ستحفزهم يوما ما للايمان به وبعظمته ؛ وبما جاء به من مبادىء وآيات اذا ما انعموا النظر فى آيه المقدسة وما تحتويه فقرها المتناسبة من عجائب وقف دونها رجال الفكر وائمة المعرفة مشدوهين .

ومن هذا المنطلق نعرض امثلة فى الموضوع كدليل نقرب من بين سطورها تلك الاسرار القدسية الكامنة بين دفتيه يقول الله تعالى فى سورة النساء الآية 56 : ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) اعد سبحانه لجاحد آياته المنزلة على رسوله (ص) : نارا مسعرة تشويهم وتحرق اجسامهم حتى تفقدها الحس والادراك قال جلت قدرته : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) اى كلما فقدت التماسك الحيوى وبعدت عن الحس والحياة بدلها جلودا اخرى حية تشعر بالالم وتحس بالعذاب .

يقول الدكتور عبد العزيز اسماعيل باشا رحمة الله عليه فى كتابه (الاسلام والطب الحديث) الحكمة فى تبديل جلود الكفار — ان اعصاب الالم هى فى الطبقة الجلدية واما الانسجة والعضلات والاعضاء الداخلية فالاحساس فيها ضعيف ؛ ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذى لا يتجاوز الجلد يحدث الما شديدا بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد الى الانسجة لانه مع شدته وخطره لا يحدث الما كثيرا ؛ فهو يقول ان النار كلما اكلت الجلد الذى فيه الاعصاب نجدده كى يستمر الالم بلا انقطاع ويذوقوا العذاب الاليم — هكذا نرى هذه الجملة الشرطية الواحدة ترسم هذا المشهد المخيف العنيف الذى تتجلى بين احرفه القوية حكمة البارى سبحانه قبل ان يعرفها الانسان طوال 14 قرنا .

وتلك آية « يس » يقول الله تعالى : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) الآية 65 ؛ فيخرس الله اللسان ؛

وينطق اليدين والرجلين تابلا شهادتهما وهو سبحانه يقول : فى الآية الاخرى (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) سوى سبحانه يقول فى الآية الاخرى (يوم تشهد عليهم اختصاص اليدين والرجلين بالشهادة دون باقى اجزاء الجسم مع انها كلها متساوية اذ لا يبدو تغير فى هيآتها الاصلية مدة الحياة .

الاجابة عن هذا يرجع لعلم التحقيق الجنائى وهو بالطبع حديث النشأة لم يظهر لعالم الوجود الا فى أواخر القرن التاسع عشر ، ويشير الاستاذ (محمد بك شعير) فى كتاب له فى الموضوع حول ترجمة (بصمات الاصابع والايدى) قائلا : (ليس ما نقراه من الوقائع المدهشة (لشرلوك هولمز) و (كارتر) وامثالهما وما يكتبه الروائيون امثال (كونان دويل) و (ليكوك) وسواهما ، وما نراه يشخص على الشاشات ودور الصور المتحركة من الروايات البوليسية الغربية التى يتعقب فيها رجال الشرطة السرية الجناة ويتعرفون اشخاصهم مظهرين حقيقة امرهم من اناء لمسوه او وعاء امسكوه او كوب شربوا منه او خزانة فتحوها ليس كل هذا حديث خرافة وانما هو ثمرة العلم الحديث ونتيجة مجهودات العلماء الذين اتوا بالمعجزات فى فن بصمات الاصابع والايدى ، ولم يكن استخدام بصمات الاصابع فى الجنايات للتعرف على شخصية ما بطريقة ثابتة للاستعانة بها على استخراج السوابق معروفا فى أوروبا الا حديثا ؛ فقبل سنة 1890 م لم يعرف عنها شىء فى الحياة العلمية الشىء الذى يجعل اختصاص اليدين والرجلين فى الآية دون بقية الاعضاء معجزة قرآنية اخذت الابحاث العلمية تعرب عنها فى القرن العشرين .

ومن العجب ان ختمت السورة بما يفيد ذلك يقول الله سبحانه (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم) الآية 53 سورة فصلت . كأنه جلت عظمته يقول : اختصاص شهادة الايدى والارجل دون بقية الاعضاء امر يشكل عليكم ولكن سأظهر لكم بعض سره فى الدنيا ، وقد أظهره تعالى فى عصرنا الماثل فكانت المعجزة لهذا مزدوجة اولا : اختصاص اليدين والرجلين ، ثانيا : ظهور ذلك بالفعل لمكان سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم .

ومن معارف الكتاب والوان انواره الساطعة بما تضمنته من باهر الآيات قوله تقدست اسماؤه فى سورة الانعام : (ومن يرد الله ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) 125 الانعام . تحمل الآية فى مدلولها البيانى — ان من فسدت فطرته بالشرك وتدنست نفسه بالآثام والاوزار يجد فى صدره ضيقا أيما ضيق اذا طلب اليه التامل فيما يدعى له من دلائل التوحيد والنظر فى الآفاق والانفس لما استحوذ على قلبه من باطل التقاليد ، والتعلق بعادات الآباء والاجداد والاستكبار عن مخالفة ما الفه وسار عليه الناس وتضعف ارادته لحد بعيد عن ترك ما هو عليه فتكون اجابته الداعى الى الدين الجديد ثقيلة عليه ، ويشعر فى الوقت نفسه بالعجز عن احتمالها ، ويكون مثله مثل من صعد فى الطبقات العليا فى جو السماء اذ يشعر بضيق شديد فى التنفس ، وكلما صعد فى الجو اكثر شعر بضيق أشد حتى اذا ما ارتفع الى أعلى من ذلك شعر بتخلخل الهواء ولم يستطع سبيلا الى البقاء ، فان هو قد بقي فيها قضى نحبه اختناقا ، فها نرى كيف ضرب الله مثلا لضيق النفس المعنوى بمن دعى الى الحق وقد الف الباطل وركن اليه بضيق التنفس الذى يجده من صعد بطائرة الى الطبقات العليا من الجو حتى لقد يشعر بأنه أشرف على الهلال وهو لا محالة هالك ان لم يتدارك نفسه، وينزل من هذا الجو المختنق الى طبقات اسفل ؛ انها لآية خالدة ينطق بها الكتاب المقدس قبل ان يتفهم سرها البشر ، وما ادرك كنهها الا بعد ان مضى على نزولها نحو 14 قرنا ، وتقدم فى الطيران وما اليه من خوارق الاجواء وبالتجربة صدق الكتاب ودل بوضوح على صحة ما ثبت فى علم الطبيعة من اختلاف الضغط الجوى فى مختلف طبقات الهواء ، وعلم ان الطبقات العليا اقل كثافة فى الهواء من الطبقات السفلى ، فكلما صعد الانسان الى طبقة اعلى شعر بالحاجة الى الهواء بضيق التنفس ذلك لقلة الهواء الملىء بمادتى الاكسجين والادرجين

الدعامتين الاساسيتين للحياة ، وهذا ما يحفز رجال الفن اذا ما اضطروا للتوغل فى اجـواء الفضـاء الى استعمال جهاز التنفس ليساعدهم على السير فى تلك الطبقات والاحتفاظ بحياتهم الطبيعية .

وهذه الآيات البينات التى ألمعنا اليها وغيرها كثير لم يستطع علماء التفسير ايضاحها ايضاحـا يكشف ما تحمله من أسرار اذ لم يهتدوا للمودع فى ثناياها (5) الى أن جـاء الكشف الحديث وتقدمت العلوم ، وأصبح فى متناول البحث العلمى بيـان مغزاها وكشف المراد منها حسبما أثبته البحث ومن هذا المنطلق صح ما قالوا : « الدين والعلم صنوان لا عدوان » وهكذا دواليك كلما تقدم العلم أرشـد الى ايضاح قضايا خفى أمرها على متقدمى العلماء خاصة من عنى بالتفسير وعلومه ولا بدع أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر فهمه على بعض المتقدمين — يوتي الحكمة من يشاء ، والله واسع عليم .

(5) وقد يكون البعض من رجال العلم تهيب الدخول فى أعماق الآى واستكناه ما تحمله أبعاد مفاهيمها من علم طالما ساندة استعداد للكشف والبحث .

الربـــاط **عبد الله الجرارى**

اســـتـــدراك

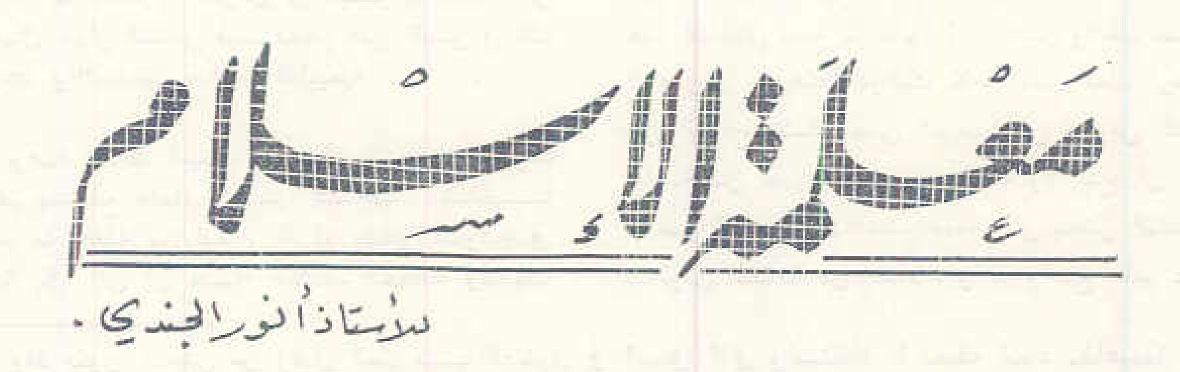
وقعت فى مقـال الاستـاذ محمـد المنـونى « المؤلفات المغربية فى الصلاة على خير البريـة » المنشور فى العدد الماضى الاخطاء التالية :

— ص 20 . ع 2 . س 6 : المهـدى بـدل النهـــري .

— ص 24 . ع 1 . س 3 : العلوى بدل المولى

— ص 26 . تعليق رقـم 5 ، يقـرأ السطر الثانى والثالث على هذا الترتيب :

« مفاخـر الاسلام » لابن صمـر ، مخطوط المكتبة الحمزية ، وترجمة مؤلفه عنـد ابن بشكوال فى « الصلـة » نشر العطار رقـم 1299 ، وجاء اسمه — كلامـلا — عنـد السخـاوى فى خاتمـة القول البديـع .



المراد بالمعلمة : المعجم الذى يحوى مصطلحات العلوم والفنون وقد اخترناها فى هذه المحاولة التى قصدنا بها الى انشاء : (دائرة معارف اسلامية جامعة تربط بين الاصالة والمعاصرة) وتختص بالمصطلحات وتضم 99 مادة (اى مصطلح) فى مختلف ابواب الشريعة والاخلاق والتربية والاجتماع والاقتصاد والنفس والثقافة والحضارة والعلم والفن والتاريخ واللغة والسياسة والفلسفة ومقارنات الاديان .

الحديث فى هذه المعلمة موجه الى شباب الاسلام والعرب فهم عدة الوطن الكبير وجيل الغد الحافل بمسئولياته وتبعاته ، وهم الذين سوف يحملون امانة الدفاع عن هذه العقيدة فى مواجهة الاخطار التى تحيط بها من كل جانب ، فمن حقهم على جيلنا ان يقدم لهم خلاصة ما وصل اليه من فكر وتجربة وان نطلعهم صادقين مخلصين على حقائق الامور ، وان نعبد لهم الطريق الى الغاية المرتجاة : غاية العزة والكرامة والسيادة لهذه الامة فى ارضها واهلها بما يمكنها من أن تحقق رسالتها وتنشر دعوتها فى العالمين .

ومن هنا فقد كانت هذه مسؤوليتنا ازاءهم فاذا لم نقم بها كنا آثمين وكان علينا تبعة التقصير وعجز التبليغ وهذا مفهوم الاسلام فى بذل العلم وانفاقه وتبيينه للناس والكشف عنه والامتناع عن كتمانه وتقديمه خالصا لله مجردا عن الهوى او الغرض او المطمع وهو غير ماتحاول الفلسفات ان تقدم للناس من شكوك وشبهات وتساؤلات لا اجابة لهاامعانا فى تعميق الحيرة وتوسيع نطاق القلق وخلق أجواء اليأس والتشاؤم وليس الاسلام كذلك ، انما الاسلام عطاء للقلوب ونور للنفوس وهدى للعقول فما من كلمة تثار لكشف باطل الا ومعها كلمة الحق تشفى الصدور المؤمنة وترضى العقول المستنيرة .

وشبابنا المسلم والعربى هدف من اهداف اعداء الانسانية وخصوم الاديان وكل ما يوجه اليهم من سهام الغزو فى عقائدهم واخلاقهم وقيمهم عن طريق الكلمة او الصورة او الشاشة انما يراد به هدم هذه الاجيال وتدميرها حتى تسقط قلعة الاسلام فى ايدى اعدائه وتسيطر القوى الظالمة على البشرية كلها وسوف لا يقع هذا ما دمنا متيقظين واعين لما يراد بنا قادرين على التماس طريقنا الذى هدانا الله بالحق .

ولقد عمل الاسلام على تحرير اتباعه من التأثير الاجنبى بكل انواعه ودعا الى اليقظة ازاء الحرب النفسية والغزو الفكرى مما يهدف الى تغيير المعالم الاصيلة لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم . ذلك أن الاسلام انما يريدهم امة متميزة لها خصائصها ولها رسالتها فلا يضيعوا فى غمار الامم ولا تحتويهم الدعوات ولا

تصهرهم الحضارات ليكونوا الدعاة الى الله قائمين على كلمة التوحيد الخالص لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة .

لقد قصدنا بتقديم هذه المعلمة ان نقدم للشباب تفسيرات واضحة صريحة وصادقة لكل ما يثار فى افق الفكر الاسلامي والثقافة العربية من مصطلحات ومفاهيم وقيم لنكشف وجه الاسلام فيها .

ولقد بدانا هذه المحاولة منذ بضعة عشر عاما وتقصينا اغلب ما كتب ونشرنا فى ذلك عشرات الكتب التى هى بين يدي القارىء اذا أراد التوسع فى التفاصيل - اما فى هذه المعلمة فقد رغبنا ان نقدم العصارة الموجزة والخلاصة المركزة فى اسلوب بسيط يسير بحيث يمكن للشباب المثقف ان يحيط باكبر قدر من المعلومات فى حيز قليل من الكتابة ، من خلال مواد الفكر كله حتى يتم بذلك تأصيل مفهوم الثقافة الاسلامية الجامع الذي ينتظم معرفة جميع ابعاد الاسلام فكره وعقيدته وشريعته واخلاقه ولا يقتصر على جانب او عدة جوانب . وبعد فتلك امانتنا الى شباب الاسلام خالصة لله مبرأة من الغرض والهوى ولمطمع هادفة الى الحق على صراط الله المستقيم . والله جل جلاله من وراء القصد .

ما هي المعلمة

المراد بالمعلمة : المعجم الذى يحوى العلوم والفنون . وهى من الصيغ التى تدل على المكان الذى يكثرفيه الشيء والمكان قد يكون وعاءا او اداة ، ووعاء العلم الكتاب كما لا يخفى وقد تكسر الميم حملا لها على معنى الوعاء كما قالت العرب سابقا (مقلمة) لوعاء اقلام الكتابة لانها تكثر فيه .

والمعلمة هى التى سماها بعضهم (دائرة معارف) وهى تعريب لفظى لكلمة (انسكلوبيديه) الافرنجية لكنها فى العربية لا تفيد فائدة المعلمة .

وسماها بعضهم (كتاب موسوعات) هذا ما نقله العلامة احمد تيمور عن الكرملى فى تفسير كلمة (المعلمة) وقال ان اللغويين لم يتفقوا على لفظة عربية مفردة يصح اطلاقها على نوع المعاجم المعروفة عند الافرنج باسم ولهذا اضطر مؤلفو هذا النوع عندنا الى اختيار اعلام مركبة لمعاجمهم تدل بالتقريب على ما تحتويه .

ونقول ان اول من اطلق على هذا الصنف كلمة دائرة معارف هو البستانى وتبعه فريد وجدى وقد استعمل البعض كلمات : قاموس ومعجم وموسوعة على التوالى ولم يستعمل احد بعد مصطلح (معلمة) مع انه أوفى وأكثر احاطة وشمولا . وبالجملة فالمعلمة فى تقديرنا موسوعة قاصرة على المصطلحات فى الفكر والعقيدة) وهذا ما قصدنا اليه . وما يتميز به هذا العمل الذى نقدمه عن المعاجم المختلفة .

المصطلحات العامة

الوارادة فى هذه المعلمة

الاديان	الاسلام
الادب	الاقتصاد
الاجناس	الاستعمار
التاريخ	التربية
الثقافة	الحضارة
الاخلاق	السياسة
الشريعة	العلم
الفكر	الفلسفات
الفن	اللغة
المجتمع	النفس
الشباب	المرأة

لماذا اصدرنا معلمة الاسلام

عرفت اللغة العربية فى العصر الحديث الموسوعة والقاموس والمعجم ودائرة المعارف وكان ذلك امتدادا لتاريخ عريق متصل فى الادب العربي والفكر الاسلامى منذ بدأ أئمتنا الاجلاء كتابة دوائر المعارف الاسلامية وهو العمل الذى لايزال بين ايدينا يهدى الى ضياء العلم ونور الثقافة . ولقد اهدى الينا على المدى الطويل عديد من هذه الموسوعات ابرزها :

الفهرست لابن النديم واحصاء العلوم للفارابى ومفاتيح العلوم للخوارزمى ومفتاح السعادة لطاشى كيرى زاده وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى (محمد على بن على) .

هذا بالاضافة الى موسوعات اللغة امثال لسان العرب لابن منظور والمخصص لابن سيده وموسوعات التاريخ امثال وفيات الاعيان لابن خلكان وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى والوافى بالوفيات للصفدى .

والذى يعنينا فى هذا العصر امر المصطلحات المحدثة المتصلة بمفاهيم القيم والمعارف والعلوم والفلسفات

وما اطلق منها فى الغرب ثم ترجم الى اللغة العربية دون ان يتصل بمدلولات الفكر الاسلامى وظروفه ومصادره .

ومن ثم فقد وجدت فى مجال الفكر الاسلامى كلمات كثيرة لها ترجمات عربية دون ان يكون هناك ما يكشف عن ظروفها وارتباطاتها فى بيئاتها او التحديات التى نشأت فيها وقد جرت محاولات ماكرة لان تحل هذه المصطلحات محل كلمات عربية معروفة فكان ذلك من اخطر ماقصد اليه التغريب ، نظرا للاختلاف الواضح البين بين الكلمة المعربة والكلمة العربية .

فهل يمكن ان تؤدى (رليجون) الغربية معنى كلمة دين فى اللغة العربية وهل تؤدى كلمة (ديمقراطية) معنى كلمة شورى العربية هل تؤدى كلمة (اشتراكية) معنى كلمة (عدالة اجتماعية) العربية وهل تؤدى كلمة (قومية) معنى كلمة (عروبة) فى الواقع ان هناك فوارق عديدة بين مدلول هذه الكلمات وفى عشرات أخرى من المصطلحات التى وضعت فى اللغات الاوروبية سواء فى مجال السياسة او الاجتماع أو الاقتصاد او الدين والتى ترجمت ، ثم جرت المحاولة بعد الترجمة لوضعها بديلا للكلمة العربية التى لا تحمل نفس المعنى ولا تؤديه .

ذلك لان الكلمات التى تتخذ كمصطلحات انما تحمل وضعية خاصة ترتبط بالعصر والبيئة والظروف والتحديات وتمثلها ، وهذا ما لا يمكن ان يتوفر لها بالترجمة التى تواجه عصرا وبيئة وعقائد تختلف وتتباين .

كذلك فان الكلمات تتغير مدلولاتها مع الزمن وتتطور بالاستعمال فى نفس لغتها وبيئتها فما بال الامر حين تنقل الى لغة أخرى ، ومن ناحية أخرى فان القيم التى تعرفها البشرية تكاد تكون واحدة ولكن الخلاف بين الامم والثقافة انما يتمثل فى أمرين (اولا) فى ترتيب هذه القيم وجعل اولويات معينة لبعضها على البعض الآخرو (ثانيا) فى تفسير هذه القيم وتصورها وذلك كله يرجع اصلا الى ذاتية الامم من خلال مفهومها الخاص للثقافة والعقيدة والتاريخ .

ومن هنا فليس من المسلم به ان تكون القيم عالمية فى ترتيبها وتفسيرها وان تشابهت فى اسمائها

ونحن المسلمين لنا فكر متميز يستمد جذوره واسسه من القرآن الكريم وتتمثل فيه ذاتية المسلمين الخاصة التى تختلف بهم عن الامم فى امور كثيرة من المقدرات والقيم والمقومات .

ومن هنا كان من الضرورى ان تجرى مراجعة هذه المصطلحات المختلفة المطروحة فى أفق الفكر الاسلامى واستقصائها والكشف عن حقيقتها وموقف الاسلام منها وذلك حتى لا تختلط فى اذهان المثقفين او يظن ان هناك تشابها ما يمكن أن يسمح باذابة الفوارق بين الفكر الاسلامى الربانى المصدر وبين الفكر البشرى الذى يمثله الفكر الغربى بشقيه او باجزائه الثلاثة : (الغربية والماركسية والصهيونية)

والحقيقة الاساسية التى يجب ان تكون نصب اعين كل باحث مسلم او مثقف مسلم انما تتمثل فى التفرقة الواضحة بين مفاهيم القيم فى الاسلام وفى غيره ، الامر الذى لا مفر منه فى هذا العصر حتى يسأل المثقف المسلم نفسه دوما وازاء كل امر :

« ما هو موقف الاسلام منه »

وعلينا ان لانتسامح فى الامر ظننا بان هناك قيما انسانية عامة تشترك فيها الامم والاديان ، ذلك ان السنوات الاخيرة قد اجرت تغييرا خطيرا فى امر هذه القيم الانسانية العامة بعد أن استعلى المذهب المادى وسيطر على مفاهيم الفلسفة ومقارنات الاديان والعلوم الاجتماعية والانسانية الى أن احتوى : الادب والتاريخ والحضارة .

وهذا هو التحدى الذى يجب الاحتراز منه والخطر الذى يجب تقدير اثره ، فلقد كانت فى المراحل السابقة لعصر المادية — المسيطر الآن على الفكر الغربى — محاولات تتمثل فى الفلسفات المثالية التى هى قريبة من روح الاديان ، غير أن هذه المحاولات لم تلبث ان انهزمت تماما ولم تبق منها الا ذيول قليلة ماتزال تكافح ، فقد استطاعت الفلسفة المادية التى حملت لواءها اليهودية الصهيونية أن تجتاح الفكر الغربى كله بشقيه وان تسيطر عليه وان تحتويه وتستوعبه تماما ، ومن هنا انقطع ذلك الضوء الخافت الذي كان يومىء بأن هناك قيما انسانية عامة يشترك فيها المسلمون واصحاب الاديان والثقافات الاخرى.

ومن هنا فقد أصبح على الفكر الاسلامى ان يعيد النظر بالنقد والمراجعة لمختلف المصطلحات الجديدة فى مجال النفس والاخلاق والتربية بوصفها علوما اجتماعية وانسانية وان يكشف عن نظرته الواضحة ومفهومه الصريح وموقفه الكاشف فى مختلف قضايا الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

ذلك انه من الحتم ان لا يستسلم الفكر الاسلامى لنظريات الفكر الغربى استسلاما كاملا ولا يتقبلها بحذافيرها وانما عليه ان يعرضها على الاصول الاساسية له اولا وان يدل منها ويرفض فى ضوء قواعده الثابتة الراسخة وفى مقدمتها التوحيد الخالص .

ولقد كان الفكر الاسلامى دائما وسيظل فى موقف الحذر والمراجعة بل والمعارضة حين يتصل الامر بالفلسفة المادية ذاتها .

وقد امتدت حركة المواجهة والكشف عن الزيوف ودحض الشبهات منذ وقت طويل وعمل فى حقلها عشرات من الابرار، وجاء الوقت الذى يجب ان يوضع فى أيدى الشباب المثقف عمل متكامل جامع ميسر ، هو بمثابة ضوء كاشف يحول دون السقوط فى هوة التبعية او الاستسلام فى مجال التقليد ، ويستهدف بالدرجة الاولى اطلاق الاشارات الحمراء المانعة من التردى فى الهاوية .

ولقد توالت الاصوات مرتفعة بالدعوة الى الاصالة والتماس الذات والتحرر من التبعية حتى استطاعت ان تتكون بمرور الزمن بالوعى واليقظة مناعة قادرة على معرفة الاصيل من الدخيل ، ولقد كان للتحديات التى واجهها الفكر الاسلامى نتيجة محاولات التغريب والغزو الثقافى فى مواجهة التيارين الغربى والماركسى اثرها البعيد فى الكشف عن زيف الفكر الغربى فى مجالات كثيرة وقصوره وانهياره ازاء معضلات الحضارة والمجتمعات الحديثة ، كما كشفت هذه التحديات عن مدى قدرة الفكر الاسلامى على العطاء فى مواجهة هذه المعضلات التى وقفت أمامها الحضارة الغربية عاجزة بينما يستطيع الاسلام ان يحل مشاكل البشرية هذه ويهديها الى النور .

غير أن خطرا مازال متسلطا لما يكشف الفكر الاسلامى ابعاده وآثاره لانه لم يتمثل فى صورة مؤسسات ، ذلك هو خطر الفكر التلمودي اليهودى الصهيونى الذى يتغلغل فى مفاهيم علوم النفس والاجتماع والاخلاق والتربية . فنظريات هذه العلوم ليست فى الحقيقة الا مخططات التلمود مصاغة فى قوالب ذات صبغة علمية براقة ، وقد كشف عن هذه الصلة كثير من الباحثين فى الاونة الاخيرة وهذا هو ما نحتاج الى الاشارة اليه حتى يتعرى تماما هذا الفكر الزائف امام الشباب المثقف ذلك ان الفكرة التى يحملها الفكر التلمودى اليهودى والتى تمثلت بوضوح فى بروتوكولات حكماء صهيون انما ترمى الى احتواء العالم المعاصر كله بالسيطرة على الثقافات والعقائد والنظم السياسة وهى قد استطاعت ان تصل فى ذلك الى غايات بعيدة ، يمكن القول معها بأن الفكر الغربى كله غربيا وماركسيا قد سقط اليوم فى قبضتها وانه اصبح يصدر من منطلقات الفلسفة المادية القائمة على انكار مقررات الاديان وقيم الاخلاق .

وفى ظل ذلك قد تكشفت حقيقة تظهر الآن وتتضح باجلى معانيها ويزيدها مرور الايام قوة : هى اخفاق الحضارة الغربية بجميع مذاهبها العقائدية وانظمتها السياسة والاجتماعية والاقتصادية اخفاقا ذريعا فى تقديم منهج حياة مسعد للبشرية وليس ذلك الا مقدمة لاحد أمرين : اما الاستيعاب الصهيونى التلمودى الذى سوف يلتهم كل شىء واما ان تفيق البشرية لتبحث عن الحقيقة وهى موجودة بين ايدينا ويبدو الآن ان الطريق مازال مفتوحا امام مغامرة أصحاب البروتوكولات الذين يمهدون الارض منذ اكثر من ثمانين عاما ويتوقعون تحقيق املهم قبل نهاية القرن العشرين .

فمتى يستطيع المسلمون تقديم مفهوم اصيل مستمد من دينهم الخاتم لهداية البشرية والسير بها الى الطريق المستقيم .

ان المفكرين المسلمين مطالبون اليوم بان يقدموا (الاسلامية) للبشرية بديلا عن هذه المناهج التى انهارت وفسدت وتعفنت ومطالبون قبل ذلك ان يتعرفوا اليها هم ويأخذوا بها فى أنفسهم وفى اسرهم وهذا يقتضى الكشف عن الحقائق وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم من دخائل التفسيرات الغربية والماركسية والصهيونية جميعا وازاحة الظل المظلم وكسر هذه الدائرة المغلقة التى خلفها التغريب

والغزو الثقافي، وعلى المسلمين ان يعلموا انه لم يعد هناك مجال للتوفيق او المواءمة بينهم وبين المذاهب الوافدة او الحضارة المنهارة ، فليسوا هم في الحقيقة جزءا منها وليسوا مرحلة تالية لها .

والذين حاولوا العمل لتوفيق بين الحضارة الاسلامية ، او بين الفكر الغربي والفكر الاسلامي لم يستطيعوا ان يحققوا شيئا بل انتهت تجربتهم بالفشل الذريع في المحاولتين اللتين جرتا خلال هذه السبعين عاما سواء مع تجربة الغرب او تجربة الشرق بل كان من نتائج هذه المحاولة ان منى المسلمون والعرب بالهزيمة مرة بعد اخرى .

ولقد كان اصحاب هذه المحاولة اعجز عن تقدير الاسلام وفهمه فقد ظنوا انه شان العقائد والمذاهب الاخرى التي تقبل الاضافة والحذف، ولم يقدروا شأن المنهج المحكم الرباني المصدر الانساني الطابع ، وما تزال محاولتهم ضالة ولن تصل الى شيء .

ولقد دفعت هذه الهزائم المتوالية المسلمين والعرب الى التطلع لافق جديد فلم يجدوا امامهم الا منهجهم الاصيل بعد ان جربوا كل نظرية وايدولوجية فلم يعد لهم بد من التماسه ولم يعد لهم طريق غيره وهم يعودون اليه اليوم بعد ان اغلقت في وجههم كل الابواب وعجزت كل التجارب وبعد ان وجدوا من وراء اغرائهم بهذه المذاهب تآمرا ومكرا ورغبة في تحطيمهم واحتوائهم والقضاء عليهم ، وقد اثبتت التجربة التي بين ايديهم انهم بعد سبعين عاما لم يتحقق لهم ما يدفعهم الى الامام . وقد تكشف لهم ايضا ان حاجتهم الى الغرب ليست الا حاجتهم الى العلم التجريبي ومعطياته على ان تنقل الى اللغة العربية اساسا وتتحرك من داخلها . اما مناهج العيش والحياة والمجتمع فان لديهم مفاهيمهم وقيمهم المتصلة بذواتهم وطبيعتهم والمرتبطة بعقائدهم وثقافتهم .

ان الاسلام ليس الا شيئا مستقلا مختلفا ، له ذاتيته الخاصة وطابعه المفرد وهو لا يمكن ان ينصهر ولا ان يحتوى ولا ان يكون تابعا للحضارات والامم او مبررا للاوضاع التي تأخذ بها الاقوام في تجاربها الخاصة او في فكرها البشري وانما هو النظام المتكامل المفرد الذي لا يتجزا فاما ان يؤخذ كله او يترك كله والذي لا يصلح فيه التلفيق او الاختيار او الانتقاء، ذلك لانه جاءمنذ انزل الله به على رسوله جامعا لكل الاصول التي تتعلق بالفرد والامة والحياة والمجتمع والعقل والقلب والدنيا والاخرة ، وهو في حدذاته متسق مع الفطرة والعلم والعقل متجاوب مع النفس البشرية في مختلف حالاتها .

ومن هنا كانت اصالة النهج الاسلامي للمسلم اولا وللانسان كله ثانيا في مختلف ضروب النشاط والحركة .

اما النظرية الوافدة فهي من صنع مجتمع له ظروفه وتحدياته وقيمه وعقائده ، ولقد ولدت هذه النظرية من خلال عصر وبيئة محدودين فهي مرتبطة بهما وهي بهذا التحديد لا تصلح لكل عصر ولا لكل مجتمع ، ولن يصادف نقلها في هذا الاوان طقسا مشابها من قريب او بعيد لظروفها في بيئتها وعصرها ذلك انه حتم على كل مجتمع ان يبحث عن حاجته في ثقافته وتراثه وتجربته ولا بأس عليه ان يعرف تجارب الآخرين وينقلها كمادة خام يشكلها كيفما يشاء او يستغنى عنها .

مواد المعلمة

تتضمن المعلمة (99) مصطلحا موزعا على (22) بابا تمثل هذه الابواب مختلف جوانب الفكر والمجتمع دائرة حول محور واحد هو «الانسان» فهي تعالج قضايا النفس والاخلاق والتربية وتكشف وجهة نظر الاسلام فيها ثم تتناول قضايا العقل والعلم والفلسفة من جهة اخرى في ضوء الاسلام ثم تعرض لامور المجتمع والمرأة والشباب والشريعة والسياسة والاقتصاد كشفا عن حقائقها وقد عالجها الاسلام جميعا وادلى فيها برأيه ثم تناول أمر الدين بعامة والاسلام بخاصة وقضايا الاجناس والحضارة والتاريخ فيما يتصل بالانسان من حيث هو فرد ومن حيث الجماعة وتعرض لموقفه من الادب ومن الفكر ومن الثقافة فلم يدع قضية من القضايا التي تدور حول اموره جميعا الا اوضح فيها مدى الفارق العميق بين راى الفكر البشري وراى الاسلام وايهما اقرب الى الفطرة واصدق في مقاييس العلم وانضج في تقدير العقل واهدى الى طمانينة النفس وابعد عن الوهم والشبهة والظن والهوى .

وفي مجال الاسلام وقضاياه يتسع مجال القول عن القرآن والنبوة والعقيدة والشريعة والتوحيد

والقدر والجهاد والغيبيات وحين يتصل الامر بالفلسفات تتعرض المعلمة للحرية والعقل والشك والموت وتتحدث عن الوجودية والالحاد والوثنية والروحية والمادية وتعرض للاعتزال والباطنية والقاديانية والبهائية والثيوصوفية والماسونية .

وفي مجال الفكر تتناول مواد المعلمة : الاستشراق والتبشير والتغريب والاسرائيليات وقضايا حرية الفكر والتراث والاصالة والثوابت والمتغيرات والاقتباس وسلم القيم .

وفي مجال السياسة : تتناول المعلمة الديمقراطية والقومية والاجناس والشعوبية والصهيونية العالمية والعنصرية والفرعونية والفينيقية .

وهناك قضايا الاسرة والملابس والتعليم وقضايا الفصحى والعامية وقضايا الجنس والحب وقضايا العلم والدين والعلم والفلسفة والعلم والعلمانية والتطور.

وفي مجال الادب : قضايا الاساطير والترجمة والقصة والادب المكشوف .

وفي مجال الاقتصاد : قضايا الماركسية والراسمالية والاسلامية .

وفي مجال التاريخ : قضايا التفسير المادى والتفسير المناخي والتفسير الروحي .

وهناك علاقة الاديان بالاسلام وهل الاسلام دين بمفهوم الغرب ، وهناك العلوم الاجتماعية ومفاهيمها وموقف الاسلام منها وهناك علوم الاجناس والتحليل النفسي ومناهج الادب الوافدة ومفهوم الفن ومناهج التربية والتعليم والثقافة ومدى علاقتها وهناك قضايا المراة في الاسرة والمجتمع والعمل ومايطرحه الاستعمار في افق العالم الاسلامي من قضايا ازدحام السكان وتحديد النسل وما تطرحه الصهيونية من شبهات لايجاد التناقض بين الدين والدولة ، والعروبة والاسلام ، والشريعة والعصر وما يتصل بالربا والحدود ، وعلاقات الشباب بالآباء والامهات والمعلمين كل هذا في 99 مادة ومصطلحا موزعة على مائة جزء ، وتصدر في اربع مجلدات كل منها 400 صفحة وتضم 25 جزءا تستوى في 1600 صفحة وهي عصارة قراءة مئات الابحاث والمراجع والمصادر تستهدف في مجموعها غرضا واحدا هو الاجابة على السؤال الذى يدور على كل لسان :

«ماهو موقف الاسلام» ؟

ونرجو ان نجيب على ذلك بعون الله وفضله وهداه في ضوء القرآن الكريم .

(انور الجندى) ـ



معركة طنجة

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

فى هذا الجو المضمخ بالتدبر والخشـــوع ، والطافـــح بالدروس والعبـــر . . ومن هذا الثغـــر الطنجى الباسم المشرق المتالق ، ومن هذا العرين الذى لا يرام ولا يضام ، ومن هذه الرحاب الفيحاء التى هى مهد الامجاد والبطولات ، انطلقت مواكب الفتوحات منذ عهد عقبة بن نافع الفهرى ، والمولى ادريس الاول ، وطارق بن زيـــاد ، وابن بطوطـــة وسواهم من الافذاذ الاعلام . . .

وتتعاقب الايام والسنون ، والاجيال والقرون ؛ وتتوالى حلقات المد والجزر ، ويقسم التاريـــخ أن يعيد نفسه ، وبصورة اكثر دلالة وعمقا ونصاعة : ففى يوم 7 جمادى الاولى من عام 1367 هـ الموافق 9 ابريل سنة 1947 م ، كان صوت رائـــد النهضة المغربية ، وبطل التحرير — قدس الله سره وتغمده بواسع رحمته — يدوى مجلجلا من فوق هذا المنبر الدولى العالى الأشم ، للمطالبة بحقوقنا المشروعة فى استرداد حريتنا واستقلالنا وسيادتنا القوميـــة ووحدتنا الترابية ، وللاعلان على رؤوس الملا بأننا جزء لا يتجزأ من الاسرة العربية الكبيرة ، والامـــة الاسلامية العظيمة .

ان للمغرب العربي المسلم سيادة ما طأطـــأت الراس ابدا لأى مستعمر او دخيـــل . وتلـــك كانت طبيعته منذ العهود التاريخية الاولى ، وفى عصـــور الفينيقيين والقرطاجنيين والونـــدال وسواهـــم . . وحتى فى عز الدولة العباسية ، والحملة الهلاليـــة وما أعقبها من شتى التيارات . فالمغرب لا ينام على ضيم ، ولا يستكين ابدا لهوان .

ها هو العالم اجمع يشهد اليـــوم فى مشارق الارض ومغاربها صورة اخرى من أروع الصـــور التى تشخص وتبلور الالتحام والانسجام والتجاوب المطلق بين القمة والقاعدة ، أى بيـــن العـــرش العلوى المجيد ، وقلوب المغاربة قاطبة .

اننا مازلنا نذكر بفخـــر واعتـــزاز ومباهاة ، ما تحمله زيارة طنجة من لدن صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس — نور الله ضريحه — من معان سامية ، وشحذ للهمم ، وتثبيت للاقدام : فالنفحات المسكية لتلك الروح الطيبة الزكية ، كم صقلت من الهام ، وكم ابسمت من ثغور ، وأثلجت من صدور ! ان عروسة البحرين طنجة كانت تزهو عزة باستقبالها لبطل العروبة والاسلام . فالهيام به لا يصفه لسان، ولا يحيط به بيان ، بل انه حرك أعماق الوجدان ، وجعل الحياة لوحـــة رائعـــة التقاسيـــم والظـــلال والالوان ، توقظ خيال الشاعـــر وتوحى لريشـــة وعبقرية الفنان ، وتنطق الصحاق ، وتعلم السياسى كل راى صائب ، حينما يلمس عن كثب تلك الكلمة الخالدة ، ذات الغوص العميق : « ما ضاع حق من ورائـــه طالب » .

ان تلك الصراحة المنبثقة من قـــوة الايمان ، وصفاء القريحة ، واشعاع النبوغ ، ورباطة الجاش، والثبات على العقيدة ، والثقة المطلقة فى الله عــز وجل ، قد اقامت العالم واقعدته ، فاستيقظ النيام ، وانتبه الغافلون ليهبوا الى علاج الادواء والاسقام ، وتقويم الاوضاع ، وتوحيـــد الموقـــف المصـــيرى الحاسم .

وحينما التفت الامة خلف امامها وزعيمهـــا ومليكها فى صلاة الجمعة المشهودة ، وجلت القلوب وبكت العيـــون خشوعـــا ، وامحـــت الخلافـــات ، واضمحلت الفوارق ، وتكتلت الجهود ، لتصبـــح النوايا الحسنة والهمم العالية ، والطاقات الواعية ، تنطلق كلها فى تضامن وتئازر وتساند ، لاستقبـــال عهد جديد ، يصل الماضى بالحاضر ، ويرفع صروح المستقبل ، ويعيد للامة المغربية الأبية تماسكهـــا ووحدة صفها ، ليتحقق ما نطمح اليه من نصر وامن وسلام ، وتفتح ورقى وازدهار .

وليس منعطف رحلة طنجـــة التاريخية سوى صرخة اخرى مدوية فى وجه الطغاة والمستبدين ، وضد الزيف والزيغ والكفر والمســـخ والانحراف ، وضد الظهير البربرى المشؤوم ، وضد التفرقـــة والعنصرية البغيضة ، وضد كل مـــا من شانـــه ان ينال من ذات المغرب وشخصيته واصالته وعزته وشرفه ، ويجرح كرامته ويقدح فى كبريائه . انهـــا ثورة جذرية عارمة اقضت مضاجع المستعمرين ، وزلزلت كيانهم ، وضعضعت هيكلهم . فالمغـــرب لا يقبل هوادة فى حريتـــه واستقلالـــه ، ولا يرضى بهما بديـــلا .

ولقد دعانى اخلاصى وايمانى الى احياء تلك الذكريات الممتعة بالرغم مما اكتنفها من مصاعب واهوال وآلام وتضحيات جسام بالنفوس والنفائس.. فاى ورد يخلو من شوك ؟ واى شهد لا تمنعه ابـــر النحل ؟ واى محيط لا تكـــدره الزوابـــع والعواصف والاعاصير ؟ ! ومن لم يذق مرارة الدموع ، فانـــه لا يدرك ابدا حلاوة الابتسام !

نعم ، دعانى الواجب الى ان اكون ترجمـــان شعبي وامتى فى كوامن قلوبها الكبيرة المؤمنـــة المناضلة ، نحو عرشنا الساهر على مكاسبنـــا وأمجادنا العريقة ، وطموحاتنا وتطلعاتنا وآفاقنـــا الواسعة . وهذا بدون شك مجال فسيح يجب ان ينطلق فيه زمام اليراع ، ليرتـــع فى ريـــاض المعانى وفراديس الشعور ، وبراعة الخيال ، والاجادة فى فنون التصوير والابداع ، والبـــوح بأزكى الطيوب والعطور ، واعذب الاغاريد والاناشيد .. وما هو الا اداء للامانة ، واستخلاص اجمل عبرة من اروع تـــاريـــخ .

ومن هذا الثغر الطنجي كذلك ، عاد الجنود المغاربة الابطال الاشاوس المغاوير ، بعدما حققوا النصر المبين لامتنا العربية المسلمـــة فى سينـــاء والجولان وجبل الشيخ ، وغسلـــوا ادران العـــار والشنار ، وسقوا بدمائهم الزكية الطاهرة شجرة الشرف والعزة والحرية .. والجود بالنفس اقصى غاية الجود .. فهم قد لقنـــوا العـــدو الصهيونى الغاشم درسا لا ينساه ولن ينساه ابدا ، وحطموا خرافة خط بارليف والجيش الذى لا يقهر ، وكالـــوا الصاع صاعين لشذاذ الآفـــاق ونفايات الشعوب الذين اقدموا — ياويلهم ! — على احراق المسجد الاقصى ، اولى القبلتين وثالث الحرمين ، واصبـــح يحسب لنا ولدولتنا المجيدة الف حساب ! انهـــا قصة العبور الاعظم ، وما ادراك ما هى ! ! فعسى الله ان يمن على المسلمين اجمعين بجمـــع الشمل ورأب الصدع ، حتى يستعيـــدوا لمدينـــة القـــدس الحبيبة اصالتها وعزتهـــا وكرامتهـــا ، ولفلسطيـــن السليبة ، مهبط الرسالات السماوية ، ما تطمح اليه من انعتاق وخلاص ! .. وما ذلك بعزيز على احفـــاد يوسف ابن تاشفين بطل الزلاقة ، وعلى من حققوا الانتصارات الباهرة فى معركتـــي وادي المخـــازن والأرك ، وعلى ذرية المولى اسماعيل الذى طـــرد الدخلاء الاسبانيـــين والبرتغاليـــين والانجليـــز من شواطىء المغرب ، وعلى نسل معركة انوال الذين تركوا فى المستعمر عبرة وذكرى لاولى الالباب .

وبالامس القريب ، انعقد بطنجة فى 23 و 24 ربيع الثانى عام 1396 هـ الموافق 23 و 24 ابريل سنة 1976 ملتقى الشباب الصحـــراوى ، وقـــد استعادت بلادنـــا وحدتهـــا الترابيـــة ، واسترجعنا اقاليمنا الصحراوية بفضل المسيرة الخضراء الحسنية السلمية المظفرة ، واصبحت العيون ترنو الـــى « عاصمة العيون » من خلال ما تمخض عنه ذلـــك الملتقى من توصيات وابعاد وردود فعل ايجابيـــة بالغة الاهمية ، سواء فى الداخل أو الخارج . ومن حسن حظ مدينة طنجة المكافحة أن ينعقد فيها ذلك المؤتمر التاريخى العظيم .

والواقع أن معركة طنجة سلسلة متصلة الحلقات فى الماضى والحاضر والمستقبل لا تزيدها الايام الا جدة وتأثيرا ، وانتشارا وذيوعا ، وفوائد ومزايا حسية ومعنوية لا تدخل تحت العد والحصر والاستقصاء : فمنها انبثقت الاشراقات التى تنتظم البلاد شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، على جميع الاصعدة والمستويات ، وعلى ضوئها انعقدت مؤتمرات القمة على المدى الاسلامى والعربى والافريقى سياسيا وثقافيا واقتصاديا وسياحيا . . ومنها امتد النور المحمدى فى الدوحة العلوية الباسقة ماجدا عن ماجد ، وكابرا عن كابر . . ومنها تعلمنا الثورة البناءة ، والغضبة النبيلة ، والفداء المستميت ، والعزيمة الخلاقة التى لا تلين ولا تستكين . . ومنها نقتبس ونتعشق فنون الصفاء والوفاء ، والبعث والنماء ، التى تتفتق عنها عبقرية جلالة الملك العظيم والقائد الرائد البطل مولانا الحسن الثانى نصره الله . ولا بدع فى ذلك ، فهو رفيق النضال وامين السر ، ووارث السر لزعيم العروبة والاسلام مولانا محمد الخامس — طيب الله ثراه — وهذه العصا من تلك العصية ، وهذا الشبل من ذلك الاسد . حفظ الله سيدنا الامام ، واطال عمره الكريم فى الصالحات وجلائل الاعمال ، واقر عينه بولى عهده صاحب السمو الملكى الامير المحبوب سيدى محمد ، وصنوه المولى الرشيد ، وسائر الامراء والاميرات فى البيت العلوى المجيد .

وانها لمسيرة مستمرة ، وهمة ملتهبة ، وجهاد دؤوب لا يمسه نصب ولا لغوب ، وتحقيق للمزيد من النصر والتفتح والعطاء بسخاء وبدون حساب لما فيه اعلاء كلمة الله ، وخير العروبة والاسلام .

ذلك هو بالذات المعنى القريب ، والمغزى البعيد لمعركة طنجة الحاسمة التى اوحت لى بالتصيد التـالـى :

فى طنجة السماء تلك المعركه ،
قد بعثت فى الشعب اقوى حركه

من « ابن يوسف » الهمام قبست
من صرخة الجواد اسمى بركه !

حرارة استقباله فريدة
من نوعها . . فالشعب يهوى ملكه

من التحدى تلك اسمى آية
قد تركت روح العدى مرتبكه

وربح الرهان منا قائد
علمه زمانه وعركه .

فاى روح طبعت نداءه ؟ !
واى اسلوب به قد سبكه ؟ !

فالشعب لن ينسى له موقفه ،
ومنهج الحق الذى قد سلكه

خطابه ملحمة لدولة
ثائرة ، واعية ، ومدركه

تشكو من البغى المدبر الذى
خططه عدونا وحبكه !

مليكنا الهمام خالقه
رسالة ذات مزايا موشكه

ام الرعايا هاهنا بجمعة ،
وبلغ السر الذى قد ادركه

والله وحد الصفوف حوله ،
فلم تعد شديدة مفككه

ولم يضع حق غدت تطلبه
امتنا ، فهى التى لن تتركه !

حول المليك عبأت طاقاتها
فى وحدة ، بعرشها مستمسكه

ودينها الاسلام ، اما امها
فهى العروبة شعار المملكه

والضاد خير لغة قد باورت
من روحنا الاصالة المشتركه

فلا الظهير البربرى نالها ،
بل قد رمى بنفسه فى الشبكه !

وامتى بربها مؤمنة ،
ولم تكن كافرة او مشركه

فما تنصرت برغم فئة
فى شرها غارقة منهمكه

ونحن ندرك مكايد العدى ،
ونشجب الشوائب المشتبكه

قد خسىء التشير فى تدجيله ،
ولم يجد حساب تلك الفذلكه

نزداد بالتوحيد حول عرشنا
اصالة ، وقوة ، وملكه

ان البرابرة احرار لقد
ثاروا هنا على دعاة الكتلكه

وعرف الشعب الذكى دربه
مواصلا نحو الخلاص مسلكه

وحير المستعمرين امره ،
فاى سر يا ترى قد حركه ؟ !

تحمل الأذى ، فما قهره
ليل دهى ربوعه ، ما احلكه !

من كل صوب قد راى عدونا
من الثبات عندنا ما انهكه

يلقى جزاءه بكل بقعة ،
ويفلت الزمام مهما امسكه !

والله يحمى بيتنا واهله ،
ضد الدخيل من طغى وانتهكه

مجازر (البيضاء) تصرخ بما
جناه بالدم الذى قد سفكه

وكل ركن من بلادى دمعة
حرى على العرض الذى قد هتكه

فكم شريد وشهيد فى الحمى !
والشعب لا ينسى هنا معتركه

قد باء الاستعمار بالخسران اذ
نصب للشعب الأبى شركه

لكنه وقع فيما دبرت
دهاته ، والله حقا اهلكه !

كم ملأ السجون بالأحرار ، اذ
ظن النفوس عنده ممتلكه

وغضبة الشعب على اعدائه
قادتهمو الى الردى والهلكه

لا حكم للمستعمرين ، انه
اوردهم حضيضه ودركه

والحكم للعرش وللشعب الذى
بغيره فى حكمه لن يشركه

بعضهما يرعى حياة بعضه ،
كالماء يحفظ حياة السمكه

والمغرب الحر استعاد مجده
بهمة عالية ، واستدركه

خيب اطماع الدخيل من غدت
اطواره مؤسفة ومضحكه ! ! — :

لم يقدر الأحرار حق قدرهم ،
ولا الجهاد المر منهم حنكه

حتى اتاه الحق فى صولته ،
وغنم الأبطال منه التركه

من لم يعد الى الشعوب حقها ،
فالدهر غرر به واستهلكه !

الرباط — محمد بن محمد العلمى

ردّ الذهبي على ابن القطان الفاسي

(2) تقديم وعرض: الاستاذ فاروق حماده.

صدر القسم الاول من هذا البحث فى العدد الاول من السنة 18 بالعنوان اعلاه

29 ـ حديث الدارقطني « اذا توضأ عرك عارضيه » قال: الصحيح انه فعل ابن عمر، رواه ابو المغيرة عن الاوزاعي عن عبد الواحد بن (قيس) عن نافع عن ابن عمر.

ورواه عبد الحميد بن ابى العشرين عن الاوزاعي فرفعه.

قال المؤلف: كلاهما ثقة، قلت: بل الثقة من وقفه فقد قال النسائي: عبد الحميد ليس بالقوى قال: وقال ابن معين: عبد الواحد (شبه) لا شيء قلت: المعروف ان قائل هذا يحيى بن سعيد، ورواه عنه ابن المديني.

30 ـ حديث الدارقطني، حدثنا محمد بن احمد بن محمد الادمى ثنا احمد بن منصور، ثنا سعيد بن عفير، حدثنى يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الركعتين التى يوتر بعدهما بسبح وقل يا ايها الكافرون، ويقرأ فى الوتر: قل هو الله احد والمعوذتين، وحدثنا الحسين بن اسماعيل ثنا ابو اسماعيل الترمذى ثنا ابن ابى مريم حدثنا يحيى بن ايوب فذكره.

قلت: يحيى فيه مقال

---

29) (1) عبد الواحد من رجال ابن ماجه، واستدراك الذهبي على المصنف فى عزو القول ليحيى بن سعيد ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب 439/6 وتدوثقه قوم وضعفه آخرون، وابن عدى من عادته ان يحكم على الرجل بعد سبر حديثه يقول، حدث عنه الاوزاعي بغير حديث وارجو انه لا بأس به لان فى رواية الاوزاعي عنه استقامة.

(2) وعبد الحميد بن أبى العشرين، من رجال الترمذى وابن ماجه روى عن الاوزاعي وحده، ووثقه الدارقطني وغير واحد، ونقل فيه الحافظ ابن حجر قول النسائي هذا. انظر 112/6، وقال فى التقريب صدوق ربما اخطأ 467/1.

(3) والحديث اخرجه ابن ماجه فى سننه (رقم 432) مرفوعا قال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبد الحميد بن حبيب ثنا الاوزاعي ثنا عبد الواحد بن قيس حدثنى نافع عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الحديث.

30) (1) يحيى بن أيوب هو الغافقي المصرى اخرجه الجماعة، وقد انكر حديثه هذا احمد بن حنبل كما ذكره العقيلي فى الضعفاء ونقله عنه ابن عدى، ثم قال: ولا ارى فى حديثه اذا روى عن ثقة حديثا منكرا، وهو عندى صدوق لا بأس به، انظر تهذيب التهذيب 186/11

(2) والحديث اخرجه الدارقطني، والطحاوى.

31 ــ حديث (ابى داوود) ثنا الحسن بن الصباح البزار ثنا اسماعيل بن عبد الكريم ثنا ابراهيم بن عقيل عن ابيه عن وهب عن جابر مرفوعا « اذا توفى احدكم فوجد شيئا فليكفن فى ثوب حبرة »

قال : اسماعيل لا يعرف ، قلت : هو من شيوخ أحمد ، وقال (النسائى) لا بأس به .

32 ــ حديث « قال لعائشة وحفصة صوما يوما مكانه »

خطاب بن القاسم عن خصيف عن ابن عباس . خصيف سىء الحفظ ، ووثق خطابا .

قلت : روى البرذعى عن ابى زرعة ، هو منكر الحديث ، فقال : اختلط .

33 ــ حديث الحرث عن على « من ملك زادا وراحلة ولم يحج .. »

قال (الترمذى) حسن وفى اسناده مقال ، رواه هلال بن عبد الله مولى ربيعة عن ابى اسحق عنه .

قلت : قال (البخارى) هلال منكر الحديث .

34 ــ حديث « كنا اذا حججنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فكنا نلبى عن النساء ونرمى عن الصبيان »

رواه محمد بن اسماعيل الواسطى ، سمعت ابن نمير عن اشعث بن سوار عن ابى الزبير عن جابر ..

قال (الترمذى) : اجمع اهل العلم ان المراة لا يلبى عنها غيرها .

فهذا خالفه ابو بكر بن ابى شيبة فى مصنفه .

ثنا ابن نمير ، ولفظه « حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم .

قلت : تبين ان الحق مع أبى بكر .

35 ــ حديث « ماء زمزم لما شرب له » .

قال عبد الله بن المؤمل : ليس عن ابى الزبير عن جابر ،

وقال الدارقطنى : ثنا عمر بن الحسن بن على، حدثنا محمد بن هشام المروزى ــ يعنى ابن ابى الزميل ، ثنا محمد بن حبيب الجارودى ، ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لما شرب له ، وان شربته تستشفى شفاك الله ، وان شربته لشبعك اشبعك الله ، وان شربته لظمئك قطعه الله ، وهى (...) جبريل ، وسقيا اله اسماعيل » .

قلت : هؤلاء ثقات سوى الاشنانى انا نتهمه بوضع .

(32) الحديث رقم /3150/ ، وكما قال الذهبى فهو من شيوخ احمد ، والذهبى وغيرهم من الاعيان ، ووثقه ابن معين ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، والنسائى ، وقال ابن حجر فى تهذيب التهذيب ، واما قول ابن القطان الفاسى : ان اسماعيل لا يعرف فمردود عليه ، ونقل عن مسلمة بن قاسم انه قال : جائز الحديث : تهذيب التهذيب 315/1 .

(33) (1) خطاب ذكره الذهبى فى الميزان 656/1 ونقل كذلك قول البرذعى عن ابى زرعة فيه ، ومثله الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب 146/3 ، لكن خطابا قد وثقه ابن معين ، وابو حاتم وابن حبان بل ان ابى حاتم نقل عن ابى زرعة انه ثقة ، انظر الكتابين المشار اليهما . وهو من رجال أبى داوود والنسائى .

(2) الا ان حديثه هذا قد اخرجه النسائى وقال عقبه : هذا حديث منكر ، خصيف ضعيف ، وخطاب لا علم لى به .

(33) (1) هلال بن عبد الله من رجال الترمذى ، وقال عنه مجهول ، وقال ابن عدى : هو معروف بهذا الحديث .

(2) هذا الحديث تفرد به الترمذى فأخرجه فى الجامع أبواب الحج ، باب ما جاء فى التغليظ فى ترك الحج .

الورقة الاخيرة من المخطوطة يظهر فيها استعمال الارقام

36 ــ حديث « أسلمت وتحتى اختان » يحيى بن ايوب عن يزيد بن ابى حبيب عن ابى وهب الحسانى ، عن الضحاك بن فيروز الديلمى عن ابيه (حسنه الترمذى)

قال المؤلف : وعندى انه ضعيف لجهالة حال ضحاك ، وابى وهب ، ديلم .

وقد قال (البخارى) فى اسناده نظر .

قلت : لانه فى مناكير يحيى .

37 ــ حديث معمر عن الزهرى عن سالم عن ابيه ان غيلان بن سلمة الثقفى اسلم وله عشر نسوة ، فأسلمن معه ، فأمر ان يختار منهن اربعا .

فعن البخارى ليس بمحفوظ ، والصحيح شعيب وغيره عن الزهرى .

38 ــ حديث عن محمد بن سويد الثقفى ان غيلان ابن سلمة اسلم ..

قال المؤلف : ليس ذا عندى بعلة ، وقد رواه ابن وهب عن يونس عن الزهرى .

عن عثمان بن محمد بن ابى سويد، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغيلان حين اسلم ... ورواه الليث عن يونس عن الزهرى ، قال : بلغنى عن عثمان بن ابى سويد .

وحديث معمر المذكور عن سعيد بن ابى عروبة ، ويزيد بن زريع وهارون بن معاوية عنه ، وروى عن الثورى عن معمر كذلك .

39 ــ (الدارقطنى) ثنا محمد بن نوح الجنديسابورى، ثنا عبد القدوس بن محمد .

وثنا ابن مخلد ، ثنا حفص بن عمر بن يزيد ، قالا: ثنا سيف بن عبد الله الجرمى ، ثنا سوار بن (ابن مجشر) عن ايوب ، عن نافع وسالم عن ابن عمر ان غيلان الثقفى اسلم وعنده عشر نسوة ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم ، ان يمسك منهن اربعا ، فلما كان زمن عمر طلقهن ، فقال له عمر : راجعهن والا ورثتهن مالك وامرت بغيرك .

زاد ابن نوح : فأسلم واسلمن معه ، فسلم اربعة .

قلت : وكذلك سيف ، وهو غريب جدا .

40 ــ حديث : لا تطلق النساء الا من ريبة ، ان الله لا يحب الذواقين

ليس اسناده بقوى ،

فهذا يرويه البزار عن الفلاس ، ثنا ابو معاوية، ثنا محمد بن شيبة بن نعامة عن عبد الله بن عيسى ، عمن حدثه ، عن ابى موسى الاشعرى: فهذا منقطع .

ورواه قاسم بن اصبغ : حدثنا ابو بكر بن ابى العوام ، ثنا ابى ، حدثنا حفص بن عمر البرجمى عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن ابى ليلى ، عن عمارة بن راشد عن عبادة بن نسى ، عن ابى موسى :

والآخر منقطع ، وعمارة يجهل .

قلت : وعبادة لم يلحق أبا موسى .

41 ــ حديث « ثلاث جدهن جد . .

حسنه (الترمذى)

رواه عبد الرحمن بن حبيب بن ادرك عن عطاء عن يونس بن ماهك عن ابى هريرة ، فابن ادرك لا يعرف حاله .

قلت : قد قال (النسائى) منكر الحديث .

---

(39) سيف من رجال النسائى ، قال مسلمة بن قاسم فيه ضعف ، وقال ابن حبان فى ثقاته ربما خالف ، ووثقه جمع ، وقال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : صدوق ربما خالف .

(41) عبد الرحمن من رجال ابى داوود وابن ماجه ، وهو اخو على بن الحسين لامه فقول ابن القطان لا يعرف حاله ليس بمقبول ، روى عن جمع منهم سليمان بن بلال وعبد العزيز بن محمد الدراوردى واسماعيل بن جعفر ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال الحاكم : من ثقات المدنيين ، بل حسن الترمذى حديثه هذا ، والذهبى قد قال فى ميزانه : صدوق له ما ينكر ، انظر 555/2 ، وانظر تهذيب التهذيب 159/6 . وقال فى التقريب : لين الحديث انظر 476/1 .

42 ــ حديث النهى عن الكلب الا كلب صيد ، وهى الطــــرق .

وقال الدارقطنى : ثنا محمد بن اسماعيل الفارسى ثنا عبيد بن محمد الصنعانى ثنا محمد بن عمر بن أبى أسلم ، ثنا محمد بن الصنعانى ، ثنا نافع بن عمر عن الوليد بن عبد الله بن أبى رباح عــن عمه عطاء ، بن أبى هريرة مرفوعا « ثلاث كلهن سحت كسب الحجام ومهر البغى ، وثمن الكلب الا الكلب الضارى .

الوليد ضعيف ، قاله الدارقطنى ، قال المؤلف : رواته مجاهيل .

قلت : عبيد هو الكنسورى معروف ، والصنعانى فلا اعرفه والاسناد مظلم .

43 ــ حديث اذا اختلف البيعان ، وليس بينة ؟ فهو ما يقول رب السلعة او يتتاركان .

فيه انقطاع قاله ابن عبد البر ، فهذا رواه أبــو العميس المســعودى .

حدثنى عبد الرحمن بن محمد الاشعث عن أبيه عن جده عن ابن مسعود ، وانما عبد الرحمن هذا ابن قيس بن محمد بن الاشعث ، روى عنه مجاهــد والشعبى ، وسليمان بن يسار والزهرى عــن عائشة .

فأما روايته عن ابن مسعود فمنقطعة .

قلت : هو كبير ، ولقيه ممكن ؟

وهذا الحديث فرد رواه (أبو داوود) عــن الذهلى و (النسائى) عن أبى حاتم جميعا عــن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن أبــى العميــس .

44 ــ حديث (أبى داوود) ثنا أحمد بن صالح ، ثنا يحيى بن محمد المدنى حدثنى عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبى مريم عن أبيه عن سعيد بن عبــد الرحمن بن قيس أنه سمع شيوخا من بنى عمرو ابــن عــوف (ومــن) خالــه عبــد اللــه ابــن أبــى أحمــد ، قــال : قــال علــى : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتم بعد احتلام ، ولا صمات يوم الى الليل .

قال أبو محمد : المحفوظ موقوف ، قال المؤلف : خالد وابنه مجهولان ، وأبوه ثقة ، ويحيى امــا ضعيف أو مجهول ، لعله ابن هانىء .

قلت : ارى أنه أبو زكير ، ويجوز أن يكــون الجارى .

قال : وعبد الله بن أبى أحمد بن جحش مجهول الحال ، وما هو بوالد بكير بن عبد الله بن الاشج كما توهم ابن حاتم

---

42) لم يزد الذهبى رحمه الله على تأكيده لقول أبى الحسن ، وان أفاد تعريفنا بالكنسورى

43) انظر الحديث فى سنن أبى داوود رقم /3511/
وقيس من رجال أبى داوود ، وقد وثقه ابن حبان

44) (1) كنت اعتقد ان فى هذا الموضع نقصــا فى النسخة لعدم ظهور بعض الكلمات ، وبعد الرجوع الى المصادر تبين لى أنه لا نقص فيها والحمد لله
(2) وانظر الحديث فى سنن أبى داوود رقم / 2873 / وقد سكت عليه .
(3) وعبد الله بن احمد بن أبى جحش قال فى الخلاصة : الاسدى ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، عن أبيه ، وعنه بكير بن الاشج وغيره ؟ وفى التهذيب وعنه عبد الله بن الاشج والد بكير بن عبد الله .
وجهالة مثله لا تضر .
(4) واما يحيى المدينى فان كان ابن هانىء فمختلف فيه ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وان كان الجارى فقدوثقه العجلى وابن عدى ، وان كان ابن زكير فقد روى له مسلــم متابعة وغيره كالاربعــة .

45 ــ حديث « الخال وارث من لا وارث له » .

حسنه (ت)، الثورى عن عبد الرحمن بن الحارث عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن ابى امامة عن عمر .

قال المؤلف : حكيم لا تعرف عدالته

قلت : وقال (ابن) سعد : لا يحتجون به .

46 ــ حديث « ان مولى النبى صلى الله عليه وسلم وقع من نخلة فمات ، فقال (النبى صلى الله عليه وسلم) : انظروا هل من وارث ؟

حسنه (الترمذى)

قال المؤلف : لا ادرى لم لم يصححه ، فان رجاله ثقات ولا اختلاف فيه ولا انقطاع ، قال : ثنا بندار ، ثنا يزيد ، انبأنا سفيان عن عبد الرحمن ابن الاصبهانى عن مجاهد بن وردان عن عروة عن عائشة .

فمجاهد ثقة ، وان لم يعرفه ابن معين ، فقد عرفه أبو حاتم ووثقه ، وحدث عنه شعبة ، وابن الاصبهانى فثقة .

قال كاتبه : بالجهد ان يكون حسنا لامور ، احدها انه معنعن ، وثانيها ان مجاهدا هذا شيخ محله الصدق مثل ، ما هو كالزهرى وهشام بن عروة فى التثبت ، فتفرده بالجهد ان يكون صحيحا غريبا ولو استنكر حديثه هذا لساغ .

وثالثها ان عبد الرحمن الاصبهانى اثنان احدهما حديثه فى الكتب الستة وهو قديم الموت ، من اقران منصور والاعمش ، وثقة لا نزاع فيه والثانى عبد الرحمن بن سليمان الاصبهانى ، يروى عن عكرمة والشعبى ، وتاخر الى زمن هارون الرشيد ، فما ابعد أن يكون هو صاحب الحديث

روى عنه محمد بن سعيد الاصبهانى ، ومحمد ابن سليمان بن الاصبهانى وجماعة ، قال ابو حاتم : هو صالح الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشىء ، وروى الكوسج عن ابن معين توثيقه ، فهو كما ترى مختلف فيه ليس بالثقة مطلقا ، والحديث فى السنن الاربعة .

47 ــ حديث « من اسلم على يد رجل فهو اولى الناس . . »

قال (البخارى) : اختلفوا فى صحته ، فهذا ليحيى بن حمزة عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز سمعت عبد الله بن موهب يحدث أبى عن قبيصة بن ذؤيب عن تميم .

وعلته الجهل لحال ابن موهب قاضى فلسطين .

فقلت : ذا قد روى عنه الزهرى والكبار ، ولكن علة الحديث انه مرة ارسله عن تميم فأسقط قبيصة ، ومرة قال : عن قبيصة ان تميما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

45) (1) حكيم : اخرج له الاربعة وعنه جمع ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال الحافظ فى تهذيب التهذيب 448/2 : وقال العجلى ثقة ، وصح له الترمذى وابن خزيمة وغيرهما ، وقال ابن القطان لا يعرف حاله اه

(2) انظر الحديث فى سنن الترمذى كتاب الفرائض 183/3 من تحفة الاحوذى ، وقد اخرجه احمد وابن ماجه .

46) انظر الحديث فى سنن الترمذى كتاب الفرائض 183/3 من التحفة ؟

47) (1) الحديث اخرجه اصحاب السنن الاربعة من حديث تميم الدارى ، كما اخرجه احمد وابن أبى شيبة ، والدارمى وابو يعلى ، والداقطنى وعبد الرزاق وغيرهم .
وذكره البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة التضعيف ، وذكر قوله هذا المشار اليه . وقال البيهقى فى المعرفة : قال الشافعى : هذا حديث ليس عندنا بثابت .
ونقل الخطابى عن احمد تضعيف هذا الحديث ، وقد قيل فيه الكثير ملخصها العلة التى ذكرها ابن القطان ، والعلة التى اضافها الذهبى والعلتان المذكورتان مردودتان : اما الاولى فابى ثقه ، والعلة الثانية :

48 ــ حديث « على كل بيت في العام اضحيتـــــه وعتيـــرة » .

ابن عون عن عامر ابى رملة عن مخنف بن سليم . اسناده ضعيف ، فصدق لجهالة عامر .

قلت : رواه الاربعة من طرق عن عون وحسنـــه (الترمـــذى) .

49 ــ حديث نهى عن لبس الذهب الا مقطعا ، ثم قال : جاء المنع من تحلى النساء به عن ثوبان وحذيفة واسماء بنت يزيد وابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحيح الاباحة . ولا ينبغى ان يضعف خبر ثوبان ، أبلغ ما فيه يحيى بن ابـــى كثير عن زيد بن سلام وفيه انقطاع ، فقوله عن حذيفة خطأ صوابه عن اخت حذيفة وحديـــث اسماء رواه ابان العطار ، ثنا يحيى ان محمود ابن عمرو الانصارى حدثه أنها حدثته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيما امراة جعلت فى اذنيها خرصا فكذلك .

ورواه الدستوائى عن يحيى ، محمود مجهول .

قلت : اسماء عمته وقد وثق ، ولكن المتن منكر.

50 ــ حديث : اهل الجنة عشرون ومائة صف .

حسنه (الترمذى) لضرار بن مرة عن محارب ابن دثار عن ابن بريدة عن ابيه علله ، بروايـــة علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة مرســـلا ، ويروى عن سليمان عن أبيه ، قال المؤلـــف : لا ينبغى تعليله بذلك .

قلت : ماذا بتعليل بل حكاية الواقع ، وانما لـــم يصححه الترمذى لغرابة خبر ضرار .

فالحديث عند ابن ماجه رقم / 2752 / مـــن طريق ابى بكر بن ابى شيبة ، ثنا وكيع عن عبد العزيز ابن عمر عن عبد الله بن موهب قال : سمعت تميما الدارى .. الحديث .
ففيه التصريح بالسماع ورواته ثقات ابن ابى شيبة ووكيع وعبد العزيز ، وهو كذلك عند احمد فى سننه من طريق ابى نعيم ــ وهو ثقة ــ .
فان كان الامر كما ذكر ابو نعيم ووكيع فمـــن الممكن ان يكون سمعه من تميم بواسطة وبغير واسطة والواسطة قبيصة وهو ثقة ادرك تميما بدون شك . فالعلة مدفوعة .
انظر نصب الراية 155/4 ، والجوهر النقى على هامش سنن البيهقى الكبرى 297/10 .

48) (1) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : اخرجـــهاحمد والاربعة بسند قوى .
(2) وقد تابع عامرا حبيب بن مخنف اخرجه عبد الرزاق فى المصنف ، ومن طريقه اخرجه الطبرانـــــى باسناده ومتنه . ومن طريق عامر سكت عليه ابو داوود واكتفى بقوله : هذا خبر منسوخ . انظـــر الحديث / 2788 / ، وذكر المصنف عامرا فى ميزانه 363/2 وقال فيه جهالة وساق حديثه وقال : ضعفه عبد الحق وصدقه ابن القطان بمسألـــة عامر .
(3) ومما هو جدير بالذكر هنا ان الزيلعى فى نصب الرايـــة نقل تضعيف ابن القطان هذا ونقل عنه : تجهيل حبيب بن مخنف ، وابيه ، انظر 211/4 ، وهو تجهيل مردود ، وانظر تهذيـــــب التهذيـــب ج 78/10 .

49) محمود بن عمرو بن يزيد بن السكن الانصارى وهو من رجال ابى داوود والنسائى ، وقد وثقه ابـــن حبـــان .

50) انظر الحديث فى سنن الترمذى 330/3 مـــن التحفة ، وقد اشار الى رواية علقمة هذه وسنن ابـــن ماجه رقم 4289 ، وهو عنده من رواية علقمة عن سليمان بن بريدة عن ابيه مرفوعا ، كما اخرجه احمد ، والدارمى ، وابن حبان وغيرهم .
وقد انتقد ابن القطان عبد الحق لتعليله الحديث بروايته عن علقمة .. مرسلا ، وقد ورد كذلك كما قال الذهبى فحكاه عبد الحق .

51 ــ حديث البزار « أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اجر فجرى بما هو كائن » حسنه البزار ، فهذا لزيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني ايوب بن ابى زيد عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن ابيه عن جده ، فالوليد لا يعرف حاله

قلت : حديثه في الصحيحين . قال : وايوب كذلك وقد روى عنه زيد بن أبى أنيسة ويزيد بن سنان .

قلت : حمصى مقل . وقال (الترمذى) : حدثنا يحيى بن موسى ، ثنا ابو داوود ، حدثنا عبد الواحد بن سليم سمع عطاء بن ابى رباح سمع الوليد بن عبادة قال : دعانى ابى فقال : اتق الله ، ولن تتقى حتى تؤمن بالقدر كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، ما كان وما يكون الى الابد ، قال : غريب ، عبد الواحد واه .

52 ــ حديث ابى رزين « يارسول الله ، أين كان ربنا ؟ قال : كان في عماء .. »

حسنه (الترمذى) لحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عنه . فوكيع لا يعرف، وتفرد عنه يحيى وكان شعبة ، وهشيم وابو عوانه يقولون : ابن عدس ، قد صحح الترمذى حديث « الرؤيا على رجل طائر » قلت : لكونه لشعبة عن يعلى .

53 ــ حديث عبد الله بن عمرو : اخبرنا عن ثياب الجنة ، أتنسخ ؟

وهذا ضعيف رواه محمد بن عبد الله بن علاثة ، ثنا العلاء بن عبد الله أن الحنان بن خارجة حدثه عنه .

تابعه محمد بن مسلم بن ابى الوضاح عن العلاء وطوله .

قلت : ماذا بضعيف وحنان مع جهالته ما ضعف.

54 ــ حديث (ابى داوود عن) المقدام : وادخل اصابعه في صماخ اذنيه ، فيه حريز بن عثمان وعنه الوليد بن مسلم مدلس عن عبد الرحمن بن ميسرة .

قلت : شيوخ حريز ثقات .

---

(51) الحديث في سنن ابى داوود رقم /4700/ والترمذى في الجامع انظر كتاب القدر 203/3 .
واسناد ابى داوود غير اسناد البزار الذى ساقه هنا الا انه من حديث عبادة بن الصامت ، وقد سكت عليه هو والمنذرى ، وهو في مسند احمد 317/5 من طريق الوليد .
والوليد كما قال الذهبى ، وقد وثقه ابن سعد مات في خلافة عبد الملك .
وعبد الواحد من رجال الترمذى فقط وهو البصرى المالكى ، وليس له عنده سوى هذا الحديث ، قال احمد : احاديثه موضوعة .

(52) حديث ابى رزين اخرجه الترمذى في جامعه كتابالتفسير 126/4 من تحفة الاحوذى ، وابن ماجه رقم /182/ واحمد في مسنده .
يعترض ابن القطان عن الترمذى لعدم تصحيحه الاول ويرد عليه الذهبى بأن الثانى من رواية شعبة والاول من رواية حماد بن سلمة ، وشعبة اثبت فالبخارى لم يخرج في الصحيح لحماد بن سلمة وقد تغير حفظه بأخره ، ولا يروى شعبة الا عن ثقة
ووكيع بن عدس لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء ، وقد وثقه ابن حبان ، واخرج له الاربعة .

(52) حنان هو ابن خارجة السلمى الشامى من رجال ابى داوود والنسائى ، وذكره ابن حبان في الثقات ، انظر التهذيب 56/3 ، والميزان ، 2 / 618 واشار الى تضعيف ابن القطان .
وحديثه هذا اخرجه النسائى ، واحمد والطبرانى .

(53) الحديث في سنن ابى داوود رقم /122/ .
وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى ابو سلمة الحمصى ، وفي الخلاصة : قال ابو داوود : شيوخ حريز ثقات ، وقد وثقه العجلى ، فلم يصب ابن القطان رحمه الله في تجهيله .

55 ـ حديث عبادة : « ان ادركتها اصلى معهم ؟ قال : ان شئت » يرويه هلال بن يساف ، عن ابى المثنى الحمصى عن ابى ابى بن امراة عبادة عن عبادة .

فابو ابى صحابى (1) ، (وابو) المثنى ان كان ضمضما الا ملوقى فمعروف (2) .

واما ابو محمد بن الجارود فانه جعل لهما ترجمتين ثم قال : وعندهما واحد ولم يبن لى ذلك ، الى ان قال المؤلف :

واذا كان واحدا فانه لا يعرف ، وكذا ان كان اثنين ، ولا اثر لكونهما واحدا الا ان يكون روى عنه رجلان هلال المذكور ، وصفوان بن عمرو وعدالته فما علمت .

فان قيل : فابن عبد البر قال اثر هذا الحديث : ابو المثنى ثقة ، قلنا : لم يأت فى توثيقه بقول معاصر او قول من اخذ عن معاصر ، فلا يقبل توثيقه ، الا ان يكون فى رجل معروف قد انتشر له من الحكم ما يعرف به حاله ، وهذا ليس لذلك.
قلت : وثقه ابن عبد البر لكونه ما غمز اصلا ، ولا هو مجهول لرواية ثقتين عنه .

56 ـ حديث : رخص فى دم الحيوان .

لبقية عن ابى جريج ، فقال : قال الدارقطنى : هذا باطل ، لعل بقية دلسه عن واه . فهذا مفسد لعدالة بقية .

قلت : هو مذهب ورأى له وللوليد بن مسلم ، وما رأيناك تغمز الوليد .

57 ـ حديث : ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من عمر بن عبد العزيز ، فيه وهب بن مانوس مجهول ، فاظن ابا محمد قنع برواية جماعة عنه ، وذا شىء لا مقنع فيه ، فان عدالته لا تثبت بذلك .

قلت : خالفك فى هذا خلق

58 ـ حديث : من قال يثرب ، فليقل المدينة عشرا . فيه عثمان بن حفص عن اسماعيل بن محمد بن سعد عن ابيه عن جده .

قلت : قال (البخارى) فى اسناده نظر .

---

55) (1) ابو ابى صحابى انصارى صلى القبلتين اسمه عبد الله بن ابى أو ابن كعب أو ابن حرام له فى الستة حديث واحد عند ابن ماجه .
2)ضمضم الاملوكى من رجال ابى داوود وابن ماجه ووثقه ابن حبان .

56) بقية بن الوليد ، والوليد بن مسلم علمان امامان معروفان بالتدليس ، فاذا قالا : حدثنا واخبرنا فلا تفتيش وراءهما .

57) (1) وهب بن مانوس بالنوس ، ويقال بالباء المدنى ، ذكره ابن حبان فى الثقات جريا على قاعدته ، وجهله ابن القطان جريا على قاعدته كذلك ، انظر التهذيب 166/11 ولم اعثر عليه فى الميزان ، وقال فى التقريب : مستور .
(2) يرى ابن عبد البر ان كل من حمل عن العلم ولم يوهن فهو عدل ، ووافقه على ذلك ابن المواق تلميذ ابن القطان ، وقال ابن الجزرى : هو الصواب ، ومثلهم المزى وابن سيد الناس .
أما من روى عنه جماعة ولم ينص على توثيقه فان كانوا من الجلة الاعلام فهو مرضى باتفاق وهو ما جنح اليه ابن القطان فى كتابه بيان الوهم والايهام عند كلامه على حديث قطع السدر .
وطريقة البزار فى مسنده ، وابن حبان فى ثقاته ان روى عنه عدد وعرف بالحديث ولم يجرح فهو ثقة ، وهذا ما نراه والعمل على هذا فى الكتب الحديثية . الا أن أبا الحسن رحمه الله باقعة متمكن قلما تمر عليه واحدة دون تنقير .

58) ذكره المصنف فى الميزان 32/3 وذكر هذا الكلام ثم .

59 ــ حديث ابى داوود عن المستورد (بن شداد) : « من كان لنا عاملا فليتخذ زوجــة . . »

الازواعى عن الحارث بن يزيد عن جبير بن نفير عنه ، فالطامة أن الحارث هو الحضرمى ، ثقة. قال ابن ابى شيبة : ثنا زيد بن الحباب ، ثنا ابن لهيعة ، ثنا الحارث بن يزيد الحضرمى عن عبد الرحمن بن جبير عنه .

قلت : الطامة ان الوهم من (ابى داوود) فــان جعفر الفريابى رواه عن شيخ (ابــى داوود) موسى بن مروان عن المعافى عن الاوزاعى ، فقال : عن الحارث عن عبد الرحمن بن جبيــــر كرواية ابن لهيعــة .

60) حديث (ابى داوود) : الرجل احق بصدر دابته فيه : على بن الحسين بن واقد .

قلت : لكن تابع عليا آخر

61 ــ حديث عائشة فى رضاع سالم بن سهلة خمس رضعات .

فيه عنبسة بن خالد عن يونس .

قلت : عنبسة احتــج بــه البخــارى .

62 ــ حديث « الربا وان كثر فانه يصير الى قل »

رواه البزار من طريق شريك عن الركين بن الربيع عن ابيه عن جده عن عبد الله مرفوعا فيه شريك. قلت : وفيه جد الركين وهو عملية الفــزارى لا لا يعرف .

63 ــ حديث ابن مسعود : بيع المحفلات خلابة .

سكت عنه وهو من طريق المسعودى عن جابر الجعفى . وعن أبى الضحى عن مسروق عنه كذا ، وعن بواو وهذا خطأ والله سمح من عبد الحق ، والصواب بلا واو

وكذا فى كتاب ابن ابى شيبة ، والبزار .

ولم يدرك المسعودى أبا الضحى .

قلت : ولا جابر مسروقا .

64 ــ حديث « دعوا الناس يرزق الله بعضهم .. » من رواية زهير عن ابى الزبير عن جابر ، معنمن. قلت : زدت فى النكادة .

---

59) (1) الحديث فى سنن ابى داوود رقم /2945/
(2) الحرث بن يزيد : وثقه احمد وابو حاتم ، وتوفى ببرقة سنة ثلاثين ومائة .
(3) وعبد الرحمن هو ابن جبير بن نفير .

60) (1) الحديث عند ابى داوود رقم /2572/ والترمذى ج 4 / 13 من تحفة الاحوذى وقال : حســن غريب كلاهما من طريق على بن حسين .
(2) على بن حسين فيه مقال .
(3) هو فى مسند احمد من حديث ابى سعيد الخدري باسناد آخر 32/3 ، وفى سنن الدارمى رقم / 2669 من حديث عبد الله حنظلة بن الغسيل فى قصة وباسناد آخر ايضا .

61) (1) الحديث فى سنن ابى داوود رقم /2061/ كما هو فى موطا مالك ، ومسند احمد .
(2) عنبسة هو ابن خالد الايلى اخرج له البخارى، وقرنه باخر ، وابو داوود وثقه كما وثقه احمد بــن صالح الذى روى عنه هذا الحديث .
(3) وذكره الذهبى فى الميزان 298/3 ، ونقل عن ابى حاتم انه كان على خراج مصر ، وكان يعلــق النساء فى ثديهن ، ونقل عن ابن القطان قوله : كفى بهذا فى تجريحه .

62) اكد الذهبى تضعيف ابن القطان لهذا الحديث ، وافادنا جهالة عملية الغزارى .

63) الحديث فى ابن ماجه رقم /2241/ ، وهو فى البيهقى من طريق ابى داوود الطيالسى ومسند احمد 433/1 ، وروى موقوفا على ابن مسعود .
وجابر الجعفى متهم عندهم . وقد وافقه الذهبى وزاده أن جابر الجعفى لم يدرك مسروقا فقد توفى كما قال ابن سعد سنة ثلاث وستين ، واما جابر الجعفى فتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة .

64) رواية ابى الزبير المكى فى الصحيح محمولة على السماع .

65 ــ حديث ، قال البزار : حدثنا العباس بن عبد العظيم ، ثنا عمرو بن محمد بن ابى رزين ، ثنا اسرائيل عن ابى اسحق عن مسروق عن بلال قال : كان عندى تمر فبعته .. منه بنصف كيله ، او ببعض كيله ، فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : رده وخذ تمرك ، التمر مثلا بمثل ، قال : ففعلت .

قال البزار : رواه ايضا عثمان بن عمر عن اسرائيل .

وحدثنا محمد بن معمر ، ثنا رافع ، ثنا كثير بن يسار عن ثابت عن انس قال : اتى النبى صلى الله عليه وسلم بتمر ، فقال : انى لكم هذا ؟ ! قالوا : كان عندنا تمر دقل ؟ فبعناه صاعين بصاع فقال : ردوه .

قلت : رواتهما ثقات .

66 ــ حديث (الترمذى) : ثنا على بن خشرم، ثنا على بن يونس عن عمران بن زائدة بن نشيط عن ابيه عن ابى خالد الوالبى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يقول : ابن آدم ، تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنا . .
ابو هرم لا بأس به ، وزائدة لا يعرف حاله .
قلت : وثق .

67 ــ حديث قتادة عن خليد العصرى عن ابى الدرداء مرفوعا : ما طلعت الشمس الا بعث بجنبتيها ملكان يناديان : يا ايها الناس هلموا الى ربكم .. الحديث اخرجه ابن ابى شيبة .

قلت : اسناده صالح .

68 ــ حديث آدم : ثنا الليث عن معاوية بن صالح عن ابى عبد الرحمن ــ هو القاسم ــ عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم : تدنو الشمس يوم القيامة قدر ميل ، تغلى منها الهوام كما تغلى القدور على الاثافى .

اسناده : حسن لا صحيح .

قلت : تركت احاديث حجة تعنت فيها ابن القطان منها احاديث من مسلم واحاديث حسنه، واحاديث ادخلتها فى ميزان الاعتدال .

69 ــ حديث من الدارقطنى ، من حديث ابى بكر عبد الحميد بن جعفر الحنفى عن نوح بن ابى بلال عن المقبرى عن ابى هريرة مرفوعا : اذا قرأ تم الحمد لله ، فاقرءوا : بسم الله الرحمن الرحيم انها احدى آياتها
ثم قال : رفعه عبد الحميد بن جعفر وقد وثقه جماعة ، وأبو حاتم يقول : محله الصدق .
وكان الثورى يضعفه ونوح ثقة مشهور ، قال ابن القطان ، فهو بهذا القول قد صححه . واخطأ خطأ فاحشا فى قوله من حديث ابى بكر عبد الحميد بن جعفر ، وهذا تعبير لا يليق به ، ولعله سقط من الكلام ، وانما هو أبو بكر الحنفى عن عبد الحميد بن جعفر وانما اسم ابى بكر عبد الكبير ، وهو اخو ابى على عبيد الله ، ثنا عبد المجيد وهو ثقة .
قال الدارقطنى وابن السكن : ثنا ابن صاعد ، ثنا عقبة بن مكرم ، ثنا أبو بكر فذكره عن عبد الحميد ابن جعفر بما تم ، قال أبو بكر : فلقيت نوحا فحدثنى به موقوفا يعنى أن نوحا ينكر رفعه .
قلت : فوهم فى رفعه عبد الحميد ، وليس بذاك الثبت ، وقد نسب الى القدر ، وخرج بالمدينة مع ابى حسن .
حرب ، فذكره ، قال : وهو المحفوظ
حرب ، فذكره ، قال الذهلى : وهو المحفوظ وحديث الصفار .
قلت : كفانا الذهلى مؤنتك .

---

66) زائدة بن نشيط ذكره ابن حبان فى الثقات جريا على قاعدته لانه لم يجرح ولم يوثق وجهله المصنف على قاعدته ، قال عنه الحافظ فى التقريب ، مقبول
وانظر التهذيب 3 /306 . وقول الذهبى وثق : لا يرد على المصنف لانه يلتزم قاعدة محددة .
68) ومثله عند مسلم فى صحيحه من حديث المقداد بن الاسود . انظر صفة النار 8 / 158 ، والترمذى كذلك فى جامعة كتاب الزهد .
70) الحديث فى سنن ابى داوود رقم 145 .

71 ــ حديث ابن عمر : اغسلوا قتلاكم ، ساقه من عند ابن عدى فى ترجمة حنظلة بن ابى سفيان ، فاسناده ثقات ، قلت : لكنه منكر جدا تكلـــم فى حنظلة لاجله .

72 ــ حديث أم سلمة فى زكاة الحلى فيه ثابت بـن عجلان ولا يحتج به ، فذا مما قاله غيره ، بل قال العقيلى : لا يتابع على حديثه تحامل منه ، فانه انما يمس بهذا من لا يعرف بالثقة ، وثابت ثقته . قلت : قال احمد : أنا متوقف فيه .

73 ــ حديث : من كان عليه صوم رمضان فليسرد ولا يقطع .

رواه عبد الرحمن بن ابراهيم القاص عن العلاء عن ابيه عن ابى هريرة مرفوعا، وقد وثق وضعف قلت : قال ابو حاتم : انكر عليه حديث ، وليس بالقوى ، وقال احمد : ليس به باس فاذا هذا الحديث لا بأس به ، قلت : بل هذا منكر ، والعلاء (فغير) سىء .

74 ــ حديث معاذ (غزونا خيبر فأصبنا غنما فقسم بعضها) .

يرويه ابو عبد العزيز شيخ أردنى ، فكأنه لم يعرف هذا فرمى بالحديث من اجله .

قال (ابو داوود) : حدثنا محمد بن مصفى ، ثنا محمد بن المبارك ، ثنا يحيى بن حمزة ، ثنا ابو عبد العزيز عن عبادة بن نسى عن ابن غنم عنه ورجاله ، وهذا هو يحيى بن عبد العزيز والـــد المتكلم أبى عبد الرحمن الشافعى الاعمى ، روى عنه ايضا الوليد بن مسلم ، وقال ابو حاتم : ما بحديثه بأس .

قلت : هذا لا يعرف باسناد سوى هذا ، وابــن مصفى يعد تفرده منكرا .

75 ــ حديث رجل من الانصار : ان النهبة ليست بأحل من الميتة .

رواه عاصم بن كليب عن ابيه عنه ، وهذا رجاله ثقات لكن هذا الرجل لا ينبغى منه ادعاء مزية الصحبة لنفسه ، كما لا يقبل ممن يوثق نفسه . قلت : عاصم قال ابن المدينى : لا احتج بما انفرد بـــــــه .

76 ــ حديث جابر : فى امراة أعطاها (ابنها) حديقة.. ثم قال : والصحيح هو : ان ايما رجل اعمر فهى له ولعقبه .

قلت : الاول صحيح

(ابو داوود) ثنا عثمان بن ابى شيبة ، ثنا معاوية ابن هشام ، ثنا سفيان عن حبيب عن حميــــد الاعرج عن طارق المكى عنه .

وهم ثقات ، وطارق كان قاضى مكة وثقه ابــو زرعــــة .

قلت : هو فرد غريب يستنكر ، وعثمان ومعاوية فيهما شىء .

77 ــ حديث ابن عباس فى دية الاصابع لكل اصبــع عشر (قال الترمذى) : حسن غريب فلا اعرف لما لم يصححه ، ساقه لحسين بن واقد عــن يزيد النحوى عن عكرمة عنه فهؤلاء ثقات علــى أصله ، وقد احتج بعكرمة كثيرا .

قلت : بالجهد أن يكون هذا المتن بهذا الاسنـــاد حسنـــا فـــدع التكـد .

---

71) انظر اقوال المتقدمين فى حنظلة فى الجرح والتعديل 241/2/1 فقد وثقوه وقد غمزه يحيى بن سعيــد القطان .

72) انظر رد ابن القطان كاملا على من وهن أمر ثابت بن عجلان فى نصب الراية 371/2

74) الحديث رقم /2707 / فى سنن ابى داوود ، وقد سكت عليه المنذرى والخطابى وابن القيم فى المختصر والمعالم والتهذيب ، انظر 36/4 .

76) الحديث فى سنن ابى داوود رقم / 3557 / ، وقد سكت عليه ومثله المنذرى والخطابى وابن القيـم انظر 196/5 .

77) انظر سنن الترمذى التحفة 305/2 ، واخرج الحديث كذلك ابو داوود وابن حبان فى صحيحه .

78 ــ حديث ابن عباس : اشتركنا فى البقرة سبعة، وفى البعير عشرة .

حسنه (الترمذى) فهو عندى صحيح ، حسين ابن واقد عن علباء بن احمر عن عكرمة عنه .

قلت : استنكر احمد للحسين احاديث .

79 ــ حديث ابن عمر : كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السبتيه ، ويصفر لحيته بالورس والزعفران . وقال : صح نهيه عن التزعفر ، فأوهم ضعف هذا ،

فقال (أبو داوود) : ثنا عبد الرحيم بن مطرف ، ثنا عمرو بن محمد العنقرى ، ثنا ابن ابى رواد عن نافع عنه ، فعمرو ثقة .

قلت : ابن ابى رواد ، قال ابن حبان : روى عن نافع نسخة موضوعة ، وقال على بن الجنيد ضعيف .

قلت : وتفرده يعد منكرا ، ولم يخرجا له فى الصحيح .

80 ــ حديث ابن عمر : تقبل توبة العبد ما لم يغرغر حسنه (الترمذى) .

فهذا يحمل أن يقال : صحيح . عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عنه .

قلت : بل هو منكر ، قد ضعفه ابن معين فى روايته عثمان بن سعيد ، وقال مرة : ليس به بأس ، وقال احمد احاديثه مناكير ، وقال (النسائى) ليس بالقوى .

وقال ابن عدى : كتبت حديثه على ضعفه . قلت ومكحول مدلس فاين الصحة منه .

81) حديث انس : كل ابن آدم خطاء ..

قال (الترمذى) غريب . فهذا عندى صحيح . زيد بن الحباب ، ثنا على بن مسعدة ، ثنا قتادة عنه .

قلت : بل ضعيف ، قال (البخارى) : على بن مسعدة فيه نظر .

82 ــ حديث ابن عمر : اذا امسك الرجل الرجل ، وقتله آخر يقتل القاتل ويحبس الممسك .

قال الدارقطنى : رواه الثورى عن اسماعيل بن امية عن نافع عنه .

---

78) وقال الترمذى : حسن غريب لا نعرفه الا من حديث الفضل بن موسى اه (وهو الرواى له عن الحسين) كما اخرجه الخمسة الا ابا داوود . انظر تحفة الاحوذى 356/2 كما اخرجه الحاكم وقال : على شرط البخارى وغيرهم من طريق الحسين.

79) الحديث فى سنن ابى داوود رقم /4210/ وهو كذلك عند النسائى واحمد .
وعبد العزيز بن أبى رواد : لم يخرجا له فى الصحيح فعلا ولكن البخارى قد استشهد به ، ووثقه يحيى بن معين ، وقال : كان يعلن الارجاء ، امارواينه عن نافع فقد طعن بها ابن حبان كما ترى وقال : روى عن نافع اشياء لا يشك من الحديث صناعته اذا سمعها انها موضوعة ، كان يحدث بها توهما لا تعمدا ، ومن تحدث على الحسبان وروىعلى التوهم حتى كثر ذلك منه سقط الاحتجاج به . ويتحصل لنا أن روايته عن نافع نتوقف بها ، وعن غيره نمرها .

80) الحديث عند الترمذى فى كتاب الدعوات من جامعه /باب ما جاء فى فضل التوبة والاستغفار / واحمد فى مسنده ، وابن ماجه رقم /4253/ من طريق الوليد بن مسلم وهو مدلس وقد عنعنه ، ومكحول كذلك عنعنه ، اما ما قال المصنف : فروانه عثمان بن سعيد فلم اره فى رواية الترمذى وغيره

81) والحديث عند ابن ماجه كذلك رقم /4251/ من طريق على بن مسعدة ، واحمد ، والدارمى ، كما اخرجه الحاكم ، وقال : صحيح ، وتعقبه الذهبى فلينه (كذا فى تحفة الاحوذى 317/3)
وعلى بن مسعدة اخرج له البخارى فى التاريخ ، والترمذى وابن ماجه ، وقد وثقه قوم ، وقال النسائى ليس بالقوى ، انظر خلاصة تذهيب الكمال 135

ورواه معمر وابن جريج عن اسماعيل مرسلا ، وهو اكثر فهذا صحيح عندى لجواز أن (يكون) اسماعيل رواه على الوجهين ، فانه يجوز للمحدث أن يرسل ما عنده بالاتصال ، وانما يعد هذا اضطرابا اذا كان الراوى سىء الحفظ .

وهو من رواته الحفرى عن الثورى ، وقد رواه وكيع عن الثورى فلم يصله .

قلت : تعين والله ارساله ، ووهى اتصاله .

قال ابن القطان : ولم يتقدم فى هذا الباب ولا فى ما قبله من نظر عبد الحق تضعيفا لاحاديث بأشياء لا ينبغى أن تعد عللا ككون الحديث يكون تارة مسندا وتارة مرسلا ، ويجىء تارة مرفوعا وتارة موقوفا ، ولعلك لم يتحصل لك من مثل ما ذكرناه هو مذهب عبد الحق فى ذلك ، فلنعرض عليك ما تيسر ليتبين لك اضطرابه فى رأيه فمن ذلك :

83 — حديث : اذا سجد (احدكم) فلا يبرك كالبعير، قال : رواه همام مرسلا وهو ثقة .

84 — وحديث : الارض (كلها) مسجد الا المقبرة والحمام ، قال : المرسل اصح ، وسرد جملة ثم قال المؤلف : فمن اخبار ما اخترنا .

البزار ذهب الى انه اذا ارسل الحديث جماعة ، وحدث به ثقة مسندا فالقول قوله .

قال ابن القطان . ولذلك عده من المختلطين وان سهيلا وهشام بن عروة لمنهم لانهما تغيرا ، فسكت عنهما اذا كان من الصحيحين او من مصحح الترمذى .

قلت : فاتتك نكتة ، فانك صحفى ما جالست اصحاب الحديث . اعاقل يعد هشام بن عروة من المختلطين ؟! اعظم الله اجرنا فيك .

85 — وما وانق (الترمذى) فى تصحيحه : لغسل النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون فيه عاصم بن عبيد الله .

86 — وتصحيحه لعن زوارات القبور ، فقال : فيه عمر بن ابى سلمة وهو ضعيف عندهم قلت : اسرف .

87 — وقال فى الجهاد خالد بن الفزر ليس بالقوى ، وانما حذا فيه حذو ابن معين ، قال فيه : ليس بذاك ، قلت : فاصاب واخطات .

88 — حديث خباب : شكونا . . : قوله : فلم يشكنا اى فلم يقدرنا ، وقيل : فلم يحوجنا الى الشكوى فى المستقبل .

ويدل على الاول : ابن المنذر ، ثنا عبد الله بن احمد ، ثنا خلاد بن ... ثنا يونس بن ابى اسحق،

---

83) لفظ حديث همام عند ابى داوود فى حديث وائل بن حجر : رايت النبى صلى الله عليه وسلم اذا سجد وضع ركبته قبل يديه ، واذا نهض رفع يديه قبل ركبته ، وعنده من حديث ابى هريرة : اذا سجد احدكم . . وليضع يديه قبل ركبتيه واخرجه — اى الاول — الترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرف احدا رواه غير شريك ، وذكر أن هماما رواه عن عاصم مرسلا ، لم يذكر فيه وائل بن حجر .
قال ابن القيم : وقد صححه ابن خزيمة ، وابو حاتم ابن حبان والحاكم ، ، انظر تهذيب السنن للخطابى والمنذرى وابن القيم 398/1 .
ورواية شريك بن عبد الله القاضى لهذا الحديث متصلا ، تابعه عليها همام على روايته مرسلا ذكر ذلك البخارى وغيره من الحفاظ المتقدمين ، وشريك فيه مقال .

84) اخرجه ابو داوود والترمذى وابن ماجه ، وروى مسندا ومرسلا ، وقال الترمذى : فيه اضطراب ، وذكر ان سفيان الثورى أرسله وقال : وكان رواية الثورى عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم اثبت واصح .

86) قلت : قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، واخرجه ابن حبان فى صحيحه .

87) وقال عنه ابو حاتم الرازى : شيخ ، انظر الجرح والتعديل 346/2/1

ثنا سعيد بن وهب اخبرنى خباب : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فما اشكانا ، وقال : اذا زالت الشمس فصلوا . فعلل يونس حفظ زيادة ما حفظها ابوه .

قلت : هى زيادة منكرة لثبوت قوله : ابردوا .

89 — حديث ابى هريرة : الامام ضامن ... وزاد البزار : ثنا الزيادى ، ثنا غياث بن زياد ، ثنا ابو حمزة السكرى عن الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة الى ان قال : واغفر للمؤذنين، قالوا : يا رسول الله لقد تركتنا نتنافس فى الاذان بعدك، قال : انه يكون من بعدى قوم سفلتهم مؤذنوهم. ولا عبرة بقول الدارقطنى : هذه زيادة غير محفوظة .

قلت : بلى والله هى زيادة منكرة .

90 — حديث عبد الله بن عمرو فى التشديد فى زيارة النساء القبور ، قال : فى اسناده ربيعة بن سيف ضعيف عنده مناكير ، قال المؤلف : فهذا عندى حسن لا ضعيف .

روى عن ربيعة حيوة بن شريح ، وهشام بن سعد ، والمفضل بن فضالة ، وسعيد بن ابى ايوب . وقال (النسائى) : ليس به بأس . وتضعيف ابى محمد له لا اعرفه لغيره ، الا ابا حاتم البستى ، فقال : لا يتابع وفى حديثه مناكر ، وهذا امر لا يعرى منه احد من الثقات ، بخلاف من يكون منكر الحديث جله او كله .

قلت : قد ضعفه (البخارى) فقال : عنده مناكير، وكذا قال ابو سعيد بن يونس وقال الدارقطنى : صالح الحديث .

قلت : ما اشبه ان يكون حديثه موضوعا وستسمعه قال (ابو داوود) :

ثنا يزيد بن خالد ، ثنا المفضل عن ربيعة بن سيف المعافرى عن ابى عبد الرحمن الجبلى عن عبد الله قبرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما فلما فرغنا وانصرفنا حاذى بابه فوقف ، فاذا نحن بامراة مقبلة ، قال : اظنه عرفها ، فلما دنت اذا هى فاطمة ، فقال : ما اخرجك عن بيتك ؟ قالت : يارسول الله اهل هذا الميت فرحمت اليهم وعزيتهم به ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلعلك بلغت معهم الكدا فذكره شديدة فى ذلك .

فسالت ربيعة عن الكدا قال : القبور فيما احسب هذا اخرجه (ابو داوود) .

وقال (النسائى) : ثنا قتيبة عن المفضل بهذا وقال : لو بلغت معهم الكدا ما رايت الجنة حتى براها جد ابيك .

البزار : ثنا سلمة بن شبيب ، ثنا المقبرى ، ثنا حيوة بن شريح اخبرنى ربيعة بن سيف عن عن الجبلى عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى فاطمة ابنته مقبلة فقال : من اين اقبلت ؟ ! فقالت : من وراء جنازة هذا الرجل ، فقال:هل بلغت معهم الكدا ، قالت : لا ، وكيف ابلغها وقد سمعت منك ما سمعت فقال : والذى نفسى بيده لو بلغت معهم ما رايت الجنة حتى يراها جد ابيك

قلت ، (البزار) : كثير الغلط ، فقد قال البخارى فى الضعفاء له :

ربيعة بن سيف المعافرى الاسكندرانى يشبه هشام بن سعد عنده مناكير ، روى احاديث لا

(90) الحديث اخرجه كذلك ابن حبان فى صحيحه ، والنسائى فى اليوم والليلة بطرق متعددة ، ومداره على ربيعة بن سيف المعافرى ، قال ابن قيم الجوزية: وقد طعن غيره — اى ابن حبان — فى هذا الحديث وقالوا : هو غير صحيح لان ربيعة بن سيف هذا ضعيف الحديث عنده مناكر ، انظر تهذيب سنن ابى داوود 347/4 ، وقد افادنا الذهبى بيان المضعفين لربيعة هذا ووافق عبد الحق الاشبيلى فى تضعيفه للحديث .
وقد نقل ابن القيم عن ابى حاتم ابن حبان قوله : يريد الجنة العالية التى يدخلها من لم يرتكب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لان فاطمة علمت النهى فيه قبل ذلك ، والجنة هى جنان كثيرة ..

يتابع عليها ، ثم قال البخارى : سمع المترى ، ثنا سعيد بن ابى أيوب حدثنى ربيعة عن ابى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله قال : بينما نحـــن نمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ ابصر بامراة ، فلما توسط الطريق ، وقف حتى انتهت اليه فاذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : ما اخرجك من بيتـك يا فاطمة ، فقالت : اتيت أهل هذا الميت فرحمت على ميتهم وعزيتهم بميتهم ، فقال : فلعلك بلغت الكدا ؟! فقالت : معاذ الله أن اكون بلغتها معهم وقد سمعتك تذكر من ذلك ما تذكر ، فقال : لو بلغت معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد ابيك .

ذكر المصنفين الذين اخرج عنهم فى كتابه من متن أو علة (1) :

1 ــ ابن اسحق ، تبينا فى امره الثقة والحفظ (151) .

2 ــ سفيان الثورى احد الائمة توفى 161 .

3 ــ حماد بن سلمة مولى تميم ، وقيل : مولى قريش توفى 167 .

4 ــ مالك أبو عبد الله امام الفقهاء توفى ، 179

5 ــ اسماعيل بن علية امام توفى 193 .

6 ــ وكيع ابو سفيان الحافظ توفى 197 .

7 ــ سفيان بن عيينة ابو محمد الامام توفى 198 .

8 ــ عبد الله بن وهب فقيه مصر توفى 197 .

9 ــ سليمان أبو داوود الطيالسى الحافظ توفى 204 .

10 ــ عبد الرزاق ابو بكر الصنعانى الحافظ توفـى 211 .

11 ــ ابو عبيد القاسم بن سلام صاحب التصانيـف توفى 224 .

12 ــ محمد بن الصباح أبو جعفر الدولابى الحافظ توفى 227 .

13 ــ اسد بن موسى السنة الحافظ الاموى ، قلت : توفى سنة 212 .

14 ــ سعيد بن منصور الحافظ ابو عثمان صاحـب السنن توفى سنة 227 .

15 ــ ابو بكر بن ابى شيبة الحافظ توفى 235 ؟

16 ــ ابو مروان السلمى الفقيه ، توفى سنة 238 ، لم يهد فى الحديث لرشد ولا حصل منه على شىء مفلـــح .

17 ــ اسحق بن راهويه الامام توفى 238 .

18 ــ هناد بن السرى الكوفى الوراق توفى 243 .

19 ــ عبد بن حميد الكشى وكش على فرسخ مـن جرجان ، قلت : هذا وهم ، هو من كس بمهملة مدينة بما وراء النهر ، له المسند والتفسير ، قلت: توفى سنة 249 .

20 ــ محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخـــارى الامام توفى 256 .

21 ــ محمد بن سنجر الحرانى الحافظ توفى سنـة 258 .

22 ــ مسلم بن الحجاج ــ ابو الحسين ــ توفـى سنة 261 .

23 ــ ابو ابراهيم المزنى اسماعيل بن يحيى الفقيه توفى سنة 264 .

24 ــ عباس الدورى الحافظ توفى 271 .

25 ــ أبو داوود السجستانى توفى 275 .

26 ــ بقى بن مخلد ابو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة 276 .

27 ــ احمد بن ابى خيثمة صاحب التاريخ توفى 279

28 ــ ابو عيسى الترمذى توفى 279 .

---

1) بين لنا المصادر التى جمع عبد الحق الاشبيلـى منها كتابه الاحكام وترجم ابن القطان لهم وعرف بهم فى كتابه ، واختصر ذلك الذهبى فى كتابه .

29 ـــ الحارث بن ابى اسامة توفى 282 .

30 ـــ محمد بن عبد السلام الخشنى القرطبى الحافظ من ولد ابى ثعلبة توفى 286 .

31 ـــ أبو بكر احمد بن عمرو البزار البصرى الحافظ مات 292 .

32 ـــ أبو عبد الله محمد بن نصر المروزى الفقيه مات 294 .

33 ـــ ابو محمد عبد الرحمن بن ابى حاتم الحافظ ، قلت توفى 327 .

34 ـــ النسائى مات 303 .

35 ـــ زكريا بن يحيى الساجى مات 307 وثقه قوم وضعفه آخرون ، كذا قال ، فأخطأ ما علمت احدا ضعفه .

36 ـــ محمد بن جرير الطبرى توفى 310 .

37 ـــ أبو بكر بن (ابى) داوود توفى 316 .

38 ـــ أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر مات سنة 318 ، لا لا تلتفت الى كلام العقيلى فيه ، فانه ثقـــة .

39 ـــ أبو جعفر الطحاوى مات 321 .

40 ـــ أبو جعفر العقيلى مكى ثقة توفى 322 .

بقى علينا أن نذكر جميع ما مر ذكره فى الابـــواب ذكرا مختصرا مرتبا على نسق المصنف ليسهل كشفه فسرد ذلك فى خمس وثلاثين ورقة ، والحمد لله وحده.

فرغ من كتابته العبد الفقير الى الله تعالـــــى ، محمد بن عبد الله بن المصفى بن منجا الحنبلى اللهـــم اعف عنه ولمن دعا له بالعفو آمين .

41 ـــ محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبى مقدم فى الفقه والحديث مات 330 .

42 ـــ قاسم بن أصبغ الحافظ مولى بنى أمية توفـــى 340 .

43 ـــ أبو سعيد بن الاعرابى شيخ الحرم ثقة جليـــل القدر كثير التأليف توفى 340 .

44 ـــ أبو أحمد عبد الله بن عدى الجرجانى الحافظ توفى 365 .

45 ـــ أبو الحسن الدارقطنى توفى 385 .

46 ـــ أبو على سعيد بن عثمان بن السكن الحافـــظ توفى 353 .

47 ـــ أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلى مات سنة 392 .

48 ـــ أبو سعد المالينى مات 412 .

49 ـــ أبو سليمان حمد الخطابى مات 380 .

50 ـــ أبو عبد الله الحاكم مات 405 .

51 ـــ أبو الحسن بن صخر توفى 445 .

52 ـــ أبو عمر بن عبد البر توفى 463 .

53 ـــ أبو محمد بن حزم مات 456

قال الشيخ ابو عبد الله الذهبى : فرغنا من ترتيب ما وجدناه فى الكتاب بالترتيب الصناعى (1) .

---

53) وفى الاصل مات سنة / 502 / .

1) اى راعى فيه تتبعه واختصاره لابن القطان لانه لم يبن كتابه بيان الوهم والايهام على الابواب الفقهية بل بناه على منهجه النقدى الذى ضم الاشباه الى الاشباه ، فى العلة والمؤخذات .

لمحات تاريخية عن

مدينة شفشاون بشمال المغرب (1)

للأستاذ عبد القادر العافية

لا شـــك ان اسم هذه المدينة معروف عند الكثير من سكان المغرب الا ان تاريخ المدينة غير مكتوب لحد الآن ، لا بكيفيـــة مفصلـــة ولا بكيفيـــة تقريبية على الاقل ، كمـــا هو الحـــال بالنسبة الى بعض المدن والاقاليم المغربية الاخرى (2) .

ولعل أهم المعلومات عن مدينة شفشاون فى المصادر العربية ما كتبه محمد العربى الفاسى فى مرآة المحاسن ومحمد الطيـــب القـــادرى فى نـــشر المثانى والناصرى فى الاستقصا . . . وهناك بعض التقاييد غير منشورة لعل اهمها ما كـــتبه محمـــد الصادق الريسنى ـــ وسماه بعض حفدته ـــ موجز عن تاريخ شفشاون ـــ مخطوط ومنسوخ على الآلة الكاتبة فى ست صفحات .

وهناك اشارات واردة فى بعض الكتب ، لعل اهمها ما يوجد بدوحة الناشر لابن عسكر (3) .

الا ان هذه الاشارات كلها تدور فى فلك واحد تقـــريبـــا .

اما المصادر المكتوبة باللغة الاجنبية فبعضها يتحدث عن شفشاون حديثا مسهبا نسبيا ، ولعـــل أهمها ما كتبه الحسن بن محمد الوزانى فى كتابـــه وصف افريقيا و (مرمول دى كاربخال) فى مذكراته ، وصاحب اخبار أصيلا (4) وغيرهم ممن نقل عنهم او ممن عثر على وثائق تتعلق بالمدينة وخاصة منهـــا الوثائق التى نشر بعضها (دى كاسترى) .

ومن الجدير بهذه المدينة التاريخية والتى مـــر على تأسيسها اكثر من خمسة قرون أن يكتب لهـــا تاريخ مستقل يتحدث عن مراحلها التاريخية بشىء من التفصيل والايضاح خاصة وان المدينة أصبحت اليوم مقرا لعمالة احد الاقاليم المغربية .

ولا شك ان اعطاءها هذه الصفة جعل اسمها يتردد كثـــيرا فى الاذاعـــة والتلفـــزيون والنـــشرات الادارية وغير ذلك . ولذا أحببت فى هذه اللمحات ان انقل للقارىء نصا هاما يتعلـــق بتاريـــخ مدينة شفشاون ورد فى دائرة المعارف الاسلامية فى حرف الشين مادة « شفشاون » .

ونظرا لاهمية هذا النص المطول والذى ينقل عن عدة مصادر فانى سأتحدث عن شفشاون مـــن خلاله معلقا على بعض فقراتـــه وسأضـــع عبارات دائرة المعارف الاسلامية بين مزدوجتين .

يقـــول النص :« **شفشاون » وعند العامـــة شاون وفى الاسبانية XAUEN واصل الاسم هو صيغة الجمع البربرية (اشفشاون)**

جاء فى تقييد القاضى العلامـــة محمد الصادق الريسونى : « شفشاون كلمة بربرية معناها محل صالح للجهاد وقيل ايضا فى اشتقاقها انها مأخوذة من الشفشـــاون وهـــو الاختـــلاط ومحـــل نـــزول المجاهدين » .

« بلد صغير فى الشمال الغربى لمراكش على مسيرة 35 ميلا جنوبى تطوان — 60 كلم — يقوم عند سفح جبل سيدى بوحاجة وهو طنف من كتلة بوهاشم الجبلية على رافد من روافد (وادى لو) وتدخل شفشاون الآن فى منازل قبيلة الاخماس وان كانت الحال جرت ان تتبع بنى زجل وهى قبيلة من فرع غمارة »

لقد كانت غمارة القديمة تضم اقليما واسعا تحدها بادس من ناحية الشرق وطنجة وبلاد الهبط من ناحية الغرب وكانت تمتد من الشمال الى الجنوب من البحر المتوسط ما بين بادس وطنجة الى نواحي تازة وفاس وجنوب وزان حسبما يستفاد من البكري وابن خلدون وغيرهما .

تقول الموسوعة :

« بلغ عدد سكان مدينة شفشاون سنة 1918 م : 7000 نسمة تقريبا يعيشون فى الف بيت قائمة فى الاحياء الستة التالية : العنصر ، ريف الاندلس ، والخرازين ، والسوق ، والسويقة ، وريف الصبانين وتسكن شفشاون جالية يهودية من اصل اسبانى ، وقد نقل حى اليهود (ملاح) من بعد الى قلب شفشاون وكان فى الاصل يقوم على طرف وادى الرمانى ، وكان هذا الحي يشتمل على 22 بيتا يسكنها 200 ساكن وعلى بيعتين احداهما غاية فى الفخامة ويكاد يكون لجميع البيوت اسقف مائلة من القرميد لان الشتاء هناك يهطل بمقادير عظيمة من الثلج ويحيط بالبلدة اسوار لها احد عشر بابا ويقوم فيها اثنى عشر مسجدا وتسع زوايا (منها ثلاث للدرقاوية وثلاث للعيساوية وثمانية اضرحة مشهورة اهمها ضريح سيدى على بن راشد مؤسس البلدة وتقوم فى القلعة (القصبة) مبانى الحكومة والمدرسة ومعظم سكان شفشاون من الشرفاء ولاجئى الاندلس وهم يتميزون بالثقافة والظرف المأثورى عن الحضريين ولكن اخلاقهم تتسم بالتعصب والعناد وأراضى البلدة خصبة جيدة الري تنبت فيها الحنطة والشعير والفاكهة والزيتون والاعناب بوفرة . ويوجد فى البلدة 21 طاحونة ماء وثلاث عشرة معصرة ، وتزودها غابات الجبال المحيطة بها بالخشب اللازم للنجارة وصنع الاثاث (وهذا المكان يشتهر بالمصنوعات الخشبية المطلية) ويكثر فيها لحاء الصباغة — الدباغة — الذى يسد حاجات خمس مدابغ وثمة انوال عديدة تنسج الاقمشة الصوفية لصنع الجلابيب ويعمل اليهود فى الاتجار خاصة بالاقمشة المستوردة ولهم معاملات متصلة باخوانهم فى الدين فى تطوان الذى يجمع بينهم الاصل الاسبانى المشترك وهم يعملون ايضا كجواهرية وسروجية وهى حرفة محتقرة تركها المسلمون لهم ».

فالمدينة اذن كانت تعرف ازدهارا زراعيا وصناعيا ولعل ذلك منذ نشأتها ، ويبدو ان هذا القدر الذى عرفته المدينة سابقا اصبح يتلاشى ولذلك فالمدينة اليوم هى فى امس الحاجة الى العناية بزراعتها وصناعتها حتى تعود الى القيام بنفس الدور الذى كانت تقوم به من قبل .

اما فيما يتعلق بالجالية اليهودية التى تحدثت عنها الموسوعة فانه لا يوجد حاليا منها شيء بالمدينة واليهود منذ نزلوا بالمدينة وضواحيها وهم يقومون ببعض الاعمال التجارية والصناعية ونجد صدى ذلك فى بعض المؤلفات التى تعود الى القرن العاشر الهجرى والى القرن الحادى عشر مثل : (مقنع المحتاج) لاحمد بن عرضون ، و (نوازل ابى الحسن على العلمى) (5) .

« وتقع شفشاون فى مفترق الطرق القادمة من تطوان والقصر الكبير ووزان وفاس وسط ارض جبلية ومن ثم فهى مركز يتزود منه اهالى الاقاليم المجاورة بحاجاتهم فيفدون عليها للحصول على المنتجات المستوردة من تطوان (البضائع القطنية السكر الشاى الشموع ..) »

يبدو أن هذا الوضع الاقتصادى الذى كان لمدينة شفشاون تغير نهائيا فى السنوات الاخيرة وقد يعود اليها فى المستقبل ونتمنى أن يكون ذلك قريبا .

« قد تأسست شفشاون فى حوالى 876 هـ . 1471 م شيدها حفيد من حفدة الولى الكبير عبد السلام بن مشيش وهو الشريف العلوى الحسن بن محمد المشهور بابى جمعة ذلك أن الحسن اراد ان يجعل منها معقلا لمناضلة البرتغاليين وكان البرتغاليونقد استغلوها منذ سلاطين بنى وطاس (6) واستولوا على سبتة 1415 والقصر الصغير 1458 . وطنجة 1471 واصيلا 1471 واخذوا منها يشنون حملات على هذه البلاد واوغلوا على ما يزيد على 50 ميلا فى الداخل والقوا الرعب فى قلوب اهل الجبال واخضعها لسلطانهم قبيلة انجرة وقبائل شتى من الهبط بما فى ذلك بنى عروس (7) » .

لا شك أن هذه معلومات هامـــة فيما يتعلـــق بهذه الفترة من تاريخ المغرب لأن المعروف هو ان التوسع البرتغالى كان فى مناطق (آسفى والجديدة وازمور) . وتقول الموسوعة :

((والظاهر ان هذه القبائـل التى اضطهدهـا الشرفاء واساءوا اليها كانت مستعدة لقبول حكـم المسيحيين ومن ثم وجد الشرفاء فى اعـلان الجهاد ذريعة حسنة لمحاولة استرجاع هيبـتهم وسلطانهم اللذين كانا يجريان عليهم المنافـع)) .

هذه المعلومات يشير اليها كتاب وصف افريقيا للحسن بن محمد الوزان ، ويبدو أن الحسن بـن محمد الوزان الزياتى كان ينظر الى قيام الامـــارة الراشدية بشفشاون بنفس المنظار الذى كان ينظر به اليها الحكم المركزى بفـاس فى ذلـك الوقت . وكانت تثار أسئلة حول موضوع الجهاد هل لا بـد فيه من امر الامير ام لا ؟ وهناك اجوبـة مطولة فى هذا الموضوع ، انظر (الجواهر المختارة فيمـــا وقفت عليه من نوازل غمارة) لعبد العزيز الزياتى (باب الجهاد) .

وتزيد الموسوعة قائلة :

((وقد شيد الحسن شفشاون على ضفة النهر الذى يحمل هذا الاسم نفسه واختار لها موقعـــا ممتازا فى متناول تطوان وسبتة فى الشمال الغربى والقصر والهبط فى الجنوب الغربى ، وتوفى الحسن قبل أن يتم التشييد ، ذلك انه كان قد شخص اثناء الجهاد الى اهل الخروب غير بعيد (8) من أصيلا ، غير أن البرتغاليين رشوا هؤلاء فاشعلوا النـار فى المسجد الذى كان يؤدى فيه صلاة العشاء فهلك فى هذا الحريق واتم ما بداه ابن عمه الشريف على بن موسى بن راشد الذى خلفه قائدا للجهاد)) .

وبعد هذا تنقل الموسوعة معلومات لـم تشر اليها المصادر المغربية المعهودة كالدوحة والمـرآة وغيرهما فتقول :

((عـاش علـي بن راشـد بـيـن بنـي حسـان وهم قبـيـلة تـنـزل الى الشمـال من شفشاون فلما ثار بنو حسان على طغيان الشرفاء ذهـب الحسن الى الاندلـس حيث قاتـل ماجـورا للمسيحيين حينا واملك غرناطة حيـنا آخـر فتمرس بأمور الحرب وعـاد الحسن الى المغـرب وحشد كتيبة من الفرسان تتبع مثله الشرفاء وبدا يحارب البرتغاليين وبعث اليـه ابو سعيد سلطان فـاس الوطاسى شرذمة من الفرسان ورماة السهام فتمكن بفضل مساعدتهم من الثبات للبرتغاليـيـن وكذلك استخدم جيشـه هذا فى اخضـاع اهـل الجبـال واسترداد سيطـرة الشرفاء لكن انتصـاراته هذه اورثته الغرور فركب راسه حتى ابـى ان يـؤدى الجزية للسلطان ولم يكن من السلطان الا أن سار لقتاله فى جيش كبير وراى على بن راشد ان المقاومة ضرب من المستحيـل فاذعن وعفى السلطان عنـه اكراما لاصله الشريف وثبته فى ولاية شفشاون التى أصبحت من مشارف بنى وطاس)) .

وهكذا نقلت الموسوعـة عن الحسن الوزان الزياتى معلومات غريبة عن شخصية على بن راشد الا ان هذه المعلومات يبدو عليها شىء من الاضطراب فمرة تسمى هذا الذى ذهب الى الانـدلس ماجورا (الحسن) وتارة تسميه (عليا) ! وسنلاحظ فيما بعد انها تطلق على أبى الحسن (الحسن) وبذلك فهى تخلط بين الاسم والكنية .

وتقـول الموسوعة ان ابـا سعيد الوطاسى بعث له بشرذمة من الفرسان فمن هو ابو سعيـد هـــذا ؟

هل هو محمد الشيـخ الوطاسى ؟ وهـذا معروف بمحمد الشيخ بن ابى زكرياء الوطاسى اما ابو سعيد فهو السلطان المرينى الذى حكم ما بين (1397—1420 م) وفى ايامه احتلت مدينة سبتة سنة 1415 م وهو والد عبد الحق آخر ملوك بنى مرين . وبذلك فكلام الموسوعة هنا لا ينسجم مـع الاحـداث التاريخيـة .

اما قضية اخضاع السلطان الوطاسى لعلـى بن راشد فلعل ذلك لم يكن مرة واحدة بل كان اكثر من مـرة وكان يحظى بالعفـو فى كل مـرة لتدخل الفقهاء والوجهاء والاعيان بين الامير والسلطان ، ولعـل السبب فى هذه (الحركات) التى كان يقوم بها الوطاسيون ضد الامارة الراشدية هو أن هذه الامارة كانت تجد نفسها مضطرة لنقـض معاهدات الصلح التى كان يبرمها الوطاسيون مع البرتغاليين مثل المعاهدة التى ابرمت بعد احتلال أصيلا (1471) بين محمد الشيـخ والملـك البرتغالى الفونسـو الخامس والتى حددت الهدنة فيهـا بعشر سنوات وجددت هذه المعاهدة عدة مرات .

والحركة على شفشاون من قبل محمد الشيخ او من قبل احمد الوطاسى تحدث عنها كل من القاضى الكراسى فى منظومته عروسة المسائل (9) وابن القاضى فى لقط الفرائد وغيرهما .

ثم تقول الموسوعة :

« شيد علي بن راشد على الضفة الاخرى لوادي شفشاون قلعة ملأها بافراد أسرته وبني عشيرته واقبل عليها ايضا من الاراضي المحيطة بها اناس للعيش فيها وينسب لعلي بن راشد اقامة السور الممتد من باب السور الى باب الموقف . والى ايامه يرجع حي السويقة وريف الصبانين ولما استولى الاسبان على غرناطة 1492 واقصى المسلمين بصفة عامة من الاندلس وقشتالة 1501 ـ 1502 نزح كثير من عرب الاندلس الى القلعة واستقروا فيها وما ان ادركت المنية عليا سنة 917 هـ / 1511 ـ 1512 م حتى اكتملت البلدة »

هذه المرحلة من تطور بناء المدينة يعطي عنها السيد محمد الصادق الريسوني معلومات لا بأس بها ، فهو ينسب تأسيس المسجد الاعظم والحمام البلدي الى محمد بن علي بن راشد ، كما يتحدث عن الاحياء التي اسست فى عهد محمد هذا وعن الهجرة الاندلسية فى عهده ، وتقول الموسوعة « ويصفها الحسن بن محمد الزياتي الذي كان يجتاز فى سفره ارض المغرب فى ذلك الوقت فيقول :

انها مدينة صغيرة حافلة بالتجار والصناع وزادت هيبة علي بن راشد من بعد ، بفضل هجماته البارعة على سبتة وطنجة وأصيلا تلك الهجمات التي كان يقاتل فيها جنبا الى جنب مع المنظري وكان علي قد عاونه على تثبيت اقدامه على أطلال تطاوين ومعه نافلة من لاجئي عرب الاندلس » .

قضية لجوء المنظري الى المغرب هو وجماعة من اهل غرناطة تحدث عنها غير واحد من المؤرخين المغاربة الا انهم يختلفون هل بدأ المنظري بالاتصال مع محمد الشيخ الوطاسي أم مع علي بن راشد ومهما يكن فان السلطان الوطاسي والامير علي بن راشد رحبا بالمنظري وجاليته ، وفى هذه المسألة بالذات نقل الشيخ احمد الرهوني فى كتابه عمدة الراوين عن المؤرخ السكيرج ، أن السلطان محمد الشيخ بعث لعلي بن راشد أن يختار رجلا من الاندلسيين المقيمين بشفشاون لياخذ بيد الجالية الغرناطية ، فاختار الامير علي من الاندلسيين بشفشاون محمد المنظري ، يقول السكيريج : وعليه يكون المنظري اندلسي الاصل شفشاوني الدار .

وناقش الرهوني السكيريج فى ذلك الا ان مساعدة علي بن راشد للمنظري على الاقامة والبناء بتطوان لا يناقش فيها الرهوني وانما يناقش السكيريج فى اسم المنظري الذي يذكر أنه محمد بينما الامر يتعلق بعلي .

وتزيد الموسوعة قائلة : « وخلف علي الذي توفي سنة 1511 ، ابنه ابراهيم المتوفى سنة 1530 ثم ولده محمد الذي كتب عليه أن يكون آخر امير من بني راشد ، وفى سنة 948 هـ تزوج السلطان الوطاسي ابو العباس احمد الست عائشة الحرة اخت هذا الامير واحتفل بالزواج فى تطوان » .

هذه المعلومات اشارت اليها المصادر المتداولة باستثناء وفاة ابراهيم بن راشد ، ويذكر القاضى الكراسى فى منظومته ان ابراهيم بن علي بن راشد تولى الوزارة لاحمد الوطاسى وازدان به هذا المنصب وكان بطلا مقداما فى كثير من المعارك التى خاضها الوطاسيون ضد السعديين .

اما زواج السلطان احمد الوطاسى بالاميرة الشفشاونية حاكمة تطوان الست الحرة بنت علي بن راشد فقد تحدث عنه صاحب المرآة وكذا ابن القاضى فى لقط الفرائد فى احداث 948 والاستاذ داود فى تاريخ تطوان بالمجلد الاول ، ولقد أتحف الاستاذ عبد الوهاب بن منصور الباحثين بنشر نص عقد الصداق بين السلطان والاميرة بالوثيقة 115 من المجلد الاول من الوثائق الملكية ، واثبت الاستاذ عبد الوهاب بن منصور أن اسم الاميرة هو : (الحرة) لا عائشة كما ذكر البعض ، وكما جاء فى الموسوعة نفسها .

وبعد هذا تشير الموسوعة الى استيلاء ابى حسون الوطاسى على فاس فتقول « **وقعت مشاحنة بين محمد بن راشد وأبى حسون الوطاسى الذى كان اقطاعه باديس فى الريف يجاور أرضه واستولى ابو حسون على فاس 961 ـ 1554 يعاونه اتراك صالح رايس الا أن ابا حسون تشاحن مع هذا الرئيس التركى فدبر على المناداة بأبى بكار سلطانا فلما جلا الاتراك عن فاس امر**

ابو حسون باعتقال امير شفشاون ثم اطلق سراحه بعد وفاة ابي حسون وعاد الى امارته » .

هذه معلومات هامة نقلتها لنا الموسوعة عن محمد بن علي بن راشد وقد اشار ابـن عسكر في الدوحة في ترجمة الاخوين عبد الرحمان وعلي ابن ريسون الى حادثة اعتقال محمد بن راشد من طرف ابي حسون الوطاسي وتحدث عن ذلك الشيـخ الحسن بن محمد بن علي بن ريسون في كتابه فتح التأييـد ، ووجدت في بعـض تقاييـد العلميين الشفشاونيين الحديث عن هذا الاعتقال في قصـة طريفة يطول ذكرها جاءت في معرض الرد على ابن عسكر الذي نفى شرف الرواشد لعـداوته لهم ، الا ان الموسوعة تشـير الى مجـاورة الامـارة الراشدية لاقطـاع ابي حسون الوطاسي ببـاديس وربما كان هذا هو منشأ العـداوة بين الامير ابن راشد وبين ابي حسون الوطـاسي . ثم تـقـول الموسوعـة :

« وهنالك حل السعديون محل بني وطاس في حكم شمال المغرب وخشى السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله ما عرف به امـراء شفشاون من نزعات الى القتال قد يحول بينه وبين ما كان يريـد من عقد مع الاسبانيين على الاتراك فسير جنـده عام 969 هـ 1561 م على البلدة تحت امرة الوزير محمد بن عبد القادر حفيد السلطان محمد الشيـخ واحس محمد بن راشد انه قد ضيقت عليه المخانق ففر ليلا هو واسرته مجتازا شعاب الجبال وبلـغ ثغر ترغة من قبيلة غمارة ومن هنـاك ابحـر الى المشرق ولجأ الى المدينة المنورة ــ حيث تـوفي ونفي بعض سلالته الى مراكش » .

هذه المعلومات توجد في كل من المرآة والدوحة وغيرها الا ان صاحب الدوحة ينقلهـا بكـثـير من التشفي للعداوة المستحكمة التي كانت بينه وبين امراء بني راشد بشفشاون وبينه وبـين العلميـين بهذه المدينة ، وقصة هذه العداوة تعرضت لهـا بعض الوثائق وهي قصة تحتاج الى موضوع خاص .

تقول الموسوعة : « ثم خلع اقطاع شفشاون على حفيد مؤمن بن العلج وكان جد مؤمن العلـج تاجرا من اهل جنوة تزوج الابنة الجميلة لزعيم ناحية (تيجدت) المستقلة وكان هذا الزعيم مستقلا بهـا او يكاد فلما مات حموه انتخب اهل هذه الناحية هذا التاجر الجنوي زعيما لهم واكتسب رضا الشرفـاء السعديين بالسماح لهم باجتياز ارض الناحية ليبلغوا حاحا وكان ابنه الاكبر مؤمن قـد التحـق بخدمـة السعديين كما كان من اشد انصارهم ولاء لهم » .

ومما لا شك فيه ان اقليم شفشاون عرف بعد سقوط الامارة الراشدية مرحلة جديدة في تاريخـه وتغيرا في اوضاعه راسا على عقب وتأثرت المدينة والاقليم بهذا التغيير وخاصـة بعـد معركة وادي المخازن وهذا ما تشير اليه الموسوعة فتقول :

« وفي سـنـة 986 هـ ــ 1578 م نـزلـت بالبرتغاليين ضربة قاصمة في موقعـة وادي المخازن ولم يجدوا بدا من ان يتخلوا عن آمالهم في احتلال داخل البلاد وانحصر النضال مع النصارى فيما حول الثغور المحتلة وفي البحر ولذلك فقدت شفشـاون اهميتها الحربية وانتقلت هذه الاهمية الى منافستها تطوان التي كان على المنظري قد اسكنها الاندلسيين الذين لم يلبثوا ان جعلوها وكـرا للقرصنـة ــ اي الجهاد في البحر ــ على ان مكانـة شفشاون التي كان معظم الفضل فيها يرجـع الى حسن بلائهـا في الجهاد بدات ايضا في الاضمحلال وخاصة بعـد ان ولي الامر في وزان اسرة شريفة هي اسـرة مولاي عبد الله الشريف المتوفي سنة 1089 هـ ــ 1678 م واخذ نفوذه يزداد زيادة مطردة والظاهر ان شفشاون عادت الى حكم الشرفاء بعد زوال حكم حفيد مؤمن العلـج » .

لعل الموسوعة هنا تقصد بالشرفاء شرفـاء العلميين الذين تولى بعض افرادهم مناصب هامة في المدينة ابتداء من العهد السعدي الثاني حيث تولى منصب القضاء والخطابة احمد بن علي الشريـف سنة 1012 هـ وذلك بعد موت القاضي محمد بـن الحسن بن عرضون ، وورث هذا المنصب بنـوه واحفاده من بعده وكان للعلميين (شرفاء القوس) وجاهة ونفوذ بالمدينة .

وتقـول الموسوعة : « وفي سنـة 1028 هـ (1618 هـ ــ 1619 م) عمد الشريف الحسن بـن علي بن ريسون المدفون بشفشاون بالفعل الى حمل اهل الهبط على المناداة بمحمد بن الشيخ المعروف بزغودة سلطانا . . »

تحدث عن زغودة هذا كل من الافراني في نزهة الحادي واحمد الناصري في الاستقصا ، الا ان الذي

دعا لزغودة هو ابو الحسن على بن محمد بن على بن عيسى بن ريسون لا الحسن بن على كما جاء فى الموسوعة ، وقد لاحظنا من قبل انها تخلط بين الحسن وابى الحسن . وتقول : المدفون بشفشاون والمعروف ان المدفون بشفشاون هو محمد بن الحسن بن محمد فتحا بن على لا الحسن اما الحسن بن محمد فتحا بن علي بن ريسون فهو الذى تولى منصبا حكوميا هاما بشفشاون على عهد عبد الله الغالب بالله السعدى ، والحسن هذا مدفون بفاس لا بشفشاون وكان من جملة فقهاء البلاط السعدى .

ثم بعد هذا تنتقل الموسوعة لتجمل الحديث عن شفشاون فى عهد الاسرة العلوية الشريفة .

تقول الموسوعة : ((وكان الشمال الشرقى من المغرب فى مستهل حكم اسرة العلويين ابان النضال بين السلطان الرشيد واخيه محمد تحت ولاية زعيم مستقل هو الخضر غيلان الذى كانت حاضرته هى القصر الكبير والذى امتد نفوذه الى الاراضى بين طنجة وسبتة وبين تطوان وشفشاون . وفى سنة 1667 م ، خضع محمد الرشيد — كذا — المولى الرشيد — صاحب فاس قبيلة بنى زروال ثم مضى الى تطوان بعد أن عمل غيلان على الفرار واقام المقدم النقسيس واليا على البلدة وخلف ابناء النقسيس آباءهم فى الولاية عليها . ولما توفى المولى اسماعيل انتقل شمال غربى المغرب الى حكم قائد من قواد الجهاد هو الباشا احمد بن على بن عبد الله الريفى المتوفى سنة 1156 هـ . والذى شيد فى شفشاون داخل القلعة التى بناها على بن راشد ديوان الحكومة والمدرسة .))

وهكذا تعطينا الموسوعة بعض المعلومات عن هذه الفترة وتشير الى نفوذ بعض الولاة على المدينة والاقليم مثل الخضر غيلان او أولاد النقسيس ، والقائد احمد بن عبد الله الريفى . . .

ووالد القائد احمد هذا هو القائد ابو الحسن على بن عبد الله الريفى الذى عقد له المولى اسماعيل على جيش المجاهدين ووجهه لحصار مدينة طنجة وعلى يده كان فتحها ، وهو الذى اعاد بناءها بعد التخريب الذى قام به الانجليز لاسوارها ومساجدها واهم مرافقها (10) .

ويقول الناصرى فى الاستقصا : « كان القائد المجاهد ابو العباس احمد بن على الريفى يلى رئاسة المجاهدين هو وابوه من قبله بالثغور الهبطية ايام المولى اسماعيل ، وكانت له ولابيه اليد البيضاء فى فتح طنجة والعرائش وغيرهما فكانت له بذلك وجاهة كبيرة فى الدولة خصوصا ببلاد الهبط » (11) .

والقائد احمد هذا هو الذى شايع المولى المستضىء بن المولى اسماعيل ضد اخيه المولى عبد الله ، ولقد زاد عمله هذا فى تأجج نار الفتن والاضطرابات التى عرفها المغرب بعد وفاة المولى اسماعيل .

وبعد هذا تقول الموسوعة : « وفى سنة (1171 هـ 1757 م) انتفض مرابط من قبيلة الاخماس وهو محمد العربي الخمسى المعروف بابى الصخور على السلطان محمد بن عبد الله فاسره السلطان وأمر برأسه فحمل الى فاس .

ثم قام الباشا العياشى والياعلى غمارة والاخماس وشفشاون ، وخلفه فى الحكم ولاة امرهم سلاطين (السعديين) — كذا — بل — العلويين — حتى قيام فتنة الطائب محمد بن عبد السلام زيطان وهو الذى اثار قبائل هذا الاقليم سنة 1208 هـ (1793 — 1794) وهزم زيطان ثم عفى عنه ، واعيد الى الولاية على شفشاون والاخماس ، ثم اعقبه فى حكم البلدة زعماء محليون ، وتلاهم باشاوات تطوان الذين بعثوا اليها بخليفة » .

تشير الموسوعة الى ثورتين اثنتين قامتا بهذه الناحية : الاولى كانت فى ايام المولى محمد بن عبد الله قام بها المرابط محمد العربى الخمسى المعروف بابى الصخور وكانت له شهرة بجبال غمارة ، وكان يدعى استخدام الجن ، الا ان السلطان سيدى محمد بن عبد الله استطاع ان يخمد هذه الفتنة ، حيث قتل ابو الصخور وانتهى امره ، وولى على قبائل غمارة والاخماس ، وتلك النواحى الباشا العياشى وجعل مقر حكمه مدينة شفشاون (12) .

وجاء ذكر هذا الباشا فى « ثمرة انسي فى التعريف بنفسى » لابى الربيع سليمان الحوات حيث كان هذا الباشا هو وجماعة من الاعيان ممن حضروا حفل ختم القرآن الكريم الذى اقامته والدة سليمان الحوات ودعت اليه اعيان البلدة ، واعيان القبائل المجاورة (13) .

أما الثورة الثانية التى يتحدث عنهـا النـص فهى ثورة محمد بن عبد السلام زيطان وهذه كانت فى عهد المولى سليمان بن سيدى محمد بن عبد الله واستطاع المولى سليمان قمع هذه الفتـنة والذى تولى قمعهـا هـو المولـى الطيـب اخ المـولى سليمان (14) .

ولا شك أن محمد بن عبد السلام زيطان هذا بعد ما حظى بالعفو عنه أسندت اليـه الولاية على شفشاون والاخماس ، وصار من الاوفياء للدولة الى آخر رمق من حياته ، ويقول الناصرى فى الاستقصا : « كان لزيطان هذا فى التمسـك بدعـوة السلطان اليد البيضاء ، واغنى غناء جميلا فى تـثـبـيت تلك القبائل وتسكينها ثم وفد على السلطان بطنجـة سنة 1236 هـ وقد طعن فى السن فاحسن السلطان اليه غايـة الاحسان . » (15) .

ويشير النـص الـى ان باشـاوات تطـوان أصبحوا يبعثون بخلفاء عنهم لشفشاون وكان هذا الخليفة فى الغالب يسمى « القائد » لكن هذه العملية لم تكن ناجحة ولذلك لم تدم طويـلا ، لان هـذا الخليفة أو هذا القائد يكون فى الغالب تحت رحمـة رجال القبائل وبذلك كان دوره محدودا او لا اهمية لـه بالمـرة .

وينتقل نص الموسوعة بعد هذه الفتـرة الى الحديث عن سنة 1306 هـ فيقـول :

« وزار السلطان محمد بن الحسـن البلدة » ـ كذا ـ والمعروف ان الذى زار شفشاون فى هذه الفترة هو مولاى الحسن الاول بن سيدى محمد بن عبـد الرحمن لا السلطـان « محمد بن الحسن » وكانت زيـارة السلطان مـولاى الحسـن الاول لشفشاون فى الايام الاولى من شهر المحرم لسنـة 1307 هـ (لا فى 1306) موافق الايام الاولى كذلك لشهر شتنبر من سنة 1888 م . وهذه الزيارة كان المتقدمون فى السن يتحدثون عنها ويؤرخون بهـا للولادات ولبعض الاحداث . . .

وبعد هذا ينـتقل النص الى هذه الفقـرة الاخيرة التى تقول : « وخضعت شفشاون منذ قيام الحماية الاسبانية لنفوذ الشريف العلوى المشهور احمد الريسونى صاحب تازروت ، وفى 4 اكتوبـر سنة 1920 م انتزعت المدينة على يد جيش اسبانى من تطوان وفى 15 نونبر سنة 1924 جلا الاسبانيون عنها ثم احتلها الريفيون بقيادة محمد بن عبد الكريم الثائر واصبحت منذ أسر الريسونى ووفاته مركزهم السياسى والحربى الذى تحكموا منه فى (جبالة) ومكنهـم من الاغـارة على نواحى تطـوان والقصر ووزان .

وهجر كثير من السكان البلدة التى قذفهـا الفرنسيون والاسبان بقنابل طائراتهم عدة مرات ».

وهنا تنهى دائرة المعارف الاسلامية كلامهـا عن مادة شفشاون ، وتشير هذه الفقرات الاخـيرة الى تاريخ شفشاون المعاصر ولعل هذه الفترة قد تعرض اليها غير واحد ممن كـتـب عن احـداث الحماية بشمال المغرب ، لكن بالـرغم من ذلـك ما تزال هناك مصادر شفوية هامة تجب الاستفادة منها قبل فوات الاوان .

وهناك كذلك بعض الصحف بالعربية والاجنبية كانت تصدر فى هذه الفترة ، وتتحدث عن المعارك بين الجبليين وجيش الحماية الاسبانية وهى لـم تستنطق بعد بالكيفية المطلوبة (16) .

هذا وبالرغم من وجود بعض الاخطاء فى هـذا الملخص الوجيز الذى قدمته لنـا دائرة المعـارف الاسلامية عن تاريخ شفشاون بالرغم من ذلـك ، فان هذا الملخص يمدنا بمعلومات لا بأس بها ، قد يستطيع الباحث بعد بذل الجهد ان يجعل منها نواة لتاريخ هذه المدينة وناحيتهـا .

تـطـوان : **عبد القادر العافية**

التعاليق

(1) هناك شفشاون اخرى وهو اسم يطلق على قرية (بمابجة) باتليم حاحة . أنظر « مستفاد الرحلة والاغتراب » للقاسم بن يوسف التجيبى السبتى ص : 321 ، تحقيق عبد الحفيظ منصور — ط — الدار العربية للكتاب .

فى هذا الكتاب ورد ذكر قصة جرت بشفشاون حاحة بطلها ابو زكرياء يحيى بن ابى موسى الحاحى .

(2) مثلا بالنسبة لتطوان هناك « عمدة الراوين فى اخبار تطاوين للعلامة احمد الرهونى ، وتاريخ تطوان للاستاذ محمد داوود وبالنسبة لفاس هناك عدة كتب تتحدث عنها وعن أعلامها وصلحائها مثل : جذوة الاقتباس لابن القاضى وسلوة الانفاس للشيخ محمد بن جعفر الكتانى وغير ذلك..

وبالنسبة لمراكش « الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام » للعلامة العباس ابن ابراهيم التعارجي .

وبالنسبة لمكناس الاتحاف ، لابن زيدان .

وبالنسبة للرباط تاريخ الرباط لبوجندار ... واعلام العدوتين للاستاذ عبد الله الجرارى وبالنسبة لتازة « اضواء على ابن يجبس التازى » للاستاذ البوخصيبي ..

وهناك بعض الاقاليم كتب عن تاريخها السياسى والادبى مثل سوس فى كتابات الشيخ المختار السوسى « السوس العالمة » « المعسول » « ايلغ » . وهذا على سبيل المثال لا الحصر ، لان هناك كتابات عن ثغر طنجة ، ورباط آسفى وغيرهما .

(3) هناك بعض الكناشات والتقاييد لافراد من الاسرة العلمية بشفشاون ، وهناك كناش للقاضى عبد الكريم الحضرى الشفشاونى جمع فيه نصوص بعض الشهادات ، ورسوم الزواج والطلاق والبيع والشراء وبعض ايرادات الاراضى الحبسية ، وهناك الحوالات الحبسية لمساجد مدينة شفشاون وكل هذه الكتابات تتضمن معلومات لا تخلو من فائدة .

(4) لمزيد من المعلومات عن هذه المراجع ، ارجع الى كتاب (اهم مصادر تاريخ المغرب) لاحمد المكناسى — ط — تطوان .

هذا ولقد القيت بعض المحاضرات عن شفشاون من طرف بعض المهتمين بهذه الناحية كالاستاذ محمد عزوز حكيم ، والاستاذ شون كيرمو الاسبانى مدير مكتبة المركز الثقافى الاسبانى بتطوان وغيرهما ...

(5) فعند ابن عرضون نجد مثلا ان اليهود كانوا يتنقلون بين القرى والمداشر وداخل المدينة كباعة متجولين ، او كصناع متنقلين ، ويعيب على المراة فى هذه النواحى انها لم تكن تتستر من اليهود بل كانت تعاملهم فى غير كلفة ، ولا حجاب ، انظر القسم الاخير من كتابه مقنع المحتاج فى آداب الازواج (مخ . خ . ع . ر)

أما ابو الحسن على العلمى فهو ينقل لنا فى نوازله بعض الفتاوى حول ادعاءات اليهود .. والاجابة عنها .

(6) احتلت سبتة عام (818 هـ 1415 م) فى آخر عهد بني مرين أيام السلطان أبى سعيد ابن احمد المرينى ، وباقى الثغور فى العهد الوطاسى .

(7) لا تشير المصادر العربية الى كل هذا الاتساع لنفوذ البرتغاليين بهذه الناحية ، والظاهر ان هذا التوسع كان لفترة قصيرة من الزمن .

(8) « الخروب » مدشر بقبيلة « جبل حبيب » على بعد 45 كلم من تطوان فى اتجاه العرائش .

(9) منظومة القاضى الكراسى « عروسة المسائل » هى من ضمن مطبوعات المطبعة الملكية بالرباط لسنة 1963 — ولقد اعتنى بتحقيقها والتعليق عليها مؤرخ المملكة المغربية البحاثة الاستاذ عبد الوهاب بن منصـــور .

(10) الاستقصـــا ج — 7 — ص : 67

(11) نفـــس المصــــدر ج — 7 — ص : 115

(12) نفـــس المصــــدر ج — 8 — ص : 10

(13) شرة انسي فى التعريف بنفسي مخطوط « خ. ع. ر » تحت رقم : 1264 ك . ضمن مجموع .

(14) انظر تفاصيل هذه الحادثة فى الاستقصا ج : 8 : ص : 95 . ط . دار الكتاب

(15) نفـــس المصــــدر .

(16) انظر مثلا جريدة « الاصلاح » التى كانت تصدرها الحماية الاسبانية بتطوان وخاصة العدد : 75 الذى يتحدث عن الاحتلال الاول لشفشاون سنة 1920 من طرف القوات الاسبانية وهذا العدد مـــؤرخ بـــ 1920/11/5 .

تصويـــــــــــب

وقعت فى مقال الاستاذ محمد العربي الخطابي المنشور فى العدد الماضي بعنوان : « الحياة والعيش » أخطاء ننبه عليها فيما يلي :

فى الصفحة 16 ، السطر 13 تقرأ الآية الكريمة : « فجاءته احداهما تمشي على استحياء » لا عن استحياء .

فى الصفحة 17 ، السطر 16 ، تقرأ ... وشربة ليس معها شرق » لا شـــــوق .

نفس الصفحة ، السطر 21 : يبدل لفظ « الفنان » فى بيت ابـــن الرومي بلفظ « الفناء » فيقرأ هكذا :

وكيف بقاء العيش فيها وانما ينال بأسباب الفناء بقاؤهـــا

الصفحة 18 ، السطر 12 تصحح الجملة كما يلي : « ... تحوم حول مسائل المعيشة الجماعية ، فنقول — مثلا — تكاليف المعيشة ، ومستوى العيـــــش ... »

فمعذرة للسيد الكاتب ولقرائنا الكرام .

يسألونك في القرآن الكريم

للأستاذ إسماعيل الخطيب

مرت قرون على نزول القرآن المجيد على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومر القرآن على عقول وقلوب استمدت منه وتتلمذت له ، وتفيئات تحت ظلاله وسيظل القرآن مصدر معرفة تتجدد معانيه بتجدد الليالي والايام ويعطي كل يوم جديدا ومفيدا.

والدراسة التي أقدمها للقارىء تتجه الى قسم من مادة «سال» وهي مادة ذكرها الله تعالى على مختلف وجوهها مائة وتسعة وعشرين مرة .

والقسم الذي أركز عليه هذا البحث هو «يسالونك» ومعلوم أن السؤال اذا كان للتعريف تعدى الى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار تقول : سالته كذا وسألته عن كذا وبكذا وبعن أكثر ، والسؤال لغة استدعاء معرفة أو ما يؤدي اليها او استدعاء مال او ما يؤدي اليه ، وهو مذكور في القرآن خمس عشرة مرة سبع في سورة البقرة واثنتان في سورة الاعراف وواحدة في كل من المائدة والانفال والاسراء والكهف وطه والنازعات .

وهذه الاسئلة التي كانت توجه للرسول الكريم يختلف حال الذين يوجهونها فمرة يوجهها المعترضون كيهود في قولهم : كنت نبيا فاخبرنا عن الساعة ، وسؤالهم عن الروح ، وتارة يوجهها أقوام استهزاء فقد روى البخاري عن بن عباس : كان يقول الرجل: من أبي ؟ ويقول آخر ضلت ناقته : أين ناقتي ، وقد وصل الامر حتى خرج الرسول عليه الصلاة والسلام غضبان محمارا وجهه على المنبر فقام اليه رجل فقال: أين أنا ؟ قال : في النار ، فقام آخر فقال : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة .

وقد شعر عمر آنذاك أن لا فائدة في هذه الاسئلة فقال : انا يارسول الله حديثوا عهد بجاهلية وشرك ، والله أعلم من آباؤنا ، فسكن غضب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونزل قول الله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم» .

وتارة يوجهها من شرح الله صدره للاسلام فيكون سؤاله لطلب افادة أو لمعرفة حكم الله أو لطلب بيان ما أنبهم عليه .

وهذا شأن الصحابة الكرام فما كانوا يسالون الا عما ينفعهم :

«عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سالوه الا عن ثلاث عشرة مسالة كلهن في القرآن «يسالونك» عن المحيض» «يسالونك عن الشهر الحرام» «يسالونك عن اليتامى» «ماكانوا يسالون الا عما ينفعهم»(1).

1 ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 3 : 40

والملاحظ انه ليس فى الحديث من الثلاث عشرة مسالة الا ثلاث ، فلنلم المامة سريعة بهذه المواضع حسب ترتيبها فى المصحف :

1 ـ الاهلة : فقد قالوا : لم خلقت الاهلة ؟ وما بال القمر يبدو هلالا ثم يكبر حتى يستدير بدرا ثم ينقص ليصير هلالا وهكذا ، فانزل الله تعالى : «يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج» البقرة .

فهل كانوا بسؤالهم يتطلعون الى الجواب بأنها مواقيت أم كانوا يتطلعون الى معرفة حقيقة الهلال الكونية .

لقد اتجهت الاجابة الى ناحية واحدة وهى الناحية العملية ، وتركت الناحية التى تبحث فى وظيفة القمر وطبيعته ، فى المجموعة الشمسية والاجرام السماوية

«والاجابة العلمية ربما كانت تمنح السائلين علما نظريا فى الفلك ، اذا هم استطاعوا أن يستوعبوا هذا الطراز فى حاجة الى مقدمات طويلة ، من هنا عدل من الاجابة التى لم تتهيا فيها البشرية ولا تفيدها كثيرا فى المهمة التى جاء القرآن من أجلها اذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية ولم ينزل ليكون كتاب علم فلكى أو كيماوى أو طبى كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفته لهذه العلوم»(1) .

2 ـ الانفاق : قالوا : كيف ننفق ، وفى رواية أن عمرو بن الجموح ، وكان شيخا كبيرا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن مالى كثير فبماذا أتصدق وعلى من أنفق فانزل الله تعالى : «يسالونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم» البقرة .

لقد كان المسلمون الاوائل ـ وهم يؤسسون أمة الاسلام ـ يرون أن الانفاق أمر ضرورى لبناء الجماعة الاسلامية ولكنهم لم يجعلوا أمر الانفاق خاضعا لاستحسانهم بل هم مع الوحى ، فلذا سالوا : ماذا ينفقون فكان الجواب فى الآية بعدها «قل العفو» ـ مبينا نوع وجهة الانفاق ، ثم كان الجواب فى الآية بعدها «قل العفو» مبينا المقدار والدرجة .

3 ـ القتال فى الاشهر الحرم : بعث النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين فى رجب وكتب له كتابا أمره الا يفتحه حتى يسير يومين ، فلما فتح الكتاب اذا فيه «اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد قريشا وتعلم لنا اخبارهم» فمرت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى فقالوا نحن فى آخر يوم من رجب (كذا عند ابن اسحاق وذكر الطبرى عن السدى أنها فى آخر يوم من جمادى الآخرة وما عند ابن اسحاق هو الاشهر) ان قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام وان تركناهم دخلوا الليلة الحرم ، فاجمعوا على ملاقاتهم ، فقتل عمرو بن الحضرمى وأسر آخرون .

وانتشرت أبواق قريش تردد : «قد أحل محمد الشهر الحرام» واشتد الامر على المسلمين ، وتساءلوا أيكون القتال فى الاشهر الحرام ؟ فانزل الله : «يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله» البقرة .

4 ـ الخمر والميسر يوم تنحط الاخلاق ، تنحط معها سبل الملذات ، فتكون الخمر لذة للمنحطين ، والقمار سبيل الكسب للعاجزين ، ويوم بدأت بصائر المسلمين تعى دور المسلم فى الحياة ، تساءلوا فى أمر هذين الخبيثين ، فنزل قوله تعالى : «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما» .

فكانت هذه الآية أول خطوة نحو تحريم الخمر والميسر وقد كانا من عادات المجتمع الجاهلى لذا كان التحريم بالتدريج .

5 ـ اليتامى : كان من عادة العرب ان يجتنبوا مال اليتيم ولا يخالطوه ، فى ماكل ومشرب وازداد الامر عندما نزل قول الله تعالى : «ولا تقربوا مال اليتيم» وقوله : «ان الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا» ، فتوقفوا : كيف يعاملون اليتامى واموالهم ؟ فانزل الله سبحانه : «ويسالونك

1 ـ فى ظلال القرآن 2 : 95 بتصرف

عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم» فمن قصد الاصلاح فى مال اليتيم فذلك خير ، وبذلك رفع سبحانه المشقة وأباح الخلطة بقصد الاصلاح والرفق باليتامى .

6 ــ المحيض : بحكم المجاورة بين العرب ويهود فى المدينة فقد قلد العرب مجاوريهم فى كثير من العادات والتقاليد منها تجنب مواكلة الحائض ومساكنتها ، وعندما دخلوا فى الدين الحق ، تساءلوا فى هذا الامر ، فنزل حكم لله شاملا لامر الحيض ومدى العلاقة وطبيعتها بين الرجل والمراة «ويسالونك عن المحيض قل هو اذى» الى قوله سبحانه «وبشر المومنين» البقرة.

فنهى سبحانه عن المباشرة اثناء المحيض لما فى ذلك من الضرر الصحى على الرجل والمرأة ولما فيه من ابتعاد عن الفطرة التى تقصد من وراء الاتصال ما كتبه الله من الذرية .

7 ــ الحلال: ابتدأت سورة المائدة باعلام المومنين ان الله احل لهم بهيمة الانعام ، الا ما يتلى عليهم مما هو محرم : الميتة ، الدم ، لحم الخنزير ، فتساءل المومنون وقد صاروا يتحرجون من الاشياء مخافة ان تكون من المحرمات ، فقالوا : ماذا احل لنا ؟ فاعلمهم الله أن الطيبات هى الحلال ، وأنه لم يحرم عليهم الا الخبائث : «يسالونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات» ، المائدة 4.

8 ــ الساعة : السؤال عن الساعة سؤال استبعاد لوقوعها صادر عن المكذبين من قريش ، ويهود ، وهم أقوام غلب عليهم العمى والضلال : «يسالونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى» الاعراف 187 «يسالونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها» النازعات 42 «يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند ربى».

فالساعة غيب لا يعلمه الا الله «لا تأتيكم الا بغتة»

وهذا نوع من الاسئلة كان يلقيه المعاندون اختبارا وامتحانا واستهتارا واستهزاء لا يريدون بذلك معرفة حق ، انما هو العناد والكفران.

9 ــ الانفال : اختلف اهل بدر فى امر المغانم وتساءلوا عن قسمتها ، فانزل الله تعالى : «يسالونك عن الانفال ، قل الانفال لله والرسول» الانفال 1 فجعل أمرها الى الله والرسول ليقسمها بين المسلمين عن سواء .

10 ــ الروح : روى البخارى وغيره عن ابن مسعود قال بينما انا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو متكىء على عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، فقال ما رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلنكم بشىء تكرهونه فقالوا سلوه ، فسألوه عن الروح فامسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى اليه فقمت مقامى فلما نزل الوحى قال :

«ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربى» الاسراء 85 .

والسؤال عن الروح كالسؤال عن الساعة يطرقه المعاندون ، فالروح كالساعة غيب يعلمه الله وادراك الانسان قاصر عن معرفة الروح .

11 ــ ذو القرنين : بعث كفار مكة الى أهل الكتاب يسالون عن رجل طواف فى الارض وعن فتية لا يدرى ما صنعوا وعن الروح .

وهكذا سال كفار مكة النبى عليه السلام عن الرجل الطواف فاورد الله تعالى فى آخر سورة الكهف نبذة من سيرته «ويسالونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا».

12ــ الجبال : مشهد القيامة مما عنى به القرآن عناية ظاهرة وفى آخر سورة طه يوضح الله تعالى ما يقع بعد النفخ فى الصور من حشر للمجرمين ، وحالتهم عند الحشر ويتساءل المتسائلون ، وهم يشاهدون هذا العالم ومن أهم معالمه هذه الجبال الراسيات : ما مصيرها ؟ : «ويسالونك عن الجبال فقال ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا». طه 105 فاذا كان هذا الهول يصيب الجبال فما مصير البشر وأين عرقوته المزعومة آنذاك .

تلك نظرة عجلى فى هذه المجموعة من الاسئلة التى القيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب الله سبحانه عنها وطرح هذه الاسئلة له دلالات واضحة تعطى صورة عن الحركة الانقلابية

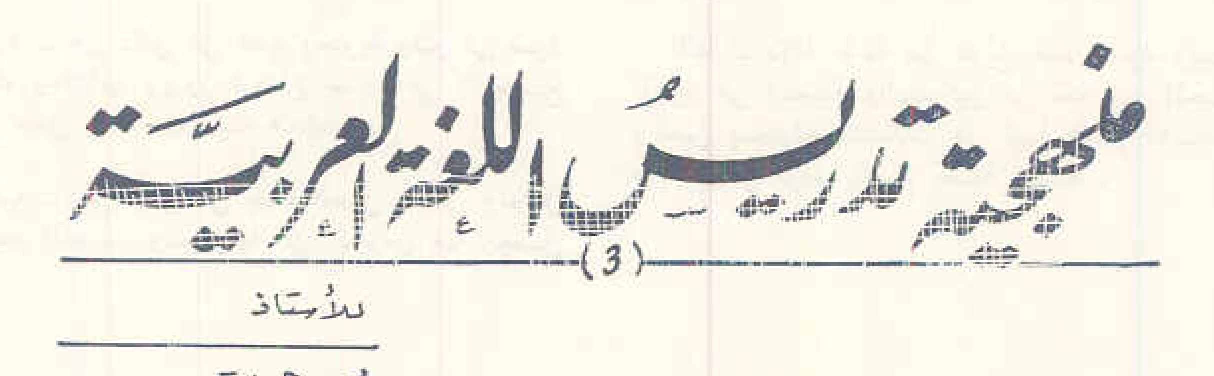
التى عمت المجتمع العربى ، وقد أشار صاحب الظلال الى ان هذه الدلالات ثلاثة :

اولا ـ هى دليل على تفتح وحيوية ونمو فى صور الحياة وعلاقاتها وبروز أوضاع جديدة فى المجتمع الذى جعل يأخذ شخصيته الخاصة .

ثانيا ـ هى دليل على يقظة الحس الدينى وتغلغل العقيدة الجديدة وسيطرتها على النفوس مما يجعل كل احد يتحرج أن ياتى أمرا فى حياته قبل أن يستوثق من رأى العقيدة الجديدة فيه .

ثالثا ـ دلالة تؤخذ من تاريخ هذه الفترة وقيام اليهود فى المدينة والمشركين فى مكة بين الحين والحين بمحاولة التشكيك فى قيمة النظم الاسلامية وانتهاز كل فرصة للقيام بحملة مضللة .

العقل السليم والتجارب الصادقة كلاهما يلتقي مع الاسلام فى تشريعه السليم لكسب المال . . ومن هنا يكون التقاء الدين مع الحياة ، أو بطريقة أوضح، التقاء تشريع الله مع ازدهار الحياة .



للأستاذ

محمد حمزة

ان مشكلة اللغة قديمة قدم العالم ، وضاربة فى احشاء التاريخ . والانسان ما فتىء منذ ظهوره على الكوكب الارضى يبحث فى اسرارها وكيفية ايصالها وتواصلها ، فقد كان الهنود يعتقدون ان اللغة قديمة وانها هبة من الله وليست من صنع البشر ، وقد ميز الله الانسان بأن منحه المقدرة على الكلام ، وأعطاه اللغة التى يتكلم بها ، وحتى الذين حاولوا التركيز على الجانب الطبيعى للغة لم يستطيعوا ان يتخلصوا من فكرة «التدخل الالهى» فى ظاهرة اللغة ، وصرحوا بأن المعنى للفظ الاساسى لم يأت عن طريق الاصطلاح ولكن عن طريق الاله(1) ويحكى سفر أعمال الرسل أن حواريى عيسى عليه السلام حصلوا فى يوم الخميس الذى أعقب آخر فصح على هبة خاصة جدا هى اللغة ، فقد كانوا مجتمعين فى غرفة عالية منهمكين فى الصلاة ، فاقبل عليهم صوت من السماء فجأة ، استطاعوا بعده أن يتكلموا بلغات كثيرة : «ولما حل يوم الخميس كانوا كلهم معا فى مكان واحد ، فحدث بغتة صوت من السماء كصوت ريح شديدة تعصف وتملأ كل البيت الذى كانوا جالسين فيه ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار ، فاستقرت على واحد منهم فامتلأوا كلهم من الروح القدس وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى كما آتاهم الروح أن ينطقوا ، فلما كان ذلك الصوت اجتمع الجمهور فتحيروا لان كل واحد كان يسمعهم ينطقون بلغته»(2) وكان المستمعون من مختلف الجنسيات والاصول ، وينتمون الى خمسة عشر بلداً(3) ، فتعجبوا واندهشوا ، وقالوا انهم كانوا يسمعون تلامية المسيح ينطقون بألسنتهم بعظائم الله ، وعالج الهنود مشكلة العلاقة بين اللفظ ومعناه من جوانبها اللاهوتية والروحية والنحوية والفلسفية جميعا وكانوا يعتقدون ان لغتهم الاساسية قد خلقها الاله لاستعمال الناس بل يعتقدون أنها اللغة المستعملة بين الآلهة ، واطلقوا عليها وصف الوجود بدون سبب وبدون سبق عدم ، وتحدث اللغويون الهنود عن المقطع الخفى فى اللغة وذكروا أنه يمثل النواة التى تكونت منها الكلمات ، ويبدو أن هذه النظرية مرتبطة بنظرية التثليث عند الهنود ، لان الوحدات الثلاث

1 ـ البحث اللغوى عند الهنود ـ تأليف الدكتور أحمد مختار عمر ـ ص 100 ـ دار الثقافة ـ بيروت لبنان ـ 1972 .

2 ـ أعمال الرسل ، الفصل الثانى : 1 ـ 6 .

التى تكــون المقطع تقــابـل الآلهـــة الهنـــديـــة الثلاثة(4) .

يقول باتنجالى فى المهابهاشيا : «اننا ندرس النحو فربما نكون مثل الاله العظيم» ثم أخذ يعقد مقارنات بين أجزاء الكلام فقال: «النحو مثل الرب اربعة قرون وثلاثة أقدام ورأسان وسبع أيد ، أما القرون الاربعة فهى أقسام الكلام الاربعة ، وهى الاسمـاء والافعـال وحروف الاضافة والأدوات(5)، وما الاقدام الثلاثة فهى أزمنة الفعل الثلاثة الماضى والمستقبل والحاضر. وأما

4 ــ تنتظم عقيدة التثليث عند الهنود ثلاثة اقــانيم :
الاول : براهما ، كبير الآلهة ، ومجسد «المطلق» وخالـق العالـم والآلهـــة والكائنات ، تصوره كتب البوراناعلى أنه احمر اللون ، خرجت من جسمه امـرأة حسناء بيضاء اللون مرتدية ملابس بيضاء ، واسمها سـاراسفاتى فما لبث أن أخذه جمالهــا وموسيقاها الساحرة ، فركز بصره عليها ، فخجلت تلك الحسناء وحاولت أن تتخلص منه ومن نظراته، فاندفعت الى اليمين ، فظهر لابراهما رأس ثان ينظر الى ساراسفاتي وهكذا والرؤوس تظهر كلما حاولت الغادة الاختفاء حتى ظهر الرأس الخامس، وبعد ذلك نبـت نـداء براهمـا وقبلـت أن تكـون رفيقـة له ، وولدت له كثيرا من الابناء ، كان من بينهم آلهة الخير والهة الشر ، وهم من قبـيل الشياطين !
الثانى : فيشنو وهو الاقنوم الثانى، مهمته حفظ الكون ، قد يتشكل أحيانـا بالاشكـال البشرية عن طريق التناسخ بنزوله من السماء الى الارض .
الثالث : سيفا وهـو الاقنوم الثالث ، اله الدمار والخصب .

5 ــ أجزاء القول النحوية عند أرسطوطاليس ثمانية هى : الحرف الهجائى ، المقطع ، الرباط، الاداة الاسم ، الفعل ، التصريف ، القول ، وأقسام الكلم عند الاستاذ الفاضل دكتور تمام حسان سبعة هى : الاسم ، الصفـة ، الفعـل ، الضميـر ، الخالفـة ،الظرف ، الاداة . وهى عند عامة نحاة العرب ثلاثة : اسم وفعل وحرف . وزاد عليها بعضهم ، وهو جعفر بن صابر ، قسما رابعا سماه الخالفة ، وهى عنـده ما يسميه النحاة باسم الفعل . ويـروى الرواة ان تقسيم الكلم العربى الى ثلاثة أقسام يعود الى الامام على بن أبى طالب ، ذلك أنه سمع أعرابيا يقرأ قوله تعالى ، فى سورة الحاقة : «فليس لهم اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا ياكله الا الخاطئون». وقرأ لا يأكله الا الخاطئين فوضع على النحـو . روى ابو الاسود الدؤلى قال : دخلت على امير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فوجدت فى يده رقعة، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقـال : انى تـأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطـة هـذه الحمراء ، يتصد الاعاجم ، فأردت أن أضع شيئـا يرجعون اليه ويعتمدون عليه ، ثم ألقى الى الرقعة وفيها مكتوب : الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبىء به، والحرف ما أفاد معنى، فقال لى: انح هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك ... والى التقسيم التقليدى للكلم يشير ابن مالك فى ألفيته :

كلامنا لفظ مفيـد كاستقـم واسم وفعل ثم حرف الكلم
واحده كلمـة والقـول عـم وكلمة بها كلام قـد يـؤم
بالجر والتنوين والنـدا وال ومسند للاسم تمييـز حصـل
بتافعلت وأتت و «يا» افعلى ونون اقبلن فعـل ينجلـى
سواهما الحرف كهل وفى ولم فعل مضارع يلى لم كيشـم

واليه يشير أيضا شرف الدين العمريطى فى الدرة البهية :

كلامهم لفظ مفيـد مسنـد والكلمة اللفظ المفيد المفـرد
لاسم وفعل ثم حرف تنقسم وهذه ثـلاثـة هـى الكـلـم

والى التقسيم التقليدى يشير أيضا الشيخ ناصيف اليازجى فى مقدمة أرجوزته المعروفة بالخزانة :

الصرف علم بأصول تعرف بها مبانى لكلم تصرف
والكلمات فى اصطلاح الواضع ثلاثة ليـس لهـا مـن رابـع
وتلك بين اسم وفعـل تبنـى وبين حرف قـد أتـى لمعنـى

الراسان فهما نوعان من الكلمات ، نوع طبيعي ونوع صناعي»)6).

والعلم اليوم لم يعد أداة مدهشة تهول البشرية، ولاول مرة في تاريخ الانسان يثبت العلماء أن الانسان ليس هو المخلوق الوحيد الناطق في هذا الكون، فما يصح على مجرتنا ، خليق أن يصح على المجرات الاخرى ، وما زال علماء الفلك الراديوى معنيين في الفترة الاخيرة، باشاعات راديوية، واردة من الفضاء، ولا يستبعدون في دراساتهم استبعادا مسبقا أن تكون تلك الاشعاعات واردة من حضارة متقدمة ، قائمة على كوكب سيار ، يدور حول أحد النجوم في مجرتنا او في احدى المجرات النائية . ولذلك قال لفيف من العلماء في مؤتمر لهم عقد بالمرصد الفيزيائي الفلكي في بوريا كان بالاتحاد السوفييتي في شهر سبتمبر 1971 : «نرى أنه من المناسب أن يقوم ممثلون عن البشرية جمعاء بالبحث عن قدرة عاقلة خارج نطاق الارض)(7) . بل ان العلماء اقتنعوا بأن الانسان يشهد الليل حافلا بأقراص مشعة يقودها بعض الزائرين القادمين من أقاصي السماء. وتعدد العوالم يؤكد تعدد الاحتمالات ويضاعفه ، ويقولون ان سكان كوكب السدم يملكون بالطبع اعضاء حس وزوائد استشعار وحركة ، ويتفاهمون فيما بينهم بلغة تحتوى على كلمات وقواعد للنحو والصرف ، وبناء الجمل . كما يملكون تنظيمات سياسية وأدب لغة وموسيقى، وفنونا تشكيلية لها مدارس متنافسة ، وقواعد اجمالية متعارضة ، وأبدعوا معلومات وتقنيات او ما يعادلها . وثمة أشياء تقوم عندهم مقام الاخلاق والفلسفة والدين(8) ، ونحن - العرب والمسلمين ينبغي أن لا ندع في نفوسنا مجالا للغرابة في هذا الشان ، او نعجب وتستبد بنا الحيرة وكتابنا الخالد يقول :«ويخلق ما لا تعلمون»(9) فهل آن لنا ان نعتبر بما وصل اليه البحث اللغوى عند الغرب الذى نردد اقواله ، ولا ننتفع بها الا كشطا ونتفا وابتسارا ؟!

ان الانسانية قد نهضت نهضة شاملة وتفننت في العلوم والصناعات ، وظلت تكتشف أسرار الطبيعة واحدا تلو آخر ، وسخرت قوى الكون وأخضعتها لتقوى بها على ما يواجهها من صعاب ، ففي المجال البشرى - مثلا - توصل الانسان الى التعرف على حياة بني جنسه منذ مولده حتى نهاية عمره ، وتسنى له أن يعرف كيف تعمل الاجهزة الداخلية في جسم الانسان ، فاستطاع بذلك ان يفسر سلوكه الاجتماعي ان زمرا وان افرادا . وفي المجال الصحي كافح الجراثيم والاوبئة الفتاكة ، وكثيرا من الامراض التى ظلت مستعصية طوال عهود وأحقاب ، وفي الزراعة قضى الانسان على الحشائش التى تضر ولا تنفع ، واختار الانواع التى تعود عليه بالخير وأعظم الفائدة، فازدادت بذلك المحاصيل الزراعية ، وتحسنت غلال الفلاحة ، وتم تسويقها على أسس قويمة سليمة، وفي ميدان النظرة في اللغة ، فان البحث اللغوى لا يقل في عصرنا الحاضر شمولا عما وصل اليه البحث في غيره من العلوم ، بل اتصف بالصفة العلمية المحضة ، ولم يعد مجموعة خرافات لغوية تخفى في أحنائها بقية باقية من احداث تاريخية ، لا ولم يبق مادة يستعان على ادراكها بالتامل المجرد ، كما كان في سالف الايام ، حتى انهم يقولون اليوم ان البحث في علم اللغة يشبه البحث عن الطبيعة النووية في مجال العلوم البحتة، لأن علم اللغةمن اكثر العلوم الانسانية استنادا الى المنهج الايجابي. ويسمون القرن العشرين بقرن علم اللغة، ويرون أن الثورة التى شهدتها اللغة في خلاله ، بحثا وتنقيبا، وتصنيفا شبيهة بثورة علم

---

6 - البحث اللغوى عند الهنود ، ص 14 .

7 - أوراق علمية لفؤاد صروف ص 56 ، دار الكتاب اللبناني - الطبعة الاولى 1972 .

8 - ديوجين ، ع 30 س 9 ، أغسطس / أكتوبر 1975 ص 15 .

9 - بعض الآية الثامنة من سورة النحل ، والآية بتمامها هي : «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لاتعلمون». قال الآلوسي: «والذى أظنه أنه ليس أحد من الكفار فضلا عن المؤمنين يشك في أن لله تعالى خلقا لا تعلمهم ليحتاج الى ايراد الشواهد على ذلك». وينقل القرطبي عن الماوردى انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان «ما لا تعلمون» أرض بيضاء مسيرة الشمس ثلاثين يوما مشحونة خلقا لا يعلمون أن الله تعالى يعصى في الارض» قالوا : يا رسول الله ، من ولد آدم ؟ قال : «لا يعلمون أن الله خلق آدم» . قالوا يارسول الله ، فأين ابليس منهم ؟ قال : «لا يعلمون أن الله خلق ابليس» ، ثم تلا «ويخلق ما لا تعلمون» .

«الفيزياء في القرن الثامن عشر ، ان المعرفة اللغوية هي التي تكشف لنا بوضوح مجاهل تاريخ الفكر البشري متعاونا بعضه مع بعض ليوصل الانسانية كلها الى وراثة هذه الارض وراثة رشيدة حكيمة أساسها الخير والسلم والرخاء ، ولا يعرف تاريخ البشرية فترات نهضات الا وكانت اللغة هي الطريق والسبيل الى تجميع الخبرات والنماذج . ومن التراكمات تستحدث التحولات وترفع السدود لينساب الفكر بوعائه ، أو ليتقدم الوعاء بمحموله ، وجهاد الانسان نفسه أو للطبيعة هو مدار الحضارة، واللغة درب بين الحومتين يظل سجلا لعمل الانسان الذي يعمر الارض(10) جيل ياتي، وجيل يرحل، كل يعمل لاشباع مجاعات في نفسه فينجز بفكره ما أمكنه انجازه ليخلي السبيل الى من هم آتون بعده كالشمس تشرق لتغيب وهكذا دواليك :

منع البقاء تقلب الشمس
وطلوعها من حيث لا تمسى

وطلوعها حمراء صافية
وغروبها صفراء كالورس

اليوم اعلم ما يجيء به
ومضى بفصل قضائه أمس (11)

الحركة لازمة في جميع مجالات النشاط الانساني ، ففيها تتلاعب القوى وتتفاعل ، وخصب الزمن يتخذ أشكالا كثيرة دون أن يتضاءل أو ينقص ، وبذلك يصير التقدم الاجتماعي تحليلا للحاضر ، وانتقاء من الماضي ، وتنظيما لما هو موجود فعلا ، مع تصور المستقبل - والليالي حبالى - بامكاناته ، واحتمالاته خدمة للانسان ، وتحريرا لقواه ، ومساعدة له على الانطلاق ، وتنمية لقدراته المتنوعة الكثيرة .

ان معارفنا تتقادم بناء على نماء العلوم وانتشار الثقافة الذي يعيشه عالم اليوم، وان كثيرا مما يظهر في آفاق الفكر جديدا في يومه ، يبليه عامل الزمن، ويرتد طوعا أو كرها الى حساب القديم في غده ، كما يقع لبعض الاواني المعدنية ان قدمت ، تصفر، وتتآكل ، وتصدأ ، وقد يعلوها الطحلب ، ولم يعد انسان اليوم يكفيه أن يشار اليه بالبنان فيقال : «انه حافظ للمتون ، ملم بجميع العلوم والفنون» او يوصف «بالبحر الفهامة والمدقق العلامة» أو «العالم

---

10 - اللغة والحضارة للدكتور مصطفى مندور ص 218 ، منشاة المعارف بالاسكندرية 1974 .

11 - الورس هو الزعفران ، وفصل قضائه ، معناه قضاؤه الفاصل ، من قبيل تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الصرفي الواحد ، والابيات لتبع بن الاقرن ، وتنسب لاسقف نجران ، ويستشهد النحاة بالبيت الثالث ، في المبني والمعرب من الاسماء ، للتدليل على بناء «أمس» على الكسر، وهو في البيت فاعل لمضى ، وورد مكسور الآخر بطليل قوافي الابيات كلها ، وبناء «أمس» على الكسر ، هو لغة اهل الحجاز وهم لا يفعلون ذلك الا اذا أريد به معين ، وهو اليوم الذي قبل يومك ، ولم يضف ، ولم يعرف بأل، ولم يكسر ، ولم يصغر ، وسر بنائه عندهم أنه تضمن معنى حرف وهو «أل» المعرفة ، يقول ابن هشام في «قطر الندى وبل الصدى» : «وأما «أمس» اذا أردت به اليوم الذي قبل يومك ، فأهل الحجاز يبنونه على الكسر، فيقولون : «مضى أمس، واعتكفت أمس، وما رأيته منذ أمس» بالكسر في الاحوال الثلاثة ويقول في «شذور الذهب في معرفة كلام العرب» : واذا أريد بأمس يوم ما من الايام الماضية ، او كسر أو دخلته «أل» ، أو أضيف - اعرب باجماع ، تقول . فعلت ذلك امسا اي في يوم من الايام الماضية . وذكر المبرد والفارسي وابن مالك والحريري ان «أمس» يصغر فيعرب عند الجميع».

ومعنى الابيات أن الخلود في هذه الدنيا ممتنع غيرممكن لاحد ، والدليل على امتناعه ما نشاهده من تقلبات الاحوال ، فالشمس ، وهي كوكب عظيم جدا ليست بباقية على حالة واحدة ، بل يعتريها التغير والافول ، فهي تطلع من حيث لا تغرب ، وهي حمراءصافية عند الشروق ، صفراء كالزعفران عند الغروب ويظهر ان ابراهيم الخليل قد رصد هذه الظاهرة التي يقصها كتاب الله الخالد : «واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ أصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين ؟ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلماأفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون ، اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين» الانعام : 74 - 79 .

النحرير المتحلي بحلل الكمالات» ، ان مثل هذه الاوصاف تثير كثيرا من الانشداه والسكوت الحائر في مقاييس العصر، ان انسان اليوم يقاس علمه بالقدر الذى يسخر به معارفه لجعل الآخرين أوسع معرفة، وأكثر انتفاعا ، وأحسن تمرسا بتجارب الحياة، ان المعرفة صارت كيانا لعالم اليوم ، وجزءا لا يتجزأ من شخصية الانسان المعاصر الذى يتميز بأنه يظل طوال أيام حياته يتلقى المزيد من المعارف الجديدة، ولم يعد من واجب المدرسة او الجامعة ان يزودا التلميذ أو الطالب بعلوم الدنيا كلها ، بل أصبح من واجبهما أن يجعلاهما قادرين على تفهم المعلومات والسعي وراء البحث عنها ، بمعنى انهما يريانهما الكيف ويتركان لهما المجال فسيحا لتجميع الكم باستخدام المناهج العلمية المختلفة للتحصيل واثراء التجارب اثراء دائبا لا يفتر، ولا يعرف الانقطاع حتى بعد التخرج ، واذا تم ذلك ـ وهو واقع فعلا ـ فان البشرية تتهيأ لها ثقافة الاجيال المتتابعة والمتلاحقة وهي ثقافة مرهصة لما يكون عليه المستقبل ، ووعاء تغرف منه حضارة الغد .

وتحطيم الماضي والثورة الشاملة عليه ومحاولة محوه أمر لا يمكن في مجال التطبيق ، لان الماضي رحم المستقبل ، وعنه يتولد ، وفي احضانه يكبر ، وعلى تربته ينبت ويلقى الجذور ، والحضارة القديمة، أى حضارة مهما بلغت من القدم أو الشيخ أو النهاية في الكبر واليبس والجفاف ، فانها تميزت بشيء دون ريب ، وخطت بها الانسانية خطوة ، وساهمت في قليل أو كثير في وضع أسس الحضارة الحديثة بجوانبها الفلسفية والفكرية والنظرية ، والتطبيقية . غير انه لا ينبغي أن نتجاهل ان الحضارات التكنولوجية العلمية الحديثة التى نتفيأ ظلالها اليوم، بطبيعتها الشمولية ، وسيطرتها الكونية، تحتم السير بالمجتمعات قدما بصرف النظر عن طبيعة هذا المجتمع أو ذاك ، وبغض البصر عن فلسفته ، أو درجة تكوينه ، أو موقعه الجغرافي ، أو موقفه ازاء هذه الحضارة ان حبا وان كرها ، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث يجدها ، كما لا تنبغى الغفلة عما يجد في عالمنا المعاصر ، ولو ظللنا غافلين عما يبرز الى الدنيا كل يوم في مختلف المجالات ، لعاد ذلك علينا بالضرر ، وعلى مجتمعاتنا ، وعلى أجيالنا القادمة والماثلة ، ان نكون عاجزين ـ والحالة تلك ـ عن توجيه ما يحدث أمام أعيننا توجيها علميا واعيا، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، والذى ينكر وجود الشيء لا يملك توجيهه ، والنتيجة الحتمية لذلك هي الفوضى، والانحلال واضطراب القيم ، وازدواج الشخصية والنفاق ، وغض الطرف ، وعدم المبالاة ، والاخلال بالمسؤولية(12).

ان عصر اليوم عصر الفكرة المستنيرة ، والبصر الثاقب والحقائق الواضحة ، واستقراء الدقائق ، والايغال في البحث، واستبطان دخائل العلم، والوقوف على أغراضه ، وتنظيم أبوابه وتجميع مسائله، كل مع فصيلته ، واللغة تفعل فعلها في كل اولئك، ولذلك ينبغى أن ننظر اليها على أنها معان وأفكار وحقائق نصوغها في قوالب من الالفاظ ، وليست هي الالفاظ تصب فيها المعاني ، ان خروج اللغة الى مجرد شكليات أو ألفاظ ترص ، أو محسنات يزوق بها الكلام ، أو قوالب تقاس عليها الكلمات والجمل والعبارات، وتصدر بمقتضاها الاحكام ، وانما هو من اللغو اقرب منه الى اللغة ، وابعد ان يكون جانبا ايجابيا نافعا في الحياة ، بل ان ذلك يقضى على اللغة التى نتناقل عبرها حقائق وجودنا ، ومختلف خبراتنا الحياتية ، وذلك هو ما يشل الحياة التي نحياها لانها تؤول الى حال جمود وسطحية ، أو كما يقول المثل «جعجعة ولا أرى طحنا» ، ان اللغة الحقة، وهي نتاج بشرى محض ـ هي التي تجعل للمعاني مكانتها القصوى ، ومحلها الاول ، أما الالفاظ المطلية البراقة المصبوبة في قوالب مصطنعة ، فانها لا تحقق مطالب الحياة وأغراضها ، انها كالتمر المكتعل يرش بالماء فيزداد فسادا ، أو كالحديد يحسب لجينا فتبدى النار عن خبثه عند تذويبه ، على حد قول الشاعر :

سبكناه ونحسبه لجينا
فأبدى الكير عن خبث الحديد

ان لغة حالها هذه ، لا تؤدى دورا يذكر في التفاهم وفي بناء العقول ، ونمو التفكير وسعة المعارف ، وانما تحيل الالفاظ نفسها الى نظرات ضبابية غائمة تنقل كافة المرئيات والعلاقات الى الوان أو نجوم غائمة . «لقد كف علماء اللغة في كثير من الثقافات

---

12 ـ الدوحة ـ 12 يناير 1976 ص 9 .

المعاصرة ، عن معاملة الالفاظ والاصطلاحات ، على أنها عناصر مستقلة ، انها علاقات دائمة ، وكل علاقة ينتظمها «نظام». ومن شروط ذلك النظام أن نفهمه، أو على الاقل نسعى لفهمه من خلال انعكاساته على الانظمة الاخرى ، ومن ثم فهو الطريق الى الانتقال من الظواهر المدركة الى ما وراءها . والجهود الضخمة التي ينفقها علماء الانثربولوجيا ، وعلماء التحليل النفسي منذ ثلاثينات هذا القرن توكيد لامل يومض به علم اللغة ، حين يلوح لهؤلاء العلماء بانه من المستطاع الغوص وراء الذات البشرية وموقفها للغة الحديث أو للغة الاساطير»(13).

اللغة تتحرك بقانون الغاية لا السببية ، وهي اذا غلبت بقانون السببية الصرف واخضعت له في قسر غلبت تجمدت لتؤدي في النهاية الى تجميد الاذهان ، وقتل مكامن الابداع في الانسان ، لان «الفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن الى المالوف ، ويصغي الى الصواب ، ويهرب من المحال ، وينقبض عن الوخم ، ويتاخر عن الجافي الغليظ ، ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب ، والروية الفاسدة... ولا خير في المعاني اذا استكرهت قهرا ، والالفاظ اذا اجترت قسرا ؛ ولا خير فيما أجيد لفظه اذا سخف معناه ، ولا في غرابة المعنى الا اذا شرف لفظه ، مع وضوح المغزى ، وظهور المقصد»(14).

فالتوفيق في اختيار الالفاظ والمعاني ، والحذق في انتقائها حتى تطابق مقضى الحال ، وحتى تناسب تناسب عقول المخاطبين وافهام القراء هو اكسير اللغة وجوهرها ، واللغة اذا أبعدت عن اليسر والاسماح، انقلبت الى بناء فوقي منقطع ، وانعزلت رأسا فتحدث بذلك الهوة بينها وبين الناس ، وتتضخم لتؤول الى أداة ارغام ، فيعبر المرء عن وطأتها بتافف مكظوم ، وغيظ مكتوم ، لان «النفس تقبل اللطيف ، وتنبو عن الغليظ ، وتقلق من الجاسي البشع وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقه ، وتنفر عما يضاده ويخالفه ، والعين تالف الحسن، وتقذى بالقبيح ، والانف يرتاح للطيب ، وينغر للمنتن ، والفم يلتذ بالحلو ، ويمج المر ، والسمع يتشوف للصواب الرائع ، وينزوي عن الجهير الهائل، واليد تنعم باللين ، وتتأذى بالخشن(15). ونحن نلمس وطء اللغة الشديد عندما نريد ان نعبر عن فكرة بلغة لا نعرفها الا قليلا ، خاصة اذا كنا أمام حشد من الناس ، وقد يصيبنا الخجل ، ويتنابنا الانكسار، وقد نمتعض في دخائلنا فينعكس ذلك على مظهرنا الفيزيائي ، وقد يشعر الانسان وكأنه في غمرات الموت، وهو يؤدي امتحانا شفويا ، أو حتى كتابيا، أمام ممتحن حين تعوزه اللفظة ، أو تخونه العبارة، لان البلاغة ، كما قال خالد بن صفوان ، ليست اللسان وكثرة الهذيان ، ولكنها باصابة المعنى، والقصد الى الحجة ، قيل لجعفر بن يحيى : « ما البيان؟» فقال : «أن يكون اللفظ محيطا بمعناك ، كاشفا عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سالما من التكلف ، بعيدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد، غنيا عن التأمل». وان كلام جعفر هذا ينطبق على الادب كما ينطبق على العلم ؛ بل ان سلبيات اللغة كالتكلف وسوء الصنعة والتعقيد يظهر مدى ثقلها على كثير من النصوص العلمية المكتوبة بالعربية في عصرنا ، ولا سيما المترجم منها ، أو الذي يغلب عليه الطابع الصحفي الاذاعي ، ذلك ــ وبعض الظن اثم ــ ان كثيرا ممن يكتبون مثل هذه النصوص وينشرونها في الناس لا يهمهم من أمرها الا أن ينجزوها أي انجاز ، فيلقون بنظرهم الى المكان الذي ينتهي اليه السباق ، وهو انجاز النص أو ترجمته ، دون ان يقيموا وزنا للطريق الطويل الشاق الذي لابد من قطعه للوصول الى الغاية العلمية التي لا تؤتي أكلها من النص الا بحسن العرض وجمال الاداء . ولذلك يقال «العلم لغة أحسن وضعها». والعلم اذا عبر عنه بلغة سيئة الوضع ، كان كالحصرم يؤكل قليله فتضرس الاسنان ، ولو أن ابن تيمية بعث من قبره فقرأ مثل تلك النصوص لقال فيها ما قاله في كلام أرسطو معلم الفلاسفة: «لحم جمل غث، على رأس جبل وعر ، لا سهل فيرقى ، ولا سمين فيقل»

13 ــ اللغة والحضارة ص 218 .

14 ــ كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر ــ تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ص 63 بتحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد ابي الفضل ابراهيم ــ عيسى البابي الحلبي وشركاه ــ 1971

15 ــ نفسه ص 63 .

ويخطىء من يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، أو يستصفحونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة، وجاسية غريبة، ويخطئون أكثر اذا استحقروا الكلام اذا رأوه سلسا عذبا ، وسهلا حلوا ، فانهم لا يعلمون ان السهل أمنع جانبا ، وأعز مطلبة، وهو أحسن موقعا ، وأعذب مستمعا .

ان العبرة ، فيما يقدم للناس ، ليست بالالقاب التى يوقع بها اصحابها مقالاتهم او كتبهم ، وليست بالشهادات او السلالم الادارية ، كلا وليست بالصيت البعيد والشهرة الواسعة ، فى عرف العلم والعلماء. ان السيف بحده لا بغمده ، بل ان السيوف العورى هى التى تمتدح ، لا تلك التى تصدأ فى الاغماد ، لان الاغماد من خشب يتطرق اليه السوس، ولانها تموه بالذهب والفضة ، وتغطيها الحمائل، وقد تستر سيفا كهاما مفلول الظبة، مكسور الشباة يغش حامله ورائيه معا ، فحامله مسلحا كاعزل ، والناظر اليه مخدوع ، فبئس الفريسية 16 يقول طه حسين : «ان عشرة طلبة مثقفين خير عندى من مائة خريج سطحى» :

وفضيلة الدينار يظهر سرها
من حكه لا من ملاحة نقشه

يتبع

محمد حمزة ـ الرباط

16 ـ ليالى الفندق ، لبولس سلامة ، ص 7 ـ منشورات دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ـ الطبعة الاولى 1968 ، والظبة ج ظبات وظبى وظبوب وأظب وهى حد السيف أو السنان أو نحوهما ، يقول السموأل :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

والشباة بفتح الشين ، جمع شبأ وشبوات وهى سن الرمح ، وهى من السيف قدر ما يقطع به، يقول أبو تمام فى وصف قلم ابن الزيات ، وقد استعار الشباة لأسلة القلم وهى سنة :

لك القلم الاعلى الذى بشباته تصاب من الامر الكلى والمفاصل
لعاب الافاعى القاتلات لعابه وارى الجنى اشتارته ايد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها بآثاره فى الشرق والغرب وابل

والفريسية ، بفتح الفاء وكسر الراء مشددة ، كناية عن الرئاء والتظاهر بالخير دون حقيقة والفريسيون طائفة من اليهود على أيام المسيح ، كانوا يفضلون ذواتهم على غيرهم لاعتقادهم بأنهم أشد تمسكا من سواهم بناموس موسى فيتظاهرون بالصلاح وباطنهم كان رديا ، فنعتهم المسيح بالقبور المجصصة وكانوا فى طليعة مضطهديه .



الإسلام في مواجهة التحديات

للأستاذ توفيق علي وهبة

يقول الله سبحانه وتعالى : ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها أنتم تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور .

« ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما تعملون محيط (سورة آل عمران ايات 118/120) .

لقد صاحب ظهور الدعوة الاسلامية حملات تضليل تشكيك في الرسالة الخاتمة وفي صدق الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام .... وظلت هذه الحملات تنتقل بين الحاقدين على الاسلام من جيل الى جيل حتى عصرنا هذا . فلا يزال الكثير من المبشرين يعملون على هدم الاسلام والتشكيك فيه بشتى الوسائل .

ومما يؤسف له وجود بعض المسلمين ممن يروجون لدعاوى المبشرين وللاسرائيليات التي حوتها بعض كتب التفسير وهؤلاء اشد خطرا على الاسلام من أعدائه ، اذ يتصيد الاعداء اقوالهم وينسبونها الى الاسلام – والاسلام برىء مما يقولون ؟ ؟

وازدياد هذه الحملات الشرسة ضد الاسلام نتج عن ابتعاد المسلمين عن دينهم وتقليد غيرهم لقد تركوا ما امرهم الله به ليأخذوا بما وضعه الآخرون وهؤلاء مهما ارتقت مداركهم وعظمت افكارهم فلن تصل بحال من الاحوال الى ما وضعه الله سبحانه وتعالى .... انه اعلم بنفوس عباده ، وقد وضع لها ما يلائمها من النظم التي تكفل للانسان خيرى الدنيا والاخرة ولكننا تركنا ما امر الله وراء ظهورنا ، ونظرنا الى ما في يد غيرنا وهو غش لارجاء منه ولا امل فيه .

لقد ازداد النشاط المعادى للاسلام في هذه الايام زيادة كبيرة حتى وصل الامر الى قتل المسلمين في بعض البلاد التي يشكل فيها المسلمون اقلية سكانية ان حملات الابادة التي قامت بها حكومة الفلبين ضد المسلمين لتمحوهم من الوجود لا تزال قائمة ، ولا يزال صداها يدوى في الافاق دون ان يهب المسلمون في كل بقاع العالم لنجدتهم و التدخل بحزم لدى حكومة الفلبين لوقف هذا العدوان الغاشم .... ان ما نشرته جريدة الاهرام القاهرية بتاريخ 4/25 /1973 ليؤلم كل مسلم بل كل انسان يشعر بآدميته ، قالت الاهرام تحت عنوان (ماركوس يعترف بخطورة القتال ضد مسلمى الفلبين) «مانيلافى 24 – وكالات الانباء – تحدث الرئيس الفلبينى فريناند ماركاس لاول مرة اليوم عن مشكلة المسلمين

فى بلاده فقال ان القتال بين المسلمين وقوات الحكومة اصبح خطرا حقيقا يتهدد الامة وقد وجه الرئيس ماركوس حديثه فى نفس الوقت الذى فيه اذيع فيه تقرير عسكرى رسمى فى العاصمة الفلبينية يقول ان القوات الحكومية الحقت خسائر فادحة بالمسلمين فى اشتباكين وقعا يومى الجمعة والسبت الماضيين فى اقليم كوتاياتو وجزيرة صولوا . .

هذا ما يقوله رئيس دولة الفلبين نفسه والبيان العسكرى الصادر عن حكومتها فهل يحرك المسلمون لمنع ابادة اخوانهم الفلبين .... ان المقصود من هذه الاعتداءات هو القضاء نهائيا على الاسلام فى تلك البلاد .... ليس هناك اى تفسير لذلك الا تفسير واحد هو ان هذه الحركات امتداد لكثير من الحملات المختلفة سواء اكانت فكرية او سياسية او عسكرية للقضاء على الاسلام فهل وعى المسلمون هذا ام لا زالوا فى نومهم يغطون ؟ ؟ ؟

لم تقف الحركات المشبوهة ضد الاسلام عند حد العدوان المسلح بل ظهرت باردة جديدة فى حرب الاسلام وهى منع المنتمين اليه من مزاولة اعمالهم وفصلهم اذا ظلوا متمسكين بدينهم .. والمثال التالى حدث فى اكبر دولة العلم تدعى انها تحمى الحرية وتحمى حقوق الانسان ، وهى فى الحقيقة تعتدى على كل ما هو انسانى وتدمر كل ما هو اخلاقى ... ان الخبر الذى اشير اليه نشر قبل الخبر السابق بعدة ايام فى جريدة الاخبار القاهرية وجاء فيه «اصدرت احد مستشفيات فيلادلفيا قرارا بوقف الممرضة (دولوريس جونز) عن العمل لانها ترتدي (جوبماكسى) تغطي الركبة ، بعد ان رفضت تنفيذ اوامر السلطات بارتداء زى لا يصل فيه طول الذيل ابعد من بوصتين تحت الركبة قائلة انها تدين بالدين الاسلامى وان تعاليم هذه الديانة تفرض على المؤمنين بها من النساء الا يعرضن (اجزاء) من اجسادهن تثير الرجال ، ورفضت السلطات ذلك وخيرتها بين الاحتفاظ بعملها او تقاليدها الاسلامية فأجابت مسزجونز (اننى ارغب فى المحافظة على الاثنين) وتقدمت بشكوى حول هذا الامر الى **لجنة العلاقات الانسانية** بالمستشفى» ا . هـ .

وهذا الخبر ليس فى حاجة الى تعليق فهو واضح اذ ان السلطات تخيرها بين امرين اما ان تستمر فى عملها وتترك تقاليد دينها وتعاليمه ، واما ان تفصل وتبقى محافظة على دينها فاذا ما اختارت الدين فعليها ان تواجه الحياة وهى مطرودة من عملها وقد تكون فى حاجة الى دخلها من هذا العمل لتقتات منه هى ومن تعول ؟ ؟

ان الحقد الدفين فى قلوب اعداء الاسلام يجعلهم يخرجون علينا كل يوم بأسلوب جديد لمحاربة الاسلام والمسلمين ومحاولة القضاء عليه ، ولكن الله سبحانه وتعالى حافظ هذا الدين الى يوم القيامة كما اخبرنا سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز حيث يقول «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» ...

هذان موقفان غير شريفين من اعداء الاسلام اما ما اعرض له بعد ذلك فهو ما ينقله بعض المسلمين من الاسرائيليات ومن اقوال المستشرقين .

لقد نشرت دار الشعب بالقاهرة كتابا بعنوان (ويسالونك عن ذى القرنين) لمولانا ابو الكلام ازاد وتقديم فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى .

وقع السيد القاضى مقدم الكتاب فى زلة خطيرة حيث قال فى ص 74 :

«كان اصحاب رسول الله يستعينون بالتوراة على تبيان مبهم او تفصيل مجمل فى القرآن العظيم» اللهم ان هذا افك وافتراء عظيم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد يهون القول لو قاله احد المستشرقين والحاقدين على الاسلام ، ولكن الخطب جلل والمصيبة اعظم اذ القائل معدود من كبار رجال الدين فى الاسلام . لذلك قلت انها زلة خطيرة وخطأ فادح ...

ان هذا الافتراء الجرىء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يدحض نفسه بنفسه لانهم رضوان الله عليهم كانوا بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يمت عليه الصلاة والسلام الا بعد ان تمت الرسالة واوضح ما غمض على اصحابه ، فكان عليه السلام يفسر لهم ما خفى عنهم من اسرار القرآن ولو قيل هذا الكلام عن غير الصحابة رضوان الله عليهم او غير المسلمين لجاز لجهلهم بالقرآن ، اما الصحابة فلا يمكن ان يجهلوا ما جاء بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم معهم يبين لهم بالسنة النبوية الشريفة ، ولا ادرى من اين جاء فضيلة الشيخ بهذا القول ؟ ؟ ؟

ان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن تصديق او تكذيب ما جاء الذى نزل على موسى او عيسى عليهما السلام ، فكيف بالكتاب المقدس لانه محرف وليس هو الكتاب الحقيقى يهم والحال كذلك سيستعينـون بالتـوراة على تبيـان مبهم او تفصيل مجمل فى القرآن العظيم وهم يعلمون انها ليست التوراة الحقيقية .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عمر بن الخطاب يسـأل عن اشيـاء فى لتوراة فنهاه عن ذلك وعنفه .

واعتقد اعتقادا جازما ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكن ان يجهلوا تحذيره لعمر بن الخطاب يسأل عن أشياء فى التوراة فنهاه عن ذلك التوراه ...

لم تترك النبى صلى الله عليه وسلم كبيرة ولا صغيرة الا اوضحها للمسلمين حتى تمت الرسالة يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز (اليـوم اكملت لكـم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكـم الاسـلام دينا) فكيف تكون الرسالة قد كملت والرسول يوضحها ثـم يحتـارون فى تفسير آيات القرآن فيرجعـون الى الـتـوراة ...

ان اليهود الذين لم يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويغيرون ويبدلون فى التوراة التى بين ايديهم فكيف يمكن الرجوع اليها ؟ ؟

لو قال فضيلة الشيخ كان الصحابة يسالون من اسلم من اليهود عما اجمله القرآن لجاز ذلك ، اذ انهم يؤمنون بالله وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلن يكذبوا او يقولوا غير الحق .

ان ما يقوله فضيلة الشيخ ليس الا من الاسرائليات التى ادخلها بعض اليهود الذين دخلوا الى الاسلام صوريا لكى يشككوا فيه ، ويدخلوا اليه ما ليس منه .

ولقد سبق ان ردد هذا القول كثير من المستشرقين والحاقدين على الاسلام واستغلوه ضـد القرآن وضـد الاسلام عموما .

كتب احدهم يقول : (1) ولنا الحق كله بان تفهم على ضوء التوراة والانجيل ما غض فى القرآن من النقاط المشتركة لان القرآن ذاته فى جمله إشك من شهادته او من فهمها يحيلنا الى الكتاب المقدس (2)

هل قرأ فضيلة الشيخ هذا الافتراء الجرىء على كتاب الاسلام الاعظم ؟ انه يطابـق ما يقولـه فضيلـة ... اتفقا فى الهدف وهو ان ما غض فى القرآن يرجع اليه فى التوراة والانجيل – وهل يوجد غموض فى القرآن يحتاج الى البحث عن التفسيره فـى الكتب القديمـة المحرفة ؟ ؟ سبحان الله جل جلاله .. انزل القرآن الكريم وجعله مهيمنا على الكتب السماوية السابقة فلم يترك كبيرة ولا صغيرة الا اوردها فيه وبينها بيانا كافيا لاولى العلم فيمكنكم تفسير آياته وبيان مجمله يقول الله سبحانه وتعالى «ما فرطنا فى الكتاب من شىء» ولم يامرنا سبحانه بالرجوع الى الكتب السماوية السابقة بل جمع سبحانه ما جاء فيها جميعا فى القرآن الكريم ، فالقرآن كتاب الله سبحـانه وتعـالى نسخ بـه الكتب السابقة يقول الله تعالت كلماته ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ويقول «ان الدين عند الله الاسلام» فكيف اذن يرى فضيلة الشيخ البـاقورى ان تفسير القرآن يكون بالرجوع الى التوراة ...

ان التوراة الموجودة بين ايدى اليهود ليست توراة موسى عليه السلام لانها تتهم الانبياء وتصفهم بابشع ما يوصف به انسـان .. تتهمهـم بالـزنى وشـرب الخمر والقتل الى غير ذلك من والاصاف الذميمة)3(.

والانبياء كما نعلم فوق الشبهات لانهم معصومـون فكيف بنا والحال هذه تؤمن بانه يمكن الاعتماد على هذه التوراه والرجوع اليهـا لتفسير مبهـم او تفصيـل مجمل فى القرآن .

ان هذه جراه على كتـاب الله واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب ان يتنزه عنها قلم مثل

(1) بيان الحق للكاتب المسيحى يسمى منصور .
(2) راجع سلسلة مقالاتنا بعنوان شبهات حاقدة حول الاسلام – مجلة دعوة الحق المغربية من العدد 6 ذو الحجة 1392 هـ وبها الرد على هذا الكاتب الضال الحاقد.

فضيلة لشيخ الباقورى بل وقلم مسلم يشهد بـان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .

ان لمسلمين مطالبون اليوم اكثر من اى وقت مضى ان يكونوا على يقظة تامة ووعى كامل بكل ما يدبر ضد دينهم لا ان اعداء الاسلام يكرسون كل جهودهم للقضاء عليه ومحاولة انتزاعه من قلوب ابنائه .

ولكن مهما حاولوا فسيظل الاسلام الى يوم القيامة ، وسيظل المسلمون متمسكين بدينهم مدافعين عنه مهما كلفهم ذلك من نفس ومال .

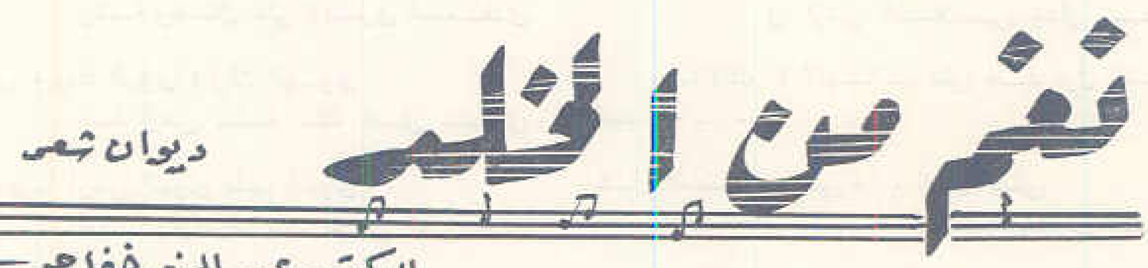
ادعوا الله سبحانه وتعالى ان يحفظ الاسلام دائما ظاهرا قاهرا وان يكتب النصر للمسلمين وان يمنحنا القوة ويوفقنا بمنه وكرمه الى قول الحق والعمل بما يحبه ويرضاه .

«ربنا افتح بيننا وبيـن قومنـا بـالحق وانت خير الفاتحيـن»

«ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا مـن لدنك رحمة انك انت الوهاب»

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه باحسان الى يوم الدين .

« ان البلاد الاسـلامية ، وهي من البـلاد التي تجاهد فى سبيل النهضـة فى جميع مجالاتهـا يفرض عليها وضعها ان تكون اسرع البلاد استجابة لدواعي النهضة وتوفيرها . باعتبار أن دينها يدعو لذلك ، ومجتمعها السابق قد حققه ، ومن الخير أن تسير في هذا الطريق المأمون دينا ودنيا » . الدكتور عبد المنعم النمر « الى الشباب » ص 342 .



للدكتور عبد المنعم خفاجي
عرض وتقديم : الاستاذ محمد حسن نشدان

ديوان « نغم من الخلد » هو الديوان الرابع (1) للشاعر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، أصدرته رابطة الادب الحديث بالقاهرة فى مائتى صفحة وخمس من القطع المتوسط ، يشتمل هذا الديوان على ثنتين واربعين قصيدة وملحمتين شعريتين أولاهما بعنوان : (ملحمة الضياء) ، وثانيتهما بعنوان : (زاهد يحترق فى النـور) .

والشاعر يلتزم فى تلك القصائد جميعها بالوزن والقافية ، ما عدا ملحمتيه السابقتين اللتين نوع فى نغمهما الشعرى على نحو واضح ، وكان هذا التنويع نفسه — فيما اعتقد — سببا فى اطالة النفس الشعرى، وبخاصة فى هذا اللون من الشعر ، شعر المطولات والملاحم ، الذى يقتضى الطول ، والموضوعية ، والخيال المسرف ، وما الى ذلك ، وكذا قصيدته التى جعل عنوانها : (الوداع الاخير) ، التى يعود تاريخها — على حد تعبير الشاعر نفسه — الى اربعين عاما مضت ، وهى من الشعر المقطوعى ، الذى يتفق فيه الوزن من أول بيت فى القصيدة الى آخر بيت فيها ، مع تغير القافية كل عدة أبيات ، قد تتفق فى العدد من فترة لاخرى ، وقد تختلف ، حسب ما يتطلبه النظم ، وهذا التنوع الواضح فى النغم الشعرى سواء فى ملحمتيه السابقتين ، او فى قصيدته السابقة ايضا ، يذكرنا بصنيع شعراء مدرسة ابولو ، الذين درجوا على تنويع النغم فى القصيدة ، حتى تستوعب شتى الانفعالات والعواطف ، ومختلف النبرات والخواطر ، فالشعر الجيد انما يكون بارتعاشاته ، وهمساته ، وايحاءاته ، وايماءاته ، وما فيه من خلجات الافئدة ، ونبضات القلوب ، ووحى العاطفة ، وتحفز الشعور والوجدان .

وقارىء هذا الديوان يحس بالاسلامية الخالصة ، والايمانية الواضحة تتدفق فى جل قصائده ، وتترقرق بين خمائله ، وبخاصة فى قصائده : (يا عيد) (2) ، و (موكب علوى) (3) و (انسان القرآن) (4) ، و (انسان الاسم العظيم) (4) و (يـا دار حبى) (3) وغيـرهـا .

وعنوان القصيدة الاخيرة يوهم بأن الشاعر انما جعل قصيدته فى بكاء دار احبابه ، والتفجع على مفارقته لها ، ونأيه عنها ، بيد أن القارىء لا تلبث نظرته أن تتغير سريعا كلما تقدم فى القراءة بيتا بعد بيت اذ لم تكن دار حبه سوى أرض مكة المكرمة التى زارها ، ووصل فى فترة اقامته بين ارجائها بين ماضى الاسلام وحاضره ، وبين اسلاميته الثرة ، وايمانيته الفوارة وتلك البقاع الطاهرة ، ومواطن الذكريات الاسلامية العامرة :

الترتيب : وحى العاطفة ، واحلام الشبـاب ،

---

1) الدواوين الثلاثة التى سبقت هذا الديوان هى على واحلام السـراب .
(2) ص 12 (3) ص 16 (4) ص 19 .
3) الديوان ص 24
4) الديوان ص 32 .

يـا ارض مكـة طبت مـن ارض مبـا
ركـة وطـال على الهـوى اسعـادى

فيك المنى ، وبك الرؤى ، ولك الهـوى
يـا ارض مكـة منك كـان سهادى

ما ذقت يـا ارض الهوى طعم الهوى
ابـدا بغيـرك يـا منـى آمـادى

انـت التـى اسعدتنـى انـت التـى
بهواك ، كـل هواك كـان جهـادى

فى الكعبـة الشمـاء ، والحرم الاميـ
ـن ، وزمزم ، والحجر كان رقـادى

والى الصفـا والمـروة البيضاء والـ
ـحجـر الاشـم حججت فى اعيـادى

والركـن يبسـم ، والمقـام منـور
والحشـد والحجـاج كالآبـاد

ان كان يحسدنـى الحسود فقد تضـا
عـف فى هـوى دار الهوى حسادى

ودعتهـا وبقلبـى المكلـوم نـسـا
ركـا للظـى شبـت بـلا ايقـاد

هذه العاطفة الحارة ، التى يحسها القارىء ، وهى تتدفق فى ابيات القصيدة يستعين الشاعر فى سبيل ابرازها بذلك الاسلوب الفوار المتدفق فى غير انقطاع

حين يقول — على سبيل المثال — :

فيك المنى ، وبك الرؤى ، ولك الهوى . . .
انـت التـى اسعدتنى ، انت التـى
بهواك ، كـل هواك كـان جهـادى

ثم بذلك الحشد الهائل من الكلمات التى تجسم اروع ما على ارض الحرم المبارك من مشاهد ومزارات ، لها قداستها ومنزلتها فى نفوس المسلمين ، كل المسلمين من مثل : (الكعبة الشماء) (الحرم الامين) (زمـزم) (الحجر) (الصفـا والمـروة) (الركـن) (المقـام) (البيت الحرام) ، وهو حين يذكرها انما يجد فى هذا الذكر لذاذة نفسه ، ومنى خاطره ، فقلبه ينبض بحبها ، ولسانه يترجم عن جليل قدرها ، وعواطفه مشدودة دوما اليها ، حتى انـه ليتمنى أن يقضى بين أفيائها البقية الباقية من عمره :

يـا ليـت ايامـى هنـاك وليتنـى
فى ارض احـلامـى ودار تـلادى

وما ذلك الا لانهـا — على حـد قول الشاعـر نفسـه — :

كـل السنـا من نورها ، كـل المنى
فى قربهـا ، كـل الهـوى بفـؤادى

ثم نراه فى نهاية القصيدة يشتعل قلبه حماسة ، وتضج روحه وفاء لرسول الاسلام العظيـم ، حـين يقـول :

قـدس من الاقداس فى دار الهـدى
نعمت بـه روحـى وطـاب فـؤادى

وشريعـة مـن أحمـد ، ومحمـد
صلـى عليـه اللـه فـى الآبـاد

صلـى عليـه اللـه فـى الآحـاد
صلـى عليـه اللـه فى الاشهـاد

صلـى عليـه اللـه اكـرم مرسـل
سمـت الحيـاة بـه وعـز الـوادى

والشاعر فى جل قصائد الديوان يمزج بين الروح الدينية ، والروح الوطنية او القومية ، وهو فى ربطه بين كلا الاتجاهين ، ومزجه بين هذين الغرضين لا يتورط فى عيب يزرى بشعره ، أو يغض من شانه ، او ينزل بقيمته ، فلا فجوات ظاهرة ، ولا انقطاع فجائى فى روحه الشاعرة ، بل اتصال والتحام ، وتواؤم واتزان ، ففى قصيدته : (انسان القرآن) المتشحة بثوب رائع من الشفافية الدينية ، والمتزرة بغلالة رقيقة من الايمانيـة القويـة يقـول :

يـا ليلـة البعث الجديـد تحدثـى
عـن كـل ماض فى العلائـم يهـزم

طويـت صحائفـه ، وغاب صباحـه
ومضـت مفـاخـره بطـول تنـدم

وتحدثـى يـا ليلتـى عـن حاضـر
بالهـون ، بالالـم المضاعـف منعـم

والمسجـد الاقصى هنـاك وقدسنـا
باتـا بمآدبـة اللئـام اللـوم

ونقيم نحن على الشجا وكأنما
نحيا ونحن بأرضنا بجهنم

لا لن ننام عن النضال عن الكفاح
عن التراث وكل فخر المسلم

ولسوف نشعلها لظى متأججا
ونقول للبطل المدجج : اقدم

ونقول : كل التضحيات رخيصة
ان مات منا ألف ألف متدم

قومي الالى استولوا على الدهرفتى
ومشوا الى الآمال فوق الانجم

وبامكاننا ان نعثر على انماط اخرى من هذا الصنيع الفذ فى قصائده : (الى عرفات) (1) و (امم تطوى) (5) وغيرهما .

بل ان هذا الصنيع نفسه يتعدى قصائده المطبوعة بطابع الدين ، او التى تظهر عليها مسحة من التصوف الى قصائده الرثائية الباكية ، التى لا يرثى فيها صديقا عزيزا ولى ، ولا يبكى فيها خلا وغيبا ودع الدنيا ، وانما يبكى فيها جده وحظه ، ويندب يومه وأمسه ، ويرثى نهاره وليله ، ففى قصيدته : (سراب) (6) التى تكتنفها روح عالية من الرومانطيقية المحلقة المبدعة يقول :

وى لامسى ، ولايامى وى
ولليلى ونهارى العبقرى

المنى كل المنى قد ذهبت
وتلاشت بددا من راحتى

وبقايا الحلم كانت بيدى
اين ما كان قريبا بيدى

اين امس الصفو ؟ ولى ومضى
ثم ابقى لى الاسى فى وجنتى

والرؤى اضحت خيالا ودجى
بعدما كانت سنى فى ناظرى

وسراب كاذب يخدعنى
كلما سرت ويغشى ناظرى

تجربة وجدانية لا احسبها الا صادقة ، تجربة حية نابضة ، عاشت فى نفس الشاعر، وغشيت روحه، واستقرت فى وجدانه ، وطغت على احاسيسه ومشاعره ، وفجأة طفت على تيار شاعريته ، بعد أن سبحت طويلا فى اعماقه المثخنة بالجراح ، والالام ، فكانت تلك الابيات وغيرها ترجمة صادقة عنها ، وبيانا واعيا لكل ما يكتنفها ، ويجلى جوانبها من شعور صادق ، واحساس فياض ، بيد أنه وهو فى قمة الانفعال الكابى ، والاسى الشاجن ، يعود الى ماضى امته ، أمة الاسلام العريقة فيعدد صورا من أمجادها الذاوية ، وآمالها المحطومة ، واحلامها المضيعة ، ثم يرسل اناته الحالمة ، وتوجعاته الالمة حين قال :

يا لماضى امتى اين مضى
اين ولى ذلك الماضى الزكى ؟

ويفيق الشاعر على حقيقة هذا العصر ، الذى ضيع اهله كتاب الله ، وهى حقيقة مرة بلا شك ، لذا اخذت أبيات القصيدة تنساب من جديد فى بحر الاسى القاتم ، والشجن الغائم ، والحزن العميم ، الذى سبحت فيه ابياته طويلا فى تلك القصيدة المبدعة ، فكانت الاجابة على السؤال الذى طرحه آنفا :

حطمته امتى حين رمت
بكتاب الله ، بالنور السنى

وفى قمة اليأس الذى سيطر على روحه من كل اصلاح تنتظره الامة يعود الى الشاعر الامل من جديد ، ويبعث بخاطره وفكره ذلك النور اللائح من بعيد ، فى غضون المستقبل الزاهر ، الذى تنتظره أمة الاسلام التى لا تقهر ولا تذل ، ولا تهان ولا تضام :

امتى لا تيأسى ، لا تيأسى
معك العزة من وحى نبى

ومع اليوم غد يصنعه الـ
ـله بالدين ، وبالهدى السوى

---

5) الديوان ص 83
6) الديوان ص 91 .
6) الديـوان ص 95 .

الـــى ان قـــال :

كانــت الدنيـــا لنـــا بالامـــس والـــ
يـــوم هنـــا ، وغدا يأتـــى الـــدوى

وتطفى الروح الوطنية التى خصها بعدة قصائد مـــن بينهـــا : (وطـــن الخالــد) (1) و (انتصـــار الشعـــب) (2) و (شهيـــد العروبة) (3) و (هـــى الاحلام) (4) و (الى الشباب) (5) وغيرها، تطفى هذه الروح على باقى قصائد الديوان على نحو واضح اكيد .

وقارىء الديوان يدرك ان ولاء الشاعر الوطنى ليس بمقصور على وطنه مصر ، ولا على الوطـــن العربى الكبير فقط ، بل ان هذا الولاء يمتد ليشمـــل العالم الاسلامى باسره ، وهى مسألة على جانب كبير من الاهمية ، لان هذا الاتجاه الحميد منه يسلكه فـــى عداد العظماء الذين وسعوا بقلوبهم مشاكل العالم الاسلامى الكبير ، وشغلوا اذهانهم به فترة طويلـــة من الزمن ، ثم راحوا يترجمون عن هذه المعانى وغيرها فى قصائد تفيض ولاء وحبا ، ورحمة وعطفا علـــى هذا الوطن الكبيـــر .

والديوان ــ بحق ــ يتحول فى الجانب الكبيـــر منه الى سجل حافل بالمكرمات ، والذكريات الاسلامية الخالدة ، والنماذج الوطنية الفارهة ، التى ترفد الشاعر فيها ثقافة عالية منوعة الروافد ، ولا غرو فالدكتور الشاعر ، أو الشاعر الدكتور مكتبة ضخمة عامـــرة متنقلة ، وهو تعبير اسمح به لنفسى فى هذا المقام ، يشهد على ذلك أعماله التى تراوحت بين التأليـــف ، والشرح ، والتحقيق ، والاشراف على العديد مـــن الرسائل الجامعية ، وغير ذلك من الجهود العلميـــة المشرفـــة (6) .

اقرأ له ــ مثلا ــ قصيدة (يا عيــد) (7) أو قصيدته (صوت التاريخ) (8) أو غيرهما من القصائد مـــن أمثـــال : (دارها الشمـــس) (9) و (أمـــم تطوى) (10) لتحس بأن الشاعر قد تحول فيهـــا جميعا الى موسوعة ضخمة ، ترفد القارىء بمـــدد لا ينقطع من الامجاد الاسلامية والعربية المطوية فـــى سجل الزمن ، والمكفورة فى تربة الايـــام .

والشاعر ــ فوق هذا ــ يحسن استعمال الصورة فى شعـــره ، ففى قصيدته (الحلم الكبير) يترجم عن اسمى معانى الوفاء والحب للبلد الحرام ، مكـــة أم القرى ، بعد أن شارفت رحلته اليها على نهايتهـــا حين قـــال :

ولممـــت اثوابـــى وعـــدت بعبرتـــى
والدمـــع والاحـــزان تمـــلأ رحلتنـــا

ونظـــرت والنـــور المشعشـــع رائدى
ويغيب حينـــا ثـــم يبـــدو خلفنـــا

وتسيـــر بـــى سيـــارة مذعـــورة
مثلـــى أكنكـــف بالتعلـــل شجوتنـــا

تعســـا لهـــا ، وكأن صوت زئيرهـــا
نعـــب الغراب الشؤم أو تعســـا لنـــا

وتصدنـــى قمـــم الجبال ، وانثنـــى
بيـــدى على كبدى ، وامســـح جرحنـــا

واقـــول : يـــا للدهر فـــرق بيننـــا
وغدت ليالـــى الوصل تندب حظنـــا

وانـــا الجريـــح وعـــادت الايـــام تقـــ
ـطـــع بالفـــراق وبالتشتـــت شملنـــا

واطـــل والدمـــع الهتون وصـــورة
الماضى الجميل ، وآه من هذا الضنا (1)

---

7) الديـــوان ص 7
8) ص 109 .
9) ص 111 .
10) ص 140 .
11) انظر فى ذلك ص 155 الى ص 186 من الديوان .
12) ص 12 .
13) ص 67 .
14) ص 79 .
15) ص 91 .
16) الديـــوان ص 78 .

هذه الصورة الكاملة يحشد لها الشاعر جملة من الصور الجزئية ومن الالفاظ ما يعين على اعطاء الصورة حجمها الطبعي ، وابعادها الحقيقية ، التى ارادها الشاعر لها من امثال : (عبرة) (دمع) (الاحزان) (مذعورة) (اكتكف شجوننا) (تعسا لها) (نعب الغراب) (الشؤم) (اصبح جرحنا) (فرق بيننا) (الدمع الهتون) .. الخ .

ثم يوازن بين تلك السيارة المذعورة وبين نفسه التى نكأها الدهر بالفراق مخلفا للشاعر دموعا هتانة ، وجراحا غائرة فى صميم قلبه ، ويرحل الشاعر فى أغوار نفسه ، سالكا دروبها المبهمة ، يلتمس لهذه السيارة شبيها فلم يجد لها من شبيه سوى الغراب ، فزئيرها نعيبه ، وشأنها فى الشؤم شأنه ، وقد كانت هذه المقابلة بين السيارة ونفسية الشاعر ، ثم بينها وبين الغراب وليدة احساس صادق ، وعاطفة قوية جياشة وانفعال واضح أكيد ، بكل ما كان يحس به الشاعر من مرارة الرحيل والم الوداع .

ويغرق الشاعر فى احزانه واشجانه فى بعض قصائد الديوان ، ويترجم عما يلاقيه من معاناة صحيحة ، نابعة عن مجاهدته للحياة ، او عن مجاهدة الحياة له ، ذلك لانه اذا كان للحياة وجه مشرق ، فلها الف وجه عابس كريه ، وهنا يكون الانفعال ، وتشتد قوة العاطفة فى نفس الشاعر ، الذى ابلى بلاء حسنا فى مجالدة الزمن ، وتحدى رياح العدم ، معركة دائمة متصلة انطبع اثرها على لوح الثقافة ثم عبر عنها على نحو واضح دقيق ، سابح فى أجواء خالصة من الرومانطيقية المحلقة المبدعة ، حتى ان بسماته لتتحول الى عبرات لتعصر أعماقه ، وتهز وجدانه وخافقته :

بسماتى عبرات عصرت
كل أعماقى وهزت خافقتى

وان الغيد لينفرن منه ، وقد راين الشيب يغشى هامته ، ولهذا يرى نفسه غريبا فى دنيا المغانى والغوانى والمنى ، حتى الطيف يجتويه اجتواء المال ، ويهجره فى غير وصال ، نطالع هذه المعانى وغيرها من قوله :

نظر الغيد لرأى الشيب فى
هامتى فى لمتى وعارضى

ما أمر البين كم اشقى به
بالزمان الغادر الحر الشقى

يا اخلاء شبابى والصبا
انا بعد الوصل بالنأى قصى

المغانى والغوانى والمنى
انا منهن غريب اجنبى

واجتوانى الطيف حتى الطيف يهـ
ـجرنى كالمال يا لى من شجى !(1)

صورة راثية باكية حزينة ، وواقع اليم مر ، لا يقل عنها فى صداها القابض ، ووقعها الآلم ، ونبضها الآسى قصيدته : (اين الصدى) التى يقول فيها :

كل أحلامك عادت سدى
لا تقل لى : أين الصدى ؟

ذهبت كل المنى بددا
ومع اليوم كرهت الغدا

وتستمر الابيات على هذا النمط الشاجن الساهم الراثى الحزين حتى انه ليتمنى أن يكون جمادا ، او زبدا على أمواج اليم ، او موعدا حلوا على فم العذارى، او بلبلا غردا على الدوح ، او قطرات حلوة من الندى تترقرق فى رعشة عذرية على الزهر فى وقت السحر ، ثم يقول :

لا تقل لى لم هذا فا
نى من الناس قد نفضت اليدا

وكأنى آه فى قمقم
وعلى الباب قد وصدا

يا أخى تلك الشجون تعيـ
ـش وتحيا بيننا أبدا

قد تحدانى الزمان وما
يصنع العاجز طول المدى ؟

وفجاة يعاوده الامل ، الذى كان قد افتقده — على ما يبدو — فى زحام الايام والليالى ، فتنفرج أسارير وجهه ، وتفتر من مقلتيه دمعة فرحة نشوى ، ويزايله العبوس فيقول :

ربما تأتى الليالى بما
يبهر الحلم به الامدا

ليس فى الدنيا محال وما
يعجز الساعة قد يأتى الغدا

هكذا يطوف بنا الشاعر فى آفاق نفسه الفسيحة، ويسرب بنا فى اغوارها المبهمة ، ويسلك دروبها الملتوية ويضرب على كل الاوتار الحزينة الآسية ، ويطيف بأذهاننا صورا شتى من الهموم الثقال ، والمآسى العظام ، ثم يفجؤنا فى النهاية بتلك النبرة الآملة ، والهمسة الواعدة نخفف عنا كثيرا من وقع الهموم ، وازال عنا ركاما هائلا من الاحزان .

وبلغت نظرتنا فى الديوان تلك الكثرة الكاثرة من القصائد التى كانت بمثابة الرسائل ، او الهدايا الثمينة الغالية يزجيها الشاعر الى اصدقائه وخلانه فى مصر وفى غيرها من بلاد العروبة والاسلام، وهى وان اتسمت بطابع شخصى ، لانها فى الحقيقة تطعة من حياة الشاعر ، ونبضة من نبضاته ، الا انها لم تخل من لمسة شاعرة فى الاغلب الاعم ، ففى قصيدته : (بقايا حلم) (18) التى اهداها الى الاديب السعودى الكبير عبد العزيز الرفاعى نطالع له هذه الابيات التى توجت بها القصيدة :

أمسيات الخميس طبت وطابت
فى الليالى ليلاتك الخالدات

وكأن الشتاء منك ربيع
والربيع الزهور والبسمات

أنا لى فيك ساعة من صفاء
يعذب السعى بعدها والسبات

واقول الغداة : لاقدم الصـ
ـيف ، ولا جاء تناله ليلات

---

17) الديوان ص 95 .

أنقل الخطوة فيه على الشو
ك وشمل الاحباب فيه شتات

وغدى آه كله لفح صوف
فاتنى الحب والاحباء فاتوا

وستبقى لهم على الدهر ذكرى
أين منها الافراح والذكريات ؟

الى أن قال :

أيها القلب يا فؤادى المعنى
حسبك الشجو المر والعبرات

وجفاء الاحباب والقيل والقا
ل وعذال فى الهوى ووشاة

فعلى أيام الوصال صلاة
وعلى أيام الهوى الرحمات

هى فى قلبى سلوة وحنين
وهى فى سمعى اللحن والنغمات

وهذا الوفاء الذى يتغلغل فى مسارب تلك الابيات، ويملأ أقطارها الفسيحة يجعلنا نشد على يد الشاعر ، طالبين منه المزيد من القصائد والاشعار التى نرجو لها أن تتحول الى رافد جديد يصب فى نهر العربية الخالد ، فيزداد بذلك خيرها وعطاؤها فى المستقبل الواعد القريب .



● قصة قصيرة :

طريقة بليسنجتون

بقلم : ستانلي ايلسين

ترجمة : الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

كان (تريدويل) رجلا صغير الحجم ، محببا ، يعمل مع شركة موسرة بمدينة نيويورك . وكان منصبه يخوله مكتبا له وحده . وفي يوم من ايام يونيو دخل عليه زائر فارع القامة ، ممتلىء البنية ، حسن الهندام ، وردي البشرة ، تشع عيناه الصغيرتان بالمرح من الخلف نظارته السميكة ذات الاطار القرني .

وبعد ان وضع الزائر حقيبة يده السميكة ، مد يده فصافح (تريدويل) بقوة حتى كاد يسحق يده وقال :

ـ اسمي (بروس) .. وامثل جمعية علم الشيخوخة وقد جئت لاساعدكم على حل مشكلتكم ياسيد (تريدويل) .

فتنهد تريدويل وقال :

ـ بما انك غريب عني كل الغرابة ياصاحبي ، وبما انني لم اسمع قط بهذه الشركة التي تزعم تمثيلها ، وفوق كل هذا ، بما انني ليس لي اي مشكل يمكن ان يتعلق بك ، يؤسفني ان اقول لك انني لست في حاجة الى بضاعتك . والآن لو سمحت.

فرد بروس :

ـ اسمح ؟ بالطبع لا اسمح . فجمعية علم الشيوخة لاتحاول بيع اي شيء لاي انسان ياسيد تريدويل واهتمامها خيرية محضة . فهي تبحث تواريخ بعض الحالات ، وتعد التقارير ، وتعمل من اجل الوصول الى حل احد الاوضاع الماساوية في مجتمعنا الحديث .

ـ والتي هي ؟

ـ كان ينبغي ان تفهم ذلك من اسم المنظمة فعلم الشيخوخة يدرس مشاكل كبر السن وكل ما يتعلق بها . وارجو الاتخلطه مع مرض الشيخوخة فعلم الشيخوخة يبحث في الشيخوخة نفسها كمشكل.

فقال (تريدويل) متصبرا :

ـ ساتذكر ذلك . ومادمت هنا فاني ساتبرع للمنظمة بمبلغ صغير .. هل تكفي خمسة دولارات ؟

ـ لا ، لاياسيد تريدويل .. لن آخذ منك فلسا ولا سنتيما احمر .. انا افهم جيدا ان هذه هي الطريقة التقليدية للتخلص من المنظمات الخيرية المتعددة ، ولكن جمعية علم الشيخوخة تعمل بطريقة مختلفة تماما . فهدفنا ان نساعدك على حل مشكلتك اولا . وحينئذ فقط نشعربان لنا حق مطالبتك بشيء .

فقال تريدويل منشرحا :

ـ حسن جدا .. اتفقنا اذن . فانا ليس لي مشكل ، وانتم لاتاخذون التبرع الا اذا اعدت النظر.

فقال بروس بصوت به الم :

ـ انا اعيد النظر ؟ انت الذي يجب ان تعيد النظر . فمن اكثر الحالات اثارة للشفقة والتي كان على الجمعية ان تعالجها حالات اشخاص رفضوا الاعتراف بالمشكل لمدة طويلة وقد اشتغلت بحالتك شهورا متعددة . ولم يخطر ببالي ان اصنفك من بين اولائك .

وتنهد تريدويل بعمق وقال :

ــ هل تسمح ان تخبرني بماذا تعني بكلامك الفارغ حول استغلالك بحالتي ؟ فانا لم اكن ابدا حالة بالنسبة لاية جمعية او منظمة كيفما كان نوعها .

وفي لحظة فتح بروس حقيبته واخرج منها رزمة اوراق ، وقال :

ــ اذا صبرت معي قليلا فسوف الخص لك هذه التقارير . انت في السابعة والاربعين من العمر ، وفي صحة ممتازة . وتملك دارا بشرق (سكونسيت ــ بلونغ ايلاند ماتزال عليها اقساط تسع سنوات . وتملك كذلك سيارة جديدة ماتزال مدينا لبائعها بثمانية عشر قسطا شهريا وبما ان اجرتك ممتازة فانت تعيش في يسر ، هل انا على حق ؟

فقال تريدويل :

ــ تماما مثل وكالة الديون التي اعطتك ذلك التقرير ؟

واختار بروس ان يتجاوز عن ذلك ؛ فقال :

ــ سندخل الآن في صلب الموضوع . انت متزوج مدة ثلاث وعشرين سنة وسعيد في زواجك . ولك ابنة تزوجت في السنة الماضية ، وهي تعيش مع زوجها الآن في شيكاغو . وعند مغادرتها دارك ، جاء حموك الارمل ، العكر المزاج نوعا ليقيم معكما انت وزوجتك وابنته .

وانخفض صوت بروس فزاد تاثيره وهو يقول :

ــ حموك يبلغ من العمر اثنين وسبعين سنة ، وبصرف النظر عن التهاب كيسي خفيف في كتفه الايمن فهو يفتخر بصحة ممتازة بالنسبة لسنه . وقد ذكر في عدة مناسبات انه يامل ان يعيش مدة عشرين سنة اخرى . وحسب الاحصائيات التي تحتوي عليها ملفات جمعيتنا فان فرصه في ادراك ذلك السن جيدة للغاية . والآن ، هل تفهم ياسيد تريدويل ؟

ولم يات الجواب الا بعد مدة طويلة .. فقال تريدويل اخيرا بصوت هامس :

ــ نعم .. الآن افهم .

فقال بروس متلطفا :

ــ حسنا .. حسنا جدا .. الخطوة الاولى هي اصعب الخطوات .. الاعتراف بان هناك مشكلة تحوم فوقك كغيمة داكنة في كل يوم يمر . وليس هناك حاجة لنسال لماذا نجتهد في اخفائها حتى عن انفسنا فانت تتمنى لو وفرت على زوجتك شقاءك ، اليس كذلك .

فحرك تريدويل راسه موافقا فساله بروس :

ــ هل سيريحك لو قلت لك ان مسز تريدويل تقاسمك نفس الاحساس ؟ وانها كذلك تشعر بان وجود والدها في بيتها يشكل عبئا يثقل كل يوم .

فرد تريدويل :

ــ لايمكن .. فهي التي ارادته ان يعيش معنا من البداية ، بعد ان تزوجت ابنتنا (سليفيا) وبقيت غرفتها فارغة . وذكرتني بالخدمات التي قدمها لنا في بداية حياتنا الزوجية ، وبانه سهل المعاشرة قليل المصاريف .. كانت هي التي اقنعتني بالفكرة ولا اصدق انها لم تكن تعني ذلك .

ــ طبعا كانت تعني ما تقول : فقد كانت تعرف جميع العواطف التقليدية عن اب عجوز يعيش وحده في مكان ما ، وجاءت بجميع البراهين التقليدية نيابة عنه وكانت صادقة في كل لحظة . وقد قادتك الى الفخ الذي يقع فيه كل من ينغمس في التفكير العاطفي التافه . حقا ، فانا احيانا اميل الى الاعتقاد بان حواء اكلت التفاحة لاسعاد الحية فقط .

وحرك راسه ، فقال تريدويل :

ــ مسكينة كارول ... لو انني فقط عرفت انها كانت تحس بنفس الشقاء الذي احس به .

فسال بروس :

ــ نعم ؟ وماذا كنت ستفعل ؟

فقضب تريدويل جبينه وقال :

ــ لاادري .. ولكن لابد كان يمكن التفكير في شيء لو فكرنا فيه معا .

فسال بروس :

ــ ماذا ؟ تخرج الرجل من الدار ؟

ــ لا ... لا اعني ذلك بالضبط .

فالح بروس :

ــ ماذا اذن ؟ ترسلونه الى ملجأ ؟ فهناك بعض المؤسسات الفاخرة جدا لهذا الغرض . وسيكون عليكما ان تفكرا في احداها اذ لايمكن اعتباره حالة احسانية ، ولا اتصور انه سيرحب بفكرة الذهاب الى ملجا خيري عمومي .

فقال تريدويل :

ــ ومن يرضى بذلك ؟ اما عن مصاريف المؤسسات الفاخرة ، فقد بحثت في ذلك مرة ولكن حين عرفت

الاثمان ادركت انها فوق طاقتنا فهى تتطلب ثروة طائلة .

فاقترح بروس :

ـ لعله من الاحسن ان يعطى شقة مستقلة ، رخيصة مع احد يدبر شؤونه .

ـ فى الواقع انه رحل من شقة واتى ليعيش معنا اما عن مسالة احد يدبر شؤونه فليست لك فكرة عما يكلف ذلك . هذا لو استطعنا العثور على من يناسبه.

فقال بروس ، وهو يضرب المكتب بقبضته :

ـ صحيح. صحيح كل ماقلته ياسيد تريدويل .
فنظر تريدويل اليه بغضب سائلا :

ـ ماذا تعنى بصحيح ؟ كنت اعتقد انك تريد مساعدتى على هذه المشكلة ولكنك لم تات باى حل حتى الآن . وفوق ذلك تتكلم وكاننا فى طريق الخلاص.

ـ وهو كذلك .. فرغم انك لا تشعر بتقدمنا ، فنحن قد قطعنا المرحلة الثانية نحو الحل . الخطوة الاولى كانت الاعتراف بان هناك مشكلا ، والثانية هى ادراكك انه لايبدو ان هناك حلا منطقيا او عمليا للمشكل كيفما نظرت اليه . وهكذا فانت لست تشاهد فقط طريقة بليسنجتون الرائعةالتى تضع الحل الواحيد الممكن بين يديك فى النهاية فقط بل انك تشارك فى سيرها .

وتساءل تريدويل :

ـ طريقة بليسنجتون ؟

فقال بروس معتذرا :

ـ سامحنى فقد استعملت فى غمرة حماسى مصطلحا لم يصبح بعد مبتدعا علميا متداولا ولابد ان اشرحه لك (فطريقة بليسنجتون) هى الاصطلاح الذى يستعمله زملائى فى جمعية علم الشيخوخة . وقد سميناها كذلك تقديرا للسيد بليسنجتون مؤسس الجمعية ، واحد كبار رجال عصرنا هذا . فهو لم يحقق الشهرة اللائقة به بعد ، ولكنه لابد فاعل وسوف ترى ، ففى يوم ماسيصبح اسمه اشهر من اسم (مالتوس) العالم السكانى .

فقال تريدويل :
ـ غريب انا لم اسمع به قط . وفى العادة اتابع كل ما يصدر بالجرائد . واضاف وهو ينظر الى بروس مضيقا عينيه :

ـ وشىء آخر ،انك لم توضح لى كيف تم وضع اسمى فى لائحة حالاتكم ، وكيف استطعت الحصول على كل تلك المعلومات عنى ؟

فضحك بروس بمرح قائلا :

ـ يبدو الامر غامضا حين تعبر عنه بذلك الاسلوب اليس كذلك ؟ فى الحقيقة ليس فى الامر غموض على الاطلاق . فالجمعية لها مئات المستطلعين يجوبون خلال ارضنا العظيمة هذه من الشاطىء ، الى الشاطىء وان كان الجمهور على العموم لايعرف ذلك . فقوانين الجمعية تحظر على اى موظف ان يكشف عن هويته كمخبر محترف اذ يفقد التاثير فى الحال . وهؤلاء المخبرون لايبداون باحد على انه موضوع عملهم فاهتمامهم ينحصر فى اى شخص متقدم فى السن يرغب فى الحديث عن نفسه وسيدهشك ان تعرف مبلغ ثرثرة اغلب العجزة عن اخص شؤونهم ؛ هذا طبعا اذا كانوا بين غرباء ونحن نتعرف على هؤلاء الشيوخ بطريقة عفوية فى الحدائق العامة ، والصالونات والمكتبات اى فى اى مكان يوحى بالراحة والحديث فياتى المخبر ويكسب مودتهم ويشجعهم على الكلام عن حياتهم وخاصة عن افراد عائلتهم الاصغر سنا ، والذين يعتمدون عليهم .

فقال تريدويل باهتمام متزايد :
ـ تعنى افراد العائلة الذين يعولونهم
فقال بروس معترضا : ـ

ـ كلا .. كلا لقد وقعت فى الخطا الشائع يخلطك بين الاعتماد والتمويل : طبعا فى كثير من الاحيان هناك اعتماد مادى .. ولكن ذلك جزء بسيط من الصورة . ما العامل المهم فهو ان هناك دائما اعتماد عاطفيا . حتى حيث تفصل مسافة بين الشخص الكبير السن والشاب فالاعتماد العاطفى دائما موجود . فهو مثل تيار يجرى بينهما . فالشاب بمجرد ادراكه لوجود الرجل الكبير السن يحس بعبء الشعور والغضب . وقد كانت تجربة السيد بليسنجتون الشخصية ، فى مواجهته لهذا المعضل الماساوى حافزا لبدء هذا العمل العظيم .

فقال تريدويل :

ـتعنى انه حتى ولو لم يكن الشخص الكبير السن عائشا معنا ، سيكون الامر بهذه الشناعة بالنسبة لكارول ولى ؟

فقال بروس :

ـ يبدو انك تشك فى ذلك . قل لى اذن ، ما هو سبب تضايقك الآن ؟

ففكر تريدويل قليلا ثم اجاب :

ـ اعتقد انه راجع لوجود شخص ثالث معنا طول الوقت .. فبعد مدة من الزمن يصبح ذلك مصدر اثارة للاعصاب .

فلاحظ بروس قائلا :

ـ ولكن ابنتك عاشت معكما كشخص ثالث اكثر من عشرين سنة ، الا انك لم تشعر بنفس الشعور نحوها .

فقال تريدويل محتجا :

ـ ولكن ذلك يختلف .. الطفل متعة فانت معه وتراه ينمو ويترعرع ..

فقاطعه بروس :

ـ قف ثم بالضبط ! الآن اصبت الهدف .. فطيلة السنوات التى عاشتها طفلتك معكما كنتما تتمعان بالنظر اليها وهى تنمو وتتفتح مثل نبات رائع لتصبح مخلوقا بالغا .. ولكن الرجل المسن فى بيتكم الآن لا يمكن الا ان يذبل ويضعف ، ومشاهدة ذلك تلقى ظلا حزينا على حياتكما اليس كذلك ؟

فاجاب تريدويل :

ـ اعتقد ذلك .

فقال بروس :

ـ وفى تلك الحالة ، هل تعتقد انه سيكون هناك فرق لو عاش فى مكان آخر ؟ هل ستكون اقل شعورا بذبوله وانهياره ، وهو ينتظر نحوك من بعيد.

فاجاب تريدويل :

ـ طبعا لا .. فزوجتى كارول ربما لن تنام نصف الليل من القلق عليه وسيبقى فى بالى طول الوقت بسببها . فذلك طبيعى ، اليس كذلك ؟
فقال بروس :

ـ حقا .. بكل تاكيد . ويسرنى ان اقول لك ان تعرفك على تلك الحقيقة هو تمام الخطوة الثالثة من طريقة (بليسنجتون) . فانت الآن تدرك ان المشكلة ليست فى حضور الشخص المسن ، ولكن فى وجوده .

فزم تريدويل شفتيه قائلا :

ـ لايعجبنى وقع كلامك هكذا .

فسال بروس :

ـ لماذا ؟ انه فقط تقرير للواقع ، اليس كذلك ؟

فقال تريدويل :

ـ ربما ، ولكن فى باطنه شىء يترك فى الفم طعما رديئا . فهو كما لو قلت ان الوسيلة الوحيدة لحل مشكلتى انا وكارول هى موت الرجل .

فقال بروس متأثرا :

ـ نعم .. فهو كما لو قلت ذلك .

فقال تريدويل :

ـ اذن لايعجبنى .. اطلاقا . فالتفكير فى ان يرغب الواحد فى موت شخص ما يجعله يحس بانه انسان شرير . وحسب ما اعلم فذلك لم يقتل بعد احد ابدا .

فابتسم بروس وقال بلطف :

ـ صحيح ؟

وتامل الرجلان بعضهما فى صمت . ثم سحب تريدويل منديلا من جيبه باصابع هادئة ولمس به جبينه ، وقال :

ـ انت اما مجنون او لاعب مقالب . وعلى كل حال فانا اريدك ان تخرج من هنا . وقد اعذر من انذر .

فقال بروس بوجه كله عطف واهتمام :

ـ سيد تريدويل ، الا تدرك انك كنت قاب قوسين من الخطوة الرابعة ؟ الا ترى كم كنت قريبا من حل مشكلتك ؟

فاشار تريدويل للباب قائلا :

ـ اخرج ، قبل ان ادعو الشرطة .

فتغير التعبير على وجه بروس من الاهتمام الى الاشمئزاز ، وقال :

ـ لاتكن عجولا ياسيد تريدويل . فانت لاتعتقد ان احدا سيصدق شيئا مما يمكن ان تطبخه من قصص واحاجى عما دار بيننا ارجوك ان تفكر فى

الموضوع بعناية قبل ان تقوم باى عمل متسرع ، الآن او فيما بعد . فمجرد ذكر موضوع حديثنا سيجلب لك المتاعب انت وحدك ! وصدقنى . وسوف

اترك لك بطاقتى ، وفى اى وقت شئت مقابلتى ساكون على استعداد لخدمتك .

فسال تريدويل وقد امتقع وجهه :

ـ ولماذا ساحتاج اليك ؟

فقال بروس :

ـ هناك اسباب عدة ، ولكن واحدا هو اهمها .

وجمع اوراقه وتوجه نحو الباب ثم التفت ليقول :
ـ تذكر هذا . كل من خطا الخطوات الثلاث الاولى فى طريق بليسنجتون لا بد ان يخطو الخطوة الرابعة . وقد حققت تقدما ملحوظا فى وقت قصير وقريبا تطلب مقابلتى .
فقال تريدويل :
ـ ساراك فى جهنم قبل ان افعل ذلك .

= * =

ورغم هذا الوداع فقد عانى تريدويل كثيرا فى المدة التى تلته . فقد صعب عليه نسيان طريق بليسنجتون بعد ان علم بها . بدات تفرض عليه افكار كان يجد من العسير اخراجها من دماغه كما انها لونت نظرته الى علاقته بوالد زوجته بلون منفر ، فلم يعد يراه الا حجر عثرة فى طريقه ، وكل ما كان يقوله او يفعله اخذ يبدو له وكانه يقصد منه مضايقته . اما ما اثار غيظه الشديد فهو تفكيره فى هذا العجوز الطفيلى وهو يثرثر متحمسا باسرار بيته الخاصة للغرباء والمخبرين الماجورين الذين لاشغل لهم الا اثارة المتاعب . ولم يشفع للعجوز عند زوج ابنته انه لم يكن يعرف انه يتحدث الى مخبرين .
وفى مدى بضعة ايام كاد تريدويل ، الذى يفتخر بانه رجل اعمال متزن عاقل ، ان يعترف بانه فى موقف سيء فقد بدا يرى علائم مؤامرة هائلة فى كل وجه . واخذ يتصور مئات ، بل الاف المخبرين مثل بروس يتزاحمون على مكاتب مثل مكتبه فى جميع انحاء البلاد . وكان يحس بالعرق باردا ينضح به جبينه للفكرة .
ولكنه قال لنفسه ان الموضوع باسره مجرد امر خيالى بعيد عن الواقع . واستطاع ان يثبت ذلك لنفسه بمراجعة المناقشة التى دارت بينه وبين بروس . فعل ذلك عشرات المرات . فقد كان الامر مجرد نظرة موضوعية الى مشكلة اجتماعية . فهل قيل شيء يخجل من مواجهته انسان ذكى ابدا فاذا كان قد استنتج بعض النتائج المزعجة فلان الافكار كانت فعلا فى ذهنه تبحث عن مخرج

وشعر بارتياح كبير حين قرر اخيرا ان يقوم بزيارة لجمعية علم الشيخوخة . كان يعرف ما سيجد هناك . غرفة قذرة او غرفتين وكاتبين تافهـي الاجـرة ، ورائحة اثاث قديم تنبيء بالفقر المدقع .

ذهب يبحث عن المكان مقتنعا بهذه الفكـرة حتى كان يجتاز العمارة ناطحة السحاب المبنية بزجاج والالومنيوم التى كان عليها عنوان الجمعية .فدخل مندهشا احد المصاعد الناعمة ليخرج منه الى غرفة استقبال الادارة المركزية للجمعية . وكان مايزال ماخوذا بما حولـه حين قادتـه شابـة مشوقـة القوام داخل متاهة طويلة مـن الممرات والغـرف المكسوة بالزرابى ، وقابل عددا آخر مـن البنـات الجميلات وعددا اكبر من الشبـاب القـوى ، وراى صفوفا من الالات الاليكترونية الصقيلة تدق او تهمس فى مـرح آلى ، وجبـالا مـن البطاقـات الشخصيـة المصنوعة من الصلب اللماع .. يضيء ذلك كله انعكاس الانارة غير المباشرة . حتى ادخل اخيرا على بروس واقفل الباب من خلفه .

فقال بـروس مستمرئا امـارات الدهشـة والانبهـار البادية على وجه (تريدويل) :

ـ شيء باهر ، اليس كذلك ؟

فرد تريدويل فى عجب :

ـ باهر فقط ؟ لم ار فـى حياتى شيئـا مثلـه . قيمته لا تقل عن عشرة ملايين دولار .

فقال بروس :

ـ ولمـاذا لا ؟ فالعلـم يعمـل ليل نهـار مثـل (فرانكنستاين) لاطالة العمر الى حد يتجاوز المعقول . ففى البلد الآن اربعة عشر مليون شخص فوق سن الستين . وفى ظرف عشرين سنة سيصبح عددهم واحدا وعشرين مليونا . وبعد ذلك لا احد يستطيع التكهن بالرقم الذى سيبلغونه . ولكن هناك مايدعو للتفاؤل ، فكل شخص مسن يحيط به جماعة من الشباب المنخرطين فى جمعيتنا . ومع ارتفاع المد ، نزدهر نحن ونقوى لنقدر على مواجهته .

وشعر تريدويل بتيار بارد من الرعب يتسرب اليه ، فسال :

ـ الامر صحيح اذن ، اليس كذلك ؟
فقال بروس

ـ عفـوا ؟
فشرح تريدويل بعنف :

— طريقة ليسنجتون هذه التى تتكلم عنها دائما ما هى الا وسيلة للتخلص من العجزة فقال بروس :

— صحيح ، تلك هى الفكرة بالضبط . ولم يعبر عنها باحسن من ذلك حتى السيد بليسنجتون نفسه فانت ماهر فى استعمال الكلمات . وانا اعجب دائما بالرجل الذى يدخل فى صلب الموضوع مباشرة ، وبدون حشو عاطفى .

فقال تريدويل غير مصدق ما يسمع :

— لن تفلتوا من قبضة القانون . فهل تعتقد انك قادر على الافلات ؟

فاشار بروس الى ماوراء الباب من نشاط قائلا :

— اليس ذلك دليلا كافيا على نجاح الجمعية .

فسال تريدويل متحديا :

— ولكن اولائك جميعا ، هل يعرفون ماذا يجرى ؟

فرد بروس :

— مثل جميع المستخدمين المدربين جيدا ، فهم لا يعرفون الا اختصاصاتهم اما ما نناقشه انا وانت الآن فيعد من الاختصاصات العليا .

فانخفضت كتفا تريدويل وهو يقول :

— مستحيل .. لا يمكن ان يكون

فقال بروس بحنان :

— دع عنك هذا .. ولا تترك الاشياء تبهرك او تغلب عليك . ففى ظنى ان اشد ما يقلقك هو ما يسميه بليسنجتون احيانا (بعامل السلامة) ولكن انظر الى الموضوع من هذه الزاوية : اليس من الطبيعى جدا ان يموت العجزة ؟ اذن جمعيتنا تضمن ان تبدو الموت طبيعية جدا . فالبحث نادر،ولم تسببلنا حالة ما اية متاعب . واكثر من ذلك ، ستتعجب من عدد الاسماء الموجودة على لوائح زبنائنا فيما شخصيات سياسية ومالية كبيرة . وكلهم يمكن ان يقدم شهادات وضاءة على كفاءتنا . ونذكر ان هؤلاء الزبناء المهمين يحمون جمعيتنا من كل من يحاول مهاجتنا . وا نهذه الحماية تمتد الى كل زبون من زبنائنا ، بما فيهم انت ، اذا رايت ان تضع طلبك بين ايدينا .

فقال تريدويل محتجا فى ياس :

— ولكن لاحق لى ، حتى ولو اردت ذلك . فمس انا لاسوى المشاكل بهذه الطريقة ؟

فمال عليه بروس قائلا :

— آها ! ولكنك ترغب فى تسوية الامور . ؟

فقال تريدويل :

— ليس بهذه الطريقة .

فسال بروس :

— هل تقترح اية طريقة اخرى .

فسكت تريدويل .

فقال بروس راضيا :

— رايت ؟ جمعية علم الشيخوخة تعطى الحل العملى الوحيد للمشكل فهل ماتزال ترفضه ياسيد تريدويل ؟

فقال هذا بعناد :

— لااراه حلا .. فليس عدلا .

فسال بروس :

— هل انت متاكد من ذلك ؟

فرد تريدويل بحدة :

— طبعا . هل ستقول لى انه من العدل ان يخرج الانسان لقتل الناس لمجرد انهم كبار السن ؟

فرد بروس :

— ذلك ما اقوله بالضبط . واريدك ان تنظر الى الموضوع من هذه الزاوية . نحن تعيش اليوم فى عالم من التقدم ، عالم المنتجين والمستهلكين ، وكلهم يبذل قصارى جهده لتحسين حال المجموع والعجزة ليسوا منتجين ولا مستهلكين . فهم عراقيل فقط فى طريق التقدم . فاذا اردنا ان نلقى نظرة عاطفة على الماضى الغابر فقد نجد انهم كانوا يقومون بمهمة . اذ حين كان يذهب الشبان لحرث الحقول يبقى العجزة للقيام باعمال البيت . ولكن حتى ذلك العمل لم تعد الحاجة اليه اليوم . فعندنا مائة اختراع للقيام به ، وهى ارخص بكثير . فهل تجادل فى ذلك ؟

فرد تريدويل بعناد :

— لاادرى .. فانت تقول بان الناس مجرد الات وانا اخالفك فى ذلك .

فصاح بروس :

— ياالهى ! لاتقل انك تراهم شيئا غير ذلك .

طبعا نحن آلات ، كلنا .. آلات فريدة من نوعها ورائعة .. ذلك شيء مسلم به ، ولكن آلات ليس الا انظر الى العالم حولك ، فهو كائن حي شاسع الاطراف مكون من اجزاء يمكن استبدالها، وكلها تعمل لتنتج وتستهلك ، تنتج وتستهلك حتى تبلى .. فهل ينبغي الابقاء على القطعة البالية في مكانها ؟ طبعا لا يجب ان يلقى بها جانبا حتى لا يتعثر الكائن الحي .. فالمهم هو الكائن الاشمل لا اجزاؤه الفردية الا تستطيع فهم ذلك ؟

فقال تريدويل مترددا :

ـ لا ادرى .. لم افكر في ذلك قط بهذه الطريقة ومن الصعب هضمه مرة واحدة .

فقال بروس :

ـ اعرف ذلك ياسيد تريدويل . ولكنه جزء من طريقة بليستنجتون القاضية بان يقدر كل مشترك القيمة العظمى لمساهمته من جميع الوجوه ليس فقط فيما يعود عليه هو وحده بالنفع ، بل وعلى الكائن الاجتماعي باسره . وحين يوقع التزاما لجمعيتنا فهو بذلك يقوم بانبل عمل في حياته ..

فاستفسر تريدويل :

ـ التزام اى التزام ؟

فاخرج بروس ورقة مطبوعة من درجه ووضعها امام تريدويل بعناية ليقراها . وحين قراها هذا انتصب في مكانه قائلا :

ـ تقولون عنا باتنى اتعهد بان ادفع لكم الفي دولار في مدى شهر من الآن ، وانت لم تقل لي شيئا عن هذا المبلغ من قبل .

فاجاب بروس :

ـ لم تكن هناك مناسبة لذكر موضوع المال من قبل . وقد درست اللجنة المالية حالتك المادية فوجدت انك قادر على دفع هذا المبلغ دون مشقة او عناء .

فرد تريدويل :

ـ ماذا تعنى بمشقة ؟ فالفا دولار مبلغ كبير كيفما نظرت اليه .

فهز بروس كتفيه قائلا :

ـ كل التزام يرتب حسب قدرة المشترك على الدفع وتذكر ان مايبدو غاليا بالنسبة اليك ، قد يبدو رخيصا بالنسبة لكثير ممن تعاملت معهم من المشتركين .

فسال تريدويل :

ـ وماذا سينالني من ذلك ؟

افرد بروس :

ـ داخل شهر من توقيعك الالتزام سيتم التخلص من مسالة حميك . وبعد ذلك مباشرة عليك ان تدفع المبلغ المتفق عليه بكامله . وسيوضع اسمك على لائحة مشتركينا ، وينتهي الامر عند ذلك .

ـ فقال تريدويل :

ـ لا احب فكرة وضع اسمي في اى شيء .

فرد بروس :

ـ اقدر ذلك ، ولكن دعني اذكرك بان مساهمتك لجمعيتنا الاحسانية هذه معفاة من الضريبة .

فوضع تريدويل اصابعه برفق على الورقة وسال :

ـ والان ، لنفرض جدلا فقط ، ان احد وقع التزام كهذ ولم يدفع المبلغ . اعتقد انكم تعرفون ان التزام كهذا لايمكن استخلاصه بمساعدة القانون .

فابتسم بروس وقال :

ـ واعرف ان عددا من الشركات لا تستطيع استخلاص التزامات لها على افراد وقعوها عن حسن نية ولكن جمعية علم الشيخوخة لم تصادف تلك الصعوبة ابدا . فنحن نتجنب ذلك بتذكير مشتركينا بان الشبان قد يموتون فجاة كالكبار ، اذا هم تصرفوا بطيش ..

ومد الورقة نحوه قائلا :

ـ لا، لا ، امضاؤك في اسفل الورقة يكفى .

+ × +

وحين تم العثور على حمى تريدويل غارقا قرب ميناء شرق (سكونسيت) بعد ثلاثة اسابيع دخلت وفاته في سجلات شرطة شرق (سكونسيت) على انه حادث غرق ، فقد كان الرجل العجوز يصطاد باستمرار هناك رغم أن السلطات المحلية كررت له مرارا انه لا توجد اسماك تذكر في ذلك المكان .

وقام تريدويل نفسه بترتيب جنازة فاخرة . اثناء الجنازة خطرت له (الفكرة) اولا . كانت مجرد فكرة عابرة مكدرة ، ولكنها كانت كافية لجعله يتعثر على درجة في مدخل الكنيسة . ونظرا لاختلاط الموقف فلم يكن صعبا عليه نسيانها في تلك اللحظة .

وبعد بضعة ايام حين عاد الى مكتبه المالوف عادت (الفكرة) فجاة اليه . وهذه المرة لم يكن من السهل اهمالها . فقد بدات تكبر بالتدريج فى راسه حتى ملات عليه ساعات يقظته ، واصبح نومه سلسلة من الكوابيس المفزعة .

ولم يكن هناك الاشخص واحد يستطيع توضيح المسالة له ، فذهب الى جمعية علم الشيخوخة يحترق قلقا لمعرفة جواب بروس — ولم يكن واعيا بعملية تسليم شيكه لبروس ، وادخال الوصل فى جيبه ، فقد كان يساله بلهفة :

— هناك شيء يقلقني . وسوف اخبرك به دون مقدمات . هل تذكر ما قلته لى عن عدد العجزة الذين سيكونون على قيد الحياة بعد عشرين سنة من الآن ؟

فرد بروس : طبعا .

ففتح تريدويل ياقة عنقه ليخفف الضغط على حنجرته وقال :

— الا ترى اننى ساكون واحدا منهم ؟

فاجاب بروس :

— اذا اعتنيت بنفسك بشكل معقول ، فلا سبب يمنعك من ان تكون منهم .

فقال تريدويل :

— انت لاتفهم قصدى . فساكون حينئذ فى حال دائم من القلق خشية ان ياتى احد من جمعيتكم ليضع نفس الافكار فى راس ابنتى وصهرى . شيء فظيع ان يقضى الانسان بقية حياته فى قلق مستمر .

فحرك بروس راسه ببطء نافيا وقال :

— لا يجب ان يخطر ذلك ببالك ياسيد تريدويل .

فاجاب تريدويل : لماذا لا ؟

فقال بروس :

— فكر فى ابنتك .. هل انت تفكر فيها .

فقال تريدويل : نعم .

— هل تراها كطفلة صغيرة عزيزة تصب عليك حبها مقابل حبك لها ؟ وهل تراها كفتاة ناضجة تجتاز عتبة الزواج دائما حريصة على زيارتك واشعارك بعطفها عليك ؟

فقال تريدويل : اعرف ذلك .

فقال بروس :

— وهل ترى بعين عقلك ذلك الشاب الطيب الذى هو زوجها : هل تشعر بدفء مصافحته وهو يستقبلك هل تعرف مقدار امتنانه لك بمساعداتك المالية المستمرة له .

فقال تريدويل : اعتقد .

فقال بروس :

— والآن ، هل تستطيع ان تتخيل ان ايا من هذين الشابين الحنونين يستطيع ان يفعل شيئا — ابسط شيء — لاذايتك ؟

وبمعجزة انحلت عقدة حلق تريدويل ، وذاب البرد الذى كان يغلق قلبه . وقال باقتناع .

— لا .. لا استطيع تصور ذلك .

فمال بروس بكرسيه الى الوراء وابتسم بحنان الحكماء وقال :

— هائل ! تمسك الآن بهذا الشعور ياسيد تريدويل واحفظه قريبا من قلبك فى جميع الاوقات .. فسوف يكون عزاؤك حتى النهاية .

= x =

(يدق جرس الباب — اصوات حذاء نسوى — قفل الباب يفتح :

كارول : (بترحيب) محمد ؟ اهلا .. مرحبا .. ادخل .. تفضل ..

محمد : شكرا ..

(يدخلان .. تقفل الباب)

كارول : (منادية زوجها جون تريدويل) جون . انزل لترى من هنا ؟

جون : (تريدويل من فوق) : من ؟

كارول : انه محمد .. الطالب العربى ..

جون : انا نازل حالا ..

كارول : لمحمد ادخل .. وارتح ، فى غرفة الجلوس حتى ينزل جون . كيف حالك ؟

محمد : انا بخير .. وشكرا .. (وقفة قصيرة) دعيني اولا اعزيك فى وفاة والدك العزيز .. انا لم اعرف الاوخرا .. والا كنت حضرت الجنازة ..

كارول : (متاثرة) اشكرك يامحمد .. كان موته مفاجأة للجميع .. لم يمرض ويلزم الفراش حتى نستعد للحادث الاليم

جون : (ينزل السلم الخشبى يدخل عليهم) : محمد اهلا . مرحبا بك ..

محمد : كيف حالك ياجون ؟

جون : انا بخير .. لم نرك مدة طويلة اين كنت تخبىء نفسك ؟

محمد : (معتذرا) بين دفات الكتب ومنصات المحاضرات جامعاتكم متعبة .

جون : (يضحك) حياتنا كلها تعب .

محمد : انا اسف اننى لم احضر الجنازة . كان والد كارول عزيزا على ..

كارول : وكنت انت الاخر عزيزا عليه .. كان دائما يسال عنك .. (وقفة) اجلسا .. ماذا تشربان ؟

جون : (سائلا محمد) محمد ، ماذا تشرب ؟

محمد : قهوة ، اذا لم يكن فيها تعب ..

كارول : لاتعب الاطلاق .. جون ؟

جون : نفس الشىء ..

كارول : (تذهب)

محمد : لم اعلم بالحادث الا بعد الجنازة وكان بودى لو حضرتها .. فانا اعتبر نفسى طرفا من العائلة .

جون : ونحن نعتبرك كذلك .. وخصوصا الراحل العزيز ..

محمد : ولكن كيف وقع الحادث ؟

جون : لا احد يدرى .. وحسب تقرير الشرطة ، فهو حادث غرق عادى فقد كان ، كما تعرف ، مولعا بالصيد على رصيف الميناء .. وقد سبق لرجال الشرطة ان حذروه من الصيد فى ذلك المكان الخالى وحده ، وخصوصا وانه لا توجد به اية اسماك ..

كارول : تدخل بصينية عليها ادوات القهوة تضعها فوق المائدة وتقعد ، اثناء حديث جون .. تحرك القهوة وتناول فنجانا لمحمد ..

كارول : محمد .. تفضل ..

محمد : يتناول الفنجان (شكرا) .

جون : شكرا يا عزيزتى ..

كارول : كان المرحوم يحب الحديث الى محمد ، وكان يقعدان للعب الضامة وتبادل الاحاديث الساعات الطويلة فى عطلة اخر الاسبوع ..

جون : فعلا .. كان حديثهما يثير فضولى (لمحمد) عماذا كنتما تتحدثان ؟

محمد : كان المرحوم شديد الشغف بمعرفة عادات وتقاليد الامم الاخرى .. وكان يمطرنى بالاسئلة عن كل ما يتعلق بذلك فى بلادى ــ وخصوصا انه زارها اثناء الحرب ..

كارول : لابد ان فلسفة الشرق اثرت عليه كثيرا من خلال ما كان يسمع منك .. فقد كان دائما يكرر ان الغرب اصلح للشباب ، اما الشرق فهو جنة الشيوخ ..

جون : ياترى ماذا كان يعنى بذلك ؟

محمد : (مفكرا) اعتقد انه كان يفكر فى حديث دار بيننا عن حياتكم العائلية .. فقد ابديت انا له ملاحظة على سبيل المقارنة بين الحياة هنا فى اميريكا والحياة فى بلادى .. قلت له هذه اول دار اميريكية عرفتها تطبق احدى قيم الشرق الانسانية .. وهى احترام كبار السن ، واسكانهم فى نفس الدار مع العائلة .. الامر الذى لا اعتقد انهيتوفر فى كثير من البيوت هنا .. وحكيت له عن كيف نعامل شيوخنا وجداتنا ، وكيف انهم يكونون طرفا مهما من كيان العائلة .. وكيف اننا نستشيرهم فى شؤون الحياة لطول تجربتهم وما الى ذلك فكان يعجبه كلامى ..

كارول : فعلا .. وقد كان يتأسف حين لا تحضر فى بعض الاحاد ..

محمد : اعتقد انها ذبابة الغرب عضتنى . فبدات اعطى للوقت اهمية لايستحقها (يضحكون)

كارول : (متذكرة) كانت هناك كلمة سربينكما هى الزربية كنتما تضحكان لها كلما ذكرت .. فماذا تعنى ؟ حاولت مرارا معرفتها منه فلم افلح ..

محمد : (ضاحكا) حكاية الزربية ؟ هى حكاية من فلكلور الاطلس المغربى ، تعطى كمثل للبر بالوالدين

وملخصها أن رجلا تضايق من وجود والده العجـــوز معه فى نفس الدار ، فطلب من ابنه ان يلفه في زربية

قديمة ويرمي به في النهر .. وذهب الابن فجاء بمقص وجلس يشطر الزربية شطرين ، فساله ابوه ماذا تفعل ؟ فقـال : سأسـف جـدى فـى نصفهـا واحتفظ بالنصف الاخر ليلفك فيه ابنى . فصعق الرجل العاق ، وابقى على حياة جده ، واخذ يعامله

كما يتمنى ان يعامله ابناؤه هو حين يكبر ويهرم .

كارول : (تضحك) والله انها لقصة عجيبة .. ينبغى ان تدرج فى كتب اطفالنا فى المدارس .. اليس كذلك ، ياجون ؟

جون : اخشى انه فات الاوان فقد طغت المـادية على الناس لدرجة انستهم الانسانية والاخلاق ..

الأستاذ مولاي عبد الواحد العلوي
عميد كلية الشريعة
في ذمة الله

انتقل الى عفو الله صبيحة يوم الاثنين 18 جمادي الثانيـــة 1397 موافق 6 يونيو 1977 الاستاذ العلامة الشريف مولاي عبد الواحد العلوي عميد كلية الشريعة بجامعة القرويين ورئيس المجلس العلمـــي بفـــاس العاصمة العلمية للمملكـــة .

وكان الفقيد قد اعتذر عن حضور المؤتمر السادس لرابطة علمـــاء المغرب المنعقد اخيرا بأكادير بسبب المرض الذي كان يشكو منه وترك غيابه بين زملائه السادة العلماء فراغا شعر به الجميع .

والفقيد من الرعيل الاول الذي ضحى أعظم التضحية في سبيل اثبات القيم الاسلامية الخالدة والحرص على الاصالة المغربية المؤمنة والوقوف في وجه أعداء الاسلام والعروبة والعرش العلوي المجيد طيلة عهد الحماية البغيض . ونال الفقيد شرف الجهاد وراء أبي المغاربة وبطـل التحريـــر والاستقلال جلالة المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه ، وكانت له مواقف مشرفة على الصعيدين الوطني الاسلامي والفكـــري والثقافـــي بحيث يعتبر ـ رحمه الله ـ من طليعة رواد السلفية والوطنية والثقافـــة الاسلامية العربية في المغرب الحديث .

وقد عرفت كلية الشريعة على يده تقدما ملحوظا وارتفاعا في نسبة الخريجين كل سنة . كما كان سباقا دائما الى تأييد الخطوات الايجابيـــة لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله سواء في أيام التعبئة الجماعية من أجل تحرير الصحراء أو زمن المسيرة الخضراء المظفرة وشتى المواقف الوطنية التي كان يسارع فيها الى التعبير عن حنكته وحصافته كعالـــم عامل ومثقف اسلامي مجاهد ورائد من رواد التعليم والفكر في بلادنا .

رحم الله الاستاذ مولاي عبد الواحد العلوي رحمة واسعة جزاء مـــا قدم للاسلام والوطن والعرش من خدمات جليلة وأياد بيضاء .

ديوان المجلة

- على هدي القلب
- مراكش
- من مشاعر الالهام



على هدى القلب

للشاعر الدكتور:
عمر بهاء الدين الأميري

يسأل عقلي .. أين ؟ أنى ؟ متى ؟
والقلب ماض ، واثق ، دون أين ؟

« وجهت وجهي » مطمئن الرضا
وسرت .. والدنيا بلاء ورين

تيه كفور البحر مستبهم
لا صدقها صدق ، ولا المين مين

رحى ، ونفسي بين أشداقها
والعمر في اللأواء والحيرتين

الجد الدرب ، دروب الهوى
تلفه ، والرأي ما بين بين

عزم هو المارد في قمقم
وأمل يستقطب الفرقدين

والغيب سر ، والمنى مطمح
والحدس وصل ، بعد صبر وبين

وبلمع البرق ينير المدى
النائي ، فيزهو مشرقاً كاللجين

ويفتح الله لقلبي وقد
أغمضت عيني خاشعاً — ألف عين

عمر بهاء الدين الأميري



للشاعر الأستاذ عبد الواحد اخريف

بلد النخيل تحيتي وسلامي — وعواطفي ومحبتي وغرامي
ملك الفؤاد جمالك الاخاذ يا — مراكش الحمراء ، ربع مرامي
انى نظرت رايت فيك مباهجا — احيت شعورى وصبوتي وهيامى
ان قلت يا عينى حذار من البها — الفيت قلبى لا يطيع زمامي
ابناؤك الاحرار نبع مودة — يتحدثون كساحر بسام
تجرى النكات جداولا مخمورة — تشفي من البرحاء والالام
تحت الخمائل فى جنانك انتشى — واعب من كاس الجمال مدامي
اغصانك الولهى تعانق اختها — تحكى حبيبا بات فى الاحلام
ومسارح الغزلان تطفح تحتها — بالحب والاشعار والانغام
ومسابح مثل اللجين مياهها — راق العشي بها على الايام
ان تعلها ريح الصبا بهبوبها — يبدو التموج لامعا كحسام
وزلالها يروى الظما ويزيد من — نفس العليل لواعج الاسقام
و « منارها الكتبى » يشمخ للعلا — يروى تجاوبنا مع الاسلام
قد زرتها والبدر يرسل نوره — والليل ساج والورى لمنام
وكواكب الزرقاء ترنو نحوها — وكانها انوار قصر سام
فوقفت مشدوها امام جمالها — يا للجمال محير الافهام

**

يا وردة بين النخيل وبسمة — بين الشفاه وبلدة الاعلام
آثارك الجلى تحدث جيلنا — عن همة الاجداد والاقوام
والاطلس الجبار يمكث رابضا — تعيا الاسود ولن يزال يحامي
ويزيد فتنتك الكبيرة فتنة — بثلوجه البيضاء وهى هوامى
يا عاشق الحسن البديع مصورا — لك فى « مراكش » لوحة الرسام
لك فى الفؤاد عواطف مشبوبة — سأصوغها فى عودة الالهام

تطوان : عبد الواحد أخريف

مشاعر الإلهام

للشاعر الدكتور زاهر عواض الألمعي

● فى اطار المهرجان الثقافى السعودى بالمملكة المغربية من 4/27 الى 1397/5/15 أحيى الدكتور الشاعر زاهر عواض الألمعى امسية شعرية بقاعة المحاضرات بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

ويسر « دعوة الحق » ان تنشر للشاعر السعودى الكبير احدى قصائده الرائعة التى تجاوب معها الجمهور المغربى بعمق وحرارة ، آملين ان تستمر الصلة بين المجلة والشاعر زاهر الالمعى فى مناسبات متعددة ان شاء الله .

طلعت فلاح اليمن فى طلعاتها ... وبدا جمال الورد فى وجناتها
وسرى النسيم على مشارف ثغرها ... تتضوع الارجاء من نسماتها
ورنت بالحاظ الجفون نواعسا ... تتراقص الاطياف فى ومضاتها
وتبسمت عن ثغر حسن باسم ... فشقائق الاكمام من بسماتها
ونظرت ـ لا للسوء ـ سحر جمالها ... ومصارع العشاق فى لمحاتها
ومفاتن السحر الحلال تشدنى ... شوقا وما مست يدى حرماتها
فأطل ثم الحارسان واشرعا ... نحوى الاسنة من كمين كماتها
فادرت فى ذهنى عجائب أمرها ... وخشيت هول السطو من طعناتها
فاذا هما فوق الترائب والحشا ... من قلبها الخفاق بعض سماتها
قالت رويدك فالمراقى صعبة ... لا ترتقيها الطير فى غدواتها
فاجبتها او ما علمت بأننى ... كالصقر يغزو الطير فى وكناتها
قالت معاذ الله ان تغشى الحمى ... وتبيح مجلى الدر من صدفاتها
انى عشقت من الفضائل خيرها ... ومن الرجال عشقت خير تقاتها

ولقد أثــارت بــين جنـبى الجــوى وسرى الهوى والشوق فى جنبـاتها

لولا ارتيــاعى من مغبــات الهــوى لتطفت زهـر الــورد من جناتهــا

ولسرت أمتـاح الريــاض واجتـلى منهــا رضــاب الشهد من زهراتهــا

لكـن أطـبــاقى وان جنحـت بهــا سنـن الخيال تــثــوب عن زلاتهــا

وتتوق أشواقى الى سنن الهــدى فمشاعـر الالهـام فى رحبـاتهـا

يا من حملت أبـر قلـب فى الــورى وأعــز نفــس جانبــت شهـواتهـا

❊ ❊ ❊

تهفـو اليك قصـائدى ومشاعرى فى ظـل هديـك واصلـت رحلاتهـ

فلقـد نشـأت على سلامـة فطـرة وصفـاء نفس فى عظيـم صفاتهـا

ولقد أويت الى « حــراء » وكنـت فى غسق الدجى نـورا يضىء جهاتهـا

فأتاك جبريل الامين ولـم تكـن من قبـل تتلـو أو تـرى تبساتهـا

فدنـا وقال اقـرأ ولست بقارىء او كاتـب تـدرى بـمـرويـاتهـا

بـل كنـت أميـا ولـكـن الـذى رفـع السمـاء حبـاك خير هباتهـا

فقرأت باسم الله فانتـرع الدجـى واضـاء نـور الوحى من مشكاتهـا

آى من الذكر الحكيـم ومنطـق احنـت لــه البلغـاء من هاماتهـا

واذا تسامى الفيـلســوف وأوغلـت نـظـراتـه فى الآى من آيـاتهـا

رجعت اليــه الموغــلات ضوالعـا دون ارتـقـاء حـول تدسيـاتهـا

ســور يشـع النـور من آيـاتهـا ويفيض بحـر العلـم من صفحاتهـا

❊ ❊ ❊

لكن قريش جانبـت سبـل الهـدى وتـجـانـفـت للاثـم فى ندواتهـا

لم تلتفـت للنـور فـوق ربـاعهـا أو تلتـمـس خيـرات مؤتمـراتهـا

بل كـذبت داعى الهـدى وتنكـرت واستوحشـت والأنـس فى جنباتهـا

ولربـمـا يعشـى الصبـاح نواظـرا وتمـوت مرضى وهى بين أساتهـا

❊ ❊ ❊

من لى بناشئــة على درب الهـدى وثـابــة العـزمات فى دعـواتهـا

تحمى حمى الغـراء ممـا يفتـرى وتصــد بالاقـدام كـيـد غزاتهـا

ان الحيـاة مـع الجهـاد شريفـة لا خيـر فى الاخـلاد فى شهواتـهـا

والله انــزل فى الكتـاب بصـائرا تهـدى الـورى وتنيـر درب هداتها

فامضوا على نهج الوئام وجـددوا من دعـوة الاصـلاح مجد دعاتهـا

اخضاع مناهج التعليم فى العالم الاسلامي

للمفاهيم القرآنية

◆ نشرنا فى العدد الماضي مقتطفات من التوصيات التي أصدرها المؤتمر العالمي الاول للتعليم آلاسلامي المنعقد فى المملكة العربية السعودية خلال الفترة الاخيرة . ونواصل فى هذا العدد نشر بقية التوصيات التي تعتبر من وجهة النظر الاسلامية الخالصة وثيقة عمل يجدر بالمسلمين فى كل مكان الالتزام بها لانشاء أجيال اسلامية تنتمي لهذا الدين عقيدة وسلوكا وعملا وليس انتماء بشريا وجغرافيا فارغا من أي مضمون .

ان قضية « التعليم » فى العالم الاسلامي من أشد القضايا الحاحا فى الوقت الراهن ، وان مستقبل هذا الدين مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى توفيقنا فى أخضاع مناهج التعليم فى شتى مراحله للمفاهيم القرآنية الخالصة .

العناية باللغة العربية

● ان المؤتمر ، وقد لاحظ ضعف مستوى الطلاب فى اللغة العربية فى البلاد العربية والاسلامية على السواء .

يوصي بالعناية البالغة بجميع فروع اللغة العربية واعتبارها مادة اجبارية فى كل اقطار العالم الاسلامي .

كما يوصي المؤتمر باتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم فى كل المراحل وخاصة فى البلاد العربية مع الاستفادة من التجارب والدراسات التي تمت بالفعل فى هذا الصدد .

النقد الادبي

● يحث المؤتمر الادباء فى العالم الاسلامي على تكوين مدرسة اسلامية أصيلة فى النقد الادبي وعلم الجدل مبنية على أصول اسلامية لها معايير خاصة بها حتى تستطيع القيام بنقد الآداب الدخيلة على الفكر الاسلامي .

كما يوجه المؤتمر عناية المسلمين الى دراسة الفنون والصناعات الاسلامية وتنمية الذوق الفني الاسلامي .

● يوصي المؤتمر بدعم الدراسات الشرعية والعربية فى جميع مراحل التعليم فى البلاد الاسلامية باعتبارها التعليم الاساسي الذي تعتمد عليه حضارة الاسلام ويحفظ للامة شخصيتها الاسلامية المتميزة .

كما يوصي باتاحة الفرص المشجعة للمتخرجين فى هذا النوع من التعليم للعمل فى مجالات الحياة المختلفة وفق تخصصاتهم .

أحياء التراث الاسلامي

● الاهتمام بتحقيق نوادر المخطوطات لتكون ـ بجانب ما حقق بالفعل من كتب التراث الاسلامي ـ مادة للدراسة فى الاقسام الشرعية بالجامعات الاسلامية لرفع المستوى العلمي لدارسي الشريعة الاسلامية ، وان توضع مناهج الدراسات العليا الشرعية وخططها بحيث تؤدي الى تخريج العلماء القادرين على النظر والاجتهاد فى مصادر الشريعة واستنباط الحلول الاسلامية لكل ما يواجه العالم من مشكلات .

● ان المؤتمر اذ يرفض فكرة ترقيع وتلقيح العلوم الاجتماعية بالصبغة والافكار الاسلامية .

يوصي بضرورة العمل على استنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية تتفق مناهجها والاسلام لاحلالها محل العلوم الاجتماعية الغربية . كما يوصي بتوفير المساعدات للعلماء المسلمين الملتزمين

وترشيح افضل العناصر لتأهيل اعلى ولتنمية الابحاث اللازمة وتشجيع انشاء المعاهد والجمعيات والدراسات المتخصصة والبحوث الجماعية . والبدء في طبع وتحقيق ونشر كتب التراث الاسلامي في هذه الفروع وحصر مؤلفاتها ببليوجرافيا مع الدراسات المقارنة والتاليف المبسط المختار والموسوعي معا .

ضرورة تحكيم شريعة الله

● يرى المؤتمر أن الطريقة المثلى لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها في تنشئة الاجيال على الاسس الاسلامية السليمة هي تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا في شتى مجالات الحياة . وان وسائل الاعلام بصفة خاصة من اخطر الادوات التي يمكن أن تعاون المدرسة في مهمتها اذا سارت على النهج الاسلامي والتي في امكانها كذلك أن تهدم كل أثر للتربية المدرسية اذا سارت على نهج مضاد للقيم الاسلامية .

كما يشير الى اهمية البيئة الصالحة خارج المدرسة وضرورة تنقية المحيط الاجتماعي من الشوائب الدخيلة كأساليب الغزو الفكري والامراض الاجتماعية والاهتمام بالمحافظة على البيئة الاسلامية في العمارة وتخطيط المدن وغيرها حتى تكون منطلقة من المفاهيم الاسلامية وخاصة في المدن المقدسة مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس ، وحث جامعة الملك عبد العزيز على القيام بالابحاث اللازمة في هذا المجال .

لذلك يوصي المؤتمر جميع الدول الاسلامية بضرورة تحكيم شريعة الله في بلادها ، واقامة حياتها على أساس من المبادىء والقيم الاسلامية ، وتوجيه وسائل اعلامها بصفة خاصة على النحو الذي يضمن توكيد هذه القيم والمبادىء ولا يعمل على اضعافها .

تاريخ العلوم عند المسلمين

● يرى المؤتمر ان تضم مناهج التعليم في العالم الاسلامي في كافة مراحلها تدريس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم في تطوير هذه العلوم علميا واجتماعيا ومنجزاتها العلمية في كل منها واهمية ما قدموه للفكر البشري في المجال العلمي وتوكيد الحقيقة التاريخية من أن المسلمين هم الذين قدموا للبشرية المنهج التجريبي في البحث العلمي وان النهضة العلمية الاوربية المعاصرة قد قامت على اساس منهج المسلمين في البحث وعن العلوم الاسلامية وخاصة في الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات مع التركيز بصفة خاصة على اسباب نمو العلوم في عصر النهضة الاسلامية وأسباب تخلفها فيما بعد وحث الطلاب على استعادة الروح العلمية التي كانت لاجدادهم وقت الازدهار .

صياغة اسلامية للعلوم التجريبية

● يوصي المؤتمر باعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة اسلامية تربطها بالعقيدة وتعمق الوجدان الديني عند الدارسين ، وتشعرهم بعظمة الخالق وقدرته المعجزة بما يحقق قوله تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، ويزيل تلك الفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية عند البعض من ناحية والعلوم من ناحية أخرى . تلك الفرقة التي سرت الينا من اتخاذ المناهج الاسلامية في تدريس تلك المواد بمعزل عن الدين . كما ينبه المؤتمر الى ضرورة تنقية مناهج تلك العلوم وكتبها المقررة مما يندس في ثناياها من افكار واتجاهات تصادم العقيدة الاسلامية او تخالف التصور الاسلامي الصحيح ، وضرورة الفصل بين الحقائق العلمية النهائية — وليس فيها ما يخالف العقيدة — وبين الفروض والنظريات العلمية التي لم تثبت نهائيا والتي قد **تحتوي على مقررات مخالفة لمقررات العقيدة الاسلامية**

كما يوصي المؤتمر من جانب آخر بعدم الربط بين الاشارات الكونية في القرآن وبين الفروض والنظريات العلمية الحديثة — الا ما ثبت منها نهائيا على انه حقيقة علمية — مما لا يخدم القرآن في الحقيقة ، ويثير بلبلة فكرية وعقيدية حين يثبت خطأ بعض هذه الفروض والنظريات .

وتحمل الجامعات ومراكز البحث العلمي امانة تدوين العلوم على أساس النظرية الاسلامية . في موسوعات يستقي منها مؤلفو الكتب المدرسية على اختلاف انواعها ودرجاتها كما يوصي بتدريس قدر من العلوم الشرعية والانسانية لطلاب العلوم البحتة والتطبيقية .

المدرس المسلم

● يؤكد المؤتمر على ضرورة العمل على اعداد المدرس المسلم الذي ينطلق في تصوره وتفكيره من المنطلق الاسلامي ، ويكون سلوكه الفردي والاجتماعي سلوكا اسلاميا ممثلا لقيم الاسلام ومبادئه ليكون قدوة علمية لطلابه ، نظرا لان القدوة الصالحة هي افضل وسائل التربية ، كما ان القدوة السيئة من اقوى الوسائل لتدمير القيم الاسلامية او تعويق نموها . ولذلك يجب أن يتم اختيار المدرسين على اساس من عقيدتهم وسلوكهم وان لا يقتصر على المؤهلات العلمية فقط .

● يؤكد المؤتمر على ضرورة العناية التامة بأن تتوافر في الكليات التي تخرج المعلمين جميع الوسائل والادوات التي تلزم لاعداد المدرس الصالح ويوصي بتوجيه العناصر الصالحة من الطلاب للالتحاق بهذه الكليات وتقديم الحوافز الكفيلة لتشجيعهم .

ويطالب بأن ينال المعلم حظه الكامل من الرعاية، وأن تكون للمعلمين ميزات مادية وادبية تساعدهم على الاستمرار في هذا العمل وتأدية الرسالة فيه .

● وبالنسبة لتعليم البنات فان المؤتمر يرى ان البلاد التي اقامت نمطا مختلطة للتعليم ، وعلمت المرأة على مناهج موضوعة في الاصل لتناسب طبيعة الرجل واحتياجاته متجاهلة طبيعة المرأة ووظيفتها الانسانية والاجتماعية قد بدات نتائج تلك النظم تظهر في مجتمعاتها من فساد خلقي وتفسخ في الاسرة ، ونقص في رعاية النشء ، وتشرد الاجيال الناشئة وجنوحها الى الاجرام والشذوذ ، مما يأباه الاسلام وتنفر منه الفطرة السوية .

لذلك يوصي المؤتمر بوضع نظام خاص مبني على اسس علمية مدروسة لتعليم البنات يقوم على استقلال الدراسة في كل مراحل التعليم ، ويراعى فيه ما يناسب طبيعة المرأة وما يحتاج اليه المجتمع من خدمات نسوية ، ويحقق ما يهدف اليه الاسلام من المحافظة على الفطرة السوية لكل من الرجل والمرأة ، والمحافظة على الاسرة والاخلاق الفاضلة ، ويعمل على مراعاة التخصصات الوظيفية الفطرية ، في ذات الوقت الذي يسعى فيه الى نشر التعليم بين النساء على أوسع نطاق ، لان طلب العلم فريضة على المسلمين كافة رجالا ونساء .

● ضرورة تطبيق الاسلام تطبيقا واقعيا داخل المدرسة بانشاء مساجد في كل مدرسة او مؤسسة تعليمية واداء صلاة الجماعة في وقتها وتشجيع السلوك الاسلامي بين التلاميذ من صدق وامانة ومروءة وايثار ونظام ونظافة ...... الخ ومقاومة كل سلوك غير اسلامي يبدر من الاساتذة أو التلاميذ على السواء .

● تشجيع قيام مؤسسات الشباب بالانشطة المناسبة لهذه المرحلة والمتوافقة مع اهداف مجتمعنا الاسلامي وظروفه الراهنة مع تنقية برامجها من الشوائب الدخيلة على الاسلام وقيمه .

● يرى المؤتمر ضرورة قيام الدول الاسلامية التي تتوفر لديها الامكانيات المادية او الخبرة البشرية بتقديم تجربة رائدة في مجال التعليم الاسلامي تكون نموذجا تستعين به بقية الدول الاسلامية عند وضع مقررات هذا المؤتمر موضع التنفيذ .

● يرى المؤتمر ان الطريقة المثلى لدعم المؤسسات التربوية ومعاونتها في تنشئة الاجيال على الاسس الاسلامية السليمة هي تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا في شتى مجالات الحياة . وأن وسائل الاعلام بصفة خاصة من اخطر الادوات التي يمكن ان تعاون المدرسة في مهمتها اذا سارت على النهج الاسلامي والتي في امكانها كذلك ان تدمر كل أثر

للتربية المدرسية اذا سارت على نهج مضاد للقيم الاسلامية .

لذلك يوصي المؤتمر جميع الدول الاسلامية بتحكيم شريعة الله في بلادها ، واقامة حياتها على أساس من المبادىء والقيم الاسلامية ، وتوجيه وسائل اعلامها بصفة خاصة على النحو الذي يضمن توكيد هذه القيم والمبادىء ولا يعمل على اضعافها .

● لما كان العلم في الاسلام واجبا على كل مسلم في حدود ما يرشده الى خالقه ويمكنه من اداء ما فرضه عليه من عبادة والتزام ما شرعه في معاملاته وتصرفاته ، لذلك يحث المؤتمر الدول الاسلامية على توفير أسباب التعليم بجميع مراحله وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص للمواطنين في الوطن الاسلامي .

● يحث المؤتمر وزراء التربية والتعليم وكافة المشرفين على مؤسسات التعليم بالاهتمام بتصميم المنشآت التعليمية وفق الطراز المعماري الاسلامي وبما يحقق حاجات البيئة المحلية ومتطلبات العصر .

● العمل على ايقاف زحف العقول العلمية الى خارج العالم الاسلامي وتقديم الحوافز المختلفة لاعادة الموجودين منهم بالخارج .

● يوصي المؤتمر بالاعتماد على الخبرات الاسلامية الاصيلة في توجيه الدراسات الاسلامية في الجامعات والمعاهد والمؤسسات في البلاد الاسلامية ، وعدم الاستعانة في ذلك بالاشخاص والهيئات والمؤسسات التي لا تنطلق من منطلق اسلامي ولا تعمل على أسس اسلامية صريحة .

● يطلب المؤتمر من جميع المسلمين في بلاد العالم الاسلامي عدم ارسال ابنائهم وبناتهم الى المدارس التبشيرية والاجنبية ، مهما كانت المغريات التي تقدمها تلك المدارس ومن ورائها من الهيئات والمؤسسات ، نظرا للنتائج المدمرة التي تصيب الدارسين في هذه المدارس من ناحية عقيدتهم وولائهم للاسلام والوطن الاسلامي ، واتخاذ اعداء الاسلام لهم جنودا يحاربون بهم الاسلام من داخل المجتمع الاسلامي ذاته .

كما يوصي المؤتمر بعدم السماح بانشاء مدارس تبشيرية في الوطن الاسلامي والعمل على الغاء الموجود منها .

● قصر ارسال البعثات الى الخارج على التخصصات النادرة بعد مرحلة الليسانس نظرا لما يتعرض له الشباب المبتعث الى الخارج من فتنة جارفة في عقيدته واخلاقه وتقاليده ونظرته الى حقيقة القيم في حياة الانسان . كما يوصي بضرورة رعاية المبعوثين في الخارج دينيا وخلقيا ، واختيار المبعوث على اساس دينه واخلاقه لا على اساس درجاته العلمية فحسب . مع العمل الدائب على ايجاد جميع التخصصات في داخل العالم الاسلامي حتى يتم الاستغناء عن الابتعاث الى الخارج الا في حالة الضرورة القصوى .

● يطلب المؤتمر من القائمين على وسائل الاعلام في البلاد الاسلامية عرض برامج مبسطة عن العلوم معروضة من المنطلق الاسلامي الذي يربط بين الدين والعلم ، ويستخدم العلم في تعميق الوجدان الديني .

كما يوصي بايجاد محاولات جادة لانتاج فنون اسلامية تملأ الفراغ الذي تملؤه في الوقت الحاضر المسرحيات والافلام الهابطة والصور الخليعة والتوجيهات المفسدة للاخلاق .

الاقليات الاسلامية

● يؤكد المؤتمر على اهمية دراسة احوال الاقليات الاسلامية في الدول غير الاسلامية ورسم السياسة التي تعصمهم من الذوبان وتربطهم بالاسلام والعالم الاسلامي .

ويوصي المؤتمر في هذا الصدد بدعم قدراتهم على انشاء المدارس والمعاهد في الدول المقيمين بها ، والسعي لاعتراف هذه الدول بحقهم في ذلك

والاعتراف بمؤهلاتها مع تزويدهم بالكتب والمناهج اللازمة ، والمدرسين المؤهلين ، والتوسع فى تعليم هذه الاقليات فى معاهد متخصصة بالبلاد الاسلامية وتوفير المنح لهم وتحقيقا لهذه الاهـداف يوصـي المؤتمر باتخاذ الوسائل المناسبة ، ومن ذلك انشاء صندوق لدعم تعليم الاقليات تساعدهم فيه الدول الاسلاميـة .

وينبه المؤتمر الى خطورة ما يتـم من تعليـم الصهاينة وأعوانهم أبناء المسلمين فى داخل فلسطين المحتلة او خارجها . ويستنهض هـمم المسلميـن لكفالة تعليم سديد رشيد لابناء هذا القطر العزيـز المغتصـب .

● نظرا للوضع الخاص الذي تعانيه الاقليـات الاسلامية ، والذي يحتاج الى رعاية خاصة ودعـم مستمر من البلاد الاسلامية فان المؤتمـر يوصـي بما يأتـي :

— انشاء صندوق لدعم تعليم الاقليات تشارك فيه الدول الاسلامية وذلك لتمكين تلك الاقليات من انشاء المدارس والمعاهد الاسلامية فى بلادها .

— دعم الاقليات بالمدرسين المؤهلين تأهيلا خاصا يناسب البلاد التي يبعثون اليهـا ، ليقومـوا بتدريس اللغة العربية والثقافـة الاسلاميـة وامدادهم بالكتب الدراسية .

— التوسط لدى الدول التي بها أقليات اسلامية لمنحم حق انشاء المدارس الاسلامية والاعتراف بمؤهلات خريجها .

— التوسع فى انشاء مراكز ومعاهد فى البـلاد العربية بصفة خاصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المسلمين .

— التوسع فى توفير المنح الدراسيـة لهـذه الاقليات بالمؤسسات التعليميـة فى البـلاد الاسلاميـة .

— اجراء بحوث عن وضع المسلميـن فى الدول غير الاسلامية والتعرف على أحوالهم الاجتماعية والثقافية والدينية والتعليمية تكون عونـا فى رسم سياسة تعليمية تربطهم بالاسلام والعالم الاسلامـي .

الحروف العربية فى لغات الشعوب الاسلامية

● يؤكد المؤتمر على ضـرورة الحفـاظ على الحروف العربية لكتابة لغات الشعوب الاسلامية حتى لا يباعد بين هذه الشعوب وبين القرآن الكريم . كما يوصي المؤتمر الجامعات ومراكز البحوث الاسلامية باصدار مجلات ورسائل باللغات الاجنبية تقدم فيها أهم ما ينشر باللغة العربية عن الاسلام .

منظمة عالمية للتربية والثقافـة بمكـة

● انشاء منظمة عالمية للتربية والثقافة والعلوم يكون مقرها مكة المكرمة وذلك للتنسيق بين الجامعات والمؤسسات التعليمية والعلمية الاسلامية والاشراف على السياسة التعليمية الاسلامية .

● يوصي المؤتمر جامعة الملك عبد العزيـز بانشاء مركز عالمي للتعليم يسمى المركز العالمي للتعليم الاسلامي بمكة المكرمة يضم كفايات من مختلف بلاد العالم الاسلامي من المشتغلين بأمور التربية والتعليم والفكر والثقافة ليقوم بتنفيذ توصيات هذا المؤتمر ويدخل ضمن ذلـك :

اولا — رسم السياسة التعليمية على غـرار الخطوة الرائدة التي قامت بها المملكة والتي تقوم على أساس التصور الاسلامي وتستمد أصولها من مصادره، وتقديم مناهج تفصيلية فى مختلف مواد الدراسة ، وتاليف الكتب الدراسية الصالحـة للمستويـات الدراسية المختلفة من رياض الاطفال الى المرحلـة الجامعية . وينشأ لهذا الفرض مكتبة مركزية للبحث يلحق بها مركز للوثائق .

ثانيا — يشتمل على شعبة للترجمة تقوم على ترجمة معاني القرآن ترجمة سليمة ميسرة خالية من الاخطاء التي تشتمل عليها معظم الترجمات الموجودة حاليا ، كما تقوم بترجمة الكتب العربية التي تتناول

حقائق الاسلام ومفاهيمه الى اللغات التي يتكلم بهــا المسلمون من غير العرب وترجمة الكتب الاسلامية النافعة المكتوبة بغير العربية الى اللسان العربي .

ثالثا — رسم سياسة للتعاون بين العاملين فى حقل التعليم الاسلامــي وتنسيــق جهــود الدول والمؤسسات العلمية الاسلامية فى مجالات التربيــة والتعليم ، وتيسير الحصول على الوثائق اللازمــة وتبادلهــا .

ويتبع هذا المركز جهاز لترجمة أمهات كتــب العلوم فى اللغات الاجنبية الى اللغة العربية ، وترجمة مايجد كل حين من العلم فى كل الاقطار الى اللغــة العربيــة .

الاتحاد العالمي للمــدارس الاسلاميــة

يرى المؤتمر أن تأسيس الاتحــاد العالمــي للمدارس العربية الاسلامية بادرة طيبــة تستحــق التشجيع ، وان المؤتمر ليشكر حكومة المملكة العربية السعودية على تأيدها للاتحاد ودعمها له .

● التوصيات التي اقرتها الحلقــات الثــلاث ستصدر عن المؤتمر بعد تنقيحها من قبــل لجنــة الصياغة ، وتعتبر جزءا من مقرراته ، على ان تكــون منسجمة مع أهداف المؤتمر .

● نظرا للقيمة العلمية العظيمة للبحوث التــي قدمت لهذا المؤتمر والمناقشات الجادة التي دارت فيه بين المتخصصين من علماء المسلمين فى مجال التربية والتعليم فى العالم يوصي المؤتمر بأن تقــوم لجنة المتابعة فورا بطبع الاعمال الكاملة للمؤتمــر ، لتكون مادة نافعة للــدول والمؤسســات العلميــة الاسلامية فى بناء نظام تعليمي يقــوم على اســاس الاسلام ويستمد أصوله من مصادره .

والى ان يتم قيام مركز التعليــم الاسلامــي الموصي به فان المؤتمر يوصي بأن تتحول اللجنــة التنظيمية للمؤتمر الى لجنة متابعة تكــون مهمتهــا متابعة تنفيذ القرارات .

المغرب فى المؤتمر الثامن لوزراء خارجية الــدول الاسلاميــة

كان للكلمة القيمة التى القاها وفد المغرب فى المؤتمر الثامن لــوزراء خارجيــة الدول الاسلامية المنعقد مؤخرا بطرابلس الغرب صــدى واسع فى أوساط المؤتمرين لما تضمنته من تحليل علمي سليم لفلسفة التضامن الاسلامى باعتباره اختيارا ملحــا لا مجال للتراجع عنه فى عصرنا الراهن .

وقد ذكر وفد المغرب بالدور القيــادى الذي لعبــه المغرب وعلى راسه جلالــة الملــك الحسن الثانى لبلــورة سياسة التضامن الاسلامى بانعقاد مؤتمر القمة الاسلامى الاول بالرباط سنة 1969 .

وقد اعاد المؤتمر بالاجماع انتخاب الدكتــور احمد كريم جاي من السنيغال أمينــا عاما للمؤتمر الاسلامي لمدة سنة اخرى .

المغـــــرب :

● اسفر المؤتمر السادس لرابطة علماء المغرب المنعقد باكادير عن توصيات هامة تتناول قضايا الفكر والتعليم والحياة الاجتماعية فى المغرب بالاضافة الى بعض مشاكل العالم العربي والاسلامي .

وقد تميز المؤتمر بالنداء الاسلامي الحار الذي وجهه علماء المغرب الى اشقائهم فى الجزائر لينهضوا بمسؤوليتهم الدينية فى ردع الظالمين ومنع التآمـر على المسلمين خدمة لاغراض الصهيونية والاستعمار العالمــي .



● اصدر الاستاذ عبد الله الجـراري الجـزء الثانـي من سلسلـة « شخصيات مغربيـة » عن الحافـظ الداعيـة محمد المدني ابن الحسني فى 176 صفحـة ، من الحجم المتوسـط .

وكان الجزء الاول الصادر فى السنة الماضية خاصا بالمحدث الكبير ابى شعيب الدكالي رحمه الله . وبهذا الجهد العلمي الدؤوب يكون الاستاذ عبد الله الجراري قد وفى لرائدين من رواد السلفية المغربية اللذين ندين لهما بالفضل فى حركتنا العلمية والفكرية .

● قام كل من الدكاترة عباس الجراري ومحمد ابن شريفة وعبد الله العروي بجولـة ثقافيـة الى الجمهورية الموريطانية الاسلامية والقوا مجموعة من المحاضرات باللغتين العربية والفرنسية فى موضوعات تتعلق بالتراث المغربي الادبي والحضارة العربيـة الاسلامية . وتدخل هذه الجولة فى نطـاق التبادل الثقافي بين البلدين الشقيقين .

ومما يذكر ان الدكتور عباس الجراري قـام مؤخرا بزيارة للمملكة العربية السعوديـة بدعوة من وزارة التعليم العالي القى خلالها عـدة محاضـرات بالجامعات السعوديـة .

● اقيم مهرجان كبير بفاس لاحياء الذكـرى الثالثة لوفاة المفكر المغربي والداعيـة الاسلامـي الكبير الاستاذ علال الفاسي . وبالمناسبـة أصدرت اللجنة المكلفة بنشر تراث المرحوم كتاب « الحرية » الذي يظهر عبقرية المرحوم علال الفاسـي وفهمـه العميق لمضمون الحرية فى الفكر الاسلامي .

● شارك الاستاذ الاخضر غزال فى مؤتمـر استخدام اللغة العربية فى الحاسبات الالكترونيـة الذي انعقد مؤخرا بالقاهرة .

وقد ناقش المؤتمر بحثا للدكتور علي حلمـي موسى عن كلمات جديدة يمكن ادخالها الـى اللغـة العربية والى معاجم اللغة .. كبديـل للتعبيـرات

والكلمات العلمية الاجنبية المستخدمة حاليا . تمكن الباحث من الوصول الى هذه الكلمات الجديدة عن طريق استخدام الحاسب الالكتروني فى حصر الكلمات الموجودة بمعاجم اللغة وابتكار هذه الكلمات مع المحافظة على قواعد اللغة العربية .

كما القى الدكتور عبد الرحيم صبري بحثا عن تجربة الهيئة العامة للكتاب فى استخدام اللغة العربية فى الحاسب الالكتروني . وقد قدم الاستاذ الاخضر غزال باسم المغرب مشروعه عن الحروف الجديدة للغة العربية الذي يسهل استخدام اللغة العربية كلغة للتعامل مع الحاسب الالكتروني .. كما القى المهندس صلاح عامر باتحاد الاذاعات العربية بحثا فى هذا المجال .

● صدر اخيرا فى باريس كتاب جديد بعنوان « الاصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية » للدكتور عبد الله العروي .

ويقدم الكتاب تحليلا للوضع الاجتماعي والسياسي فى المغرب قبل الاستعمار والنتائج المختلفة لحركات الاصلاح التي لجات اليها البلاد للتخلص من الحماية الاجنبية .

الكتاب باللغة الفرنسية ، نال به المؤلف درجة الدكتوراه من السربون .

● الدكتور محمد حجي اصدر الطبعة العربية من كتابه « الحياة الفكرية فى عهد السعديين » . وهو اطروحته بالفرنسية التي نالها بها درجة الدكتوراه من فرنسا .

تونس :

● اصدر الكاتب التونسي ابو القاسم محمد كرو طبعة جديدة من كتابه « العرب وابن خلدون » عن الدار العربية للكتاب بتونس فى 143 صفحة يتناول فيه المؤلف ثلاثة كتب صدرت فى نفس الموضوع هي : « مؤلفات ابن خلدون » للدكتور عبد الرحمان البدوي ، « لقاء ابن خلدون لتيمورلنك » للمستشرق والترفيشل ، « منطق ابن خلدون » للدكتور علي الوردي .

ليبيا :

● يعقد اتحاد الادباء العرب مؤتمره الحادي عشر بطرابلس ابتداء من 24 سبتمبر القادم ولمدة اسبوع .

ويناقش المؤتمر مشاكل الادب العربي المعاصر الذي تتفرع من خلاله موضوعات هامة مثل اللغة العربية فى الادب المعاصر ، والادب المعاصر وعلاقته بالتراث ، ومشكلة النشر والتوزيع .

ويسبق انعقاد هذا المؤتمر اجتماع المكتب الدائم للاتحاد فى هذا الشهر بطرابلس ايضا لتحضير الترتيبات النهائية للمؤتمر .

● صدر عن الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان بليبيا مجموعة قصصية لمحمد علي الشويهدي بعنوان « اقوال شاهد عيان » تضم 12 قصة قصيرة .

مصر :

● أعلنت الآنسة « سوزان ماكس » ـ اميركية الجنسية ـ اسلامها امام فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر . وقد أسلمت الآنسة المذكورة بعد دراسة عميقة للدين الاسلامي وفهم لمبادئه السامية واحكامه الصادقة .. واختارت ان يكون اسمها « سوزان محمد » . وقد أهداها الدكتور مصحفا شريفا ومجموعة من الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية .

● صدر عن دار المعارف بمصر كتاب جديد للدكتور « احمد فؤاد الاهواني » فى سلسلة دراسات فى التربية بعنوان « التربية فى الاسلام » وفى هذا الكتاب يثبت المؤلف أن التربية كانت ميسرة وقائمة منذ الف عام لها خططها ومناهجها وأساليبها ، وكانت اداة صالحة لتربية وتعليم المسلمين واطفالهم .

● احتفلت اذاعة القرآن الكريم من القاهرة بمرور ثلاثة عشر عاما على انشائها . وكانت هذه الاذاعة قد بدات ارسالها باذاعة القرآن المرتل فقط، ثم تطورت تطورا ملموسا ، فأصبحت تقدم القرآن المرتل والقرآن المجود والاذان وبرامج التفسير والسيرة والفتوى ومحو الامية والاحتفالات الاسلامية

في المساجد وغيرها .. ويأمل المسلمون في مصر ان يتدعم ارسال هذه الاذاعة ، فتعتمد الحكومة مبالغ مناسبة لتستطيع اداء رسالتها ، وتقوي ارسالها حتى يصل الى جميع بقاع الوطن المصري والاسلامي .

● عن دار « الاعتصام » صدرت طبعة جديدة من كتاب الدكتور عيسى عبده « وضع الربا في البناء الاقتصادي » وهو نظرات في بناء الاقتصاد وهيكل المجتمع وما يحدث فيه من اخذ وعطاء ، وتقليب للاموال ، وتكاثر للارزاق ، والكتاب يضم مجموعة صالحة من معالم الطريق نحو الاقتصاد الاسلامي .

● صدر كتاب جديد للدكتور عبد الجليل شلبي أمين مجمع البحوث الاسلامية بعنوان « الاسلام والمستشرقون » . والكتاب رد على مفتريات هيئة اليونسكو في موسوعتها التي صدرت عن الاديان وكان الكاتب المصري « محمد عبد الله السمان » قد أصدر منذ فترة كتابا حول نفس الموضوع .

● اعلن المجلس الاعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية نتيجة مسابقة « يوم الارض » التي نظمها تضامنا مع الشعب الفلسطيني ، وقد فاز بالمركز الاول كل من : حلمي محمد القاعود (في البحث الموجز) ، وأحمد مخيمر (في الشعر) وحامد بكري (في التصوير) واسماعيل فراج (في الزجل) ، وقد حجبت الجائزة في المركز الاول بالنسبة للمسرح والقصة القصيرة . الجائزة الاولى قيمتها (250 جنيها) وقد اشترك في المسابقة عدد كبير من كبار الكتاب والشعراء والمصورين .

● اصدر « عبد التواب يوسف » كتابا جديدا للاطفال بعنوان « حياة محمد في عشرين قصة » وهو يوضح حياة الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان الطير والحيوان على نمط كليلة ودمنة . عبد التواب يوسف ، حصل من قبل على جائزة الدولة التشجيعية في ادب الاطفال .

● تشهد وزارة الاوقاف المصرية حركة تغيير واسعة النطاق حيث تقرر اعادة تنظيم الهيكل الوظيفي بالوزارة وتطوير اسلوب العمل في مختلف ادارات الوزارة والمديريات الاقليمية ، مع التوسع في برامج تدريب الموظفين العاملين بالوزارة وفق الخطة الموضوعة ..

كما تقرر مرونة الحركة للاجهزة والغاء المركزية واعطاء اللجان الاقليمية بالعمالات صلاحية واسعة في تخطيط واعداد برامج الدعوة حسب ما تراه مناسبا لكل بيئة ومجتمع محلي .

● تواصل « دار الشعب » في القاهرة نشر اجزاء دائرة المعارف الاسلامية تباعا . وقد صدر منها مؤخرا العدد 109 .

كما اصدرت الدار الجزء السادس من موسوعة « مع اعلام الفكر الاسلامي » للمهندس محمود عبد الوهاب . كما صدر الجزء 29 من « صحيح البخاري المفسر » والجزء 18 من « تيسير تفسير ابن كثير » .

ومن الكتب الجديدة التي أصدرتها الدار كتاب « التفسير الديني للتاريخ » لمحمود الشرقاوي .



● اثار كتاب الاستاذ أنور الجندي عن الدكتور طه حسين الذي صدر في السنة الماضية بعنوان « طه حسين في ميزان الاسلام » ردود فعل مختلفة في الصحافة العربية الادبية .

فقد تصدى أكثر من ناقد لكتاب أنور الجندي . وكان ابرز ما نشر في الموضوع مقال للاستاذ رجاء النقاش المشرف على تحرير مجلة « الهلال » القاهرية ناقش فيه المؤلف ورد على ما جاء في كتابه ردا مطولا استغرق 30 صفحة من صفحات « الهلال » .

ومما تجدر الاشارة اليه أن عددا من كبار الكتاب والمفكرين في البلاد العربية شهدوا للمرحوم الدكتور طه حسين بالتراجع الكامل عن أفكاره في الشعر الجاهلي التي كانت سببا مباشرا لشهرته ، ومن هؤلاء اعضاء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

● « قضايا في الاجتماع الاسلامي » كتاب جديد للدكتور محمد ابراهيم الفيومي صدر عن مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

● « التشريع بين الفكرين الاسلامي والدستوري » بحث اكاديمي موسع صدر مؤخرا للاستاذ هانيء أحمد الدرديري .

● اعد الدكتور حسين فهمي الشافعي مرجعا جديدا باسم « قاموس الالفاظ القرآنية » وهو دليل ابجدي لالفاظ القرآن الكريم ، مع شرح للكلمات الصعبة ، بالإضافة الى احصائية أبرزت تكرار اللفظ الواحد في السور المختلفة .

والدليل يختلف عن الادلة السابقة في انه يورد اللفظ كما ورد في القرآن الكريم بصورة سهلة واضحة، اذ يعتمد على قواعد الاملاء البسيطة للالفاظ ، مما يسهل استخدامه لاى قاريء يجيد القراءة والكتابة دون حاجة لان يكون القاريء متعمقا في قواعد اللغة واصولها .

● اعتمد الشيخ محمد متولي الشعراوي وزير الاوقاف وشؤون الازهر 2300 الف جنيه مصري للادارة العامة لشؤون القرآن الكريم ، وذلك لانشطة حفظ القرآن الكريم والمقاريء المصرية في المساجد وبعثات قراء القرآن الكريم في شهر رمضان المقبل .

السعودية :

● اجتمع بالرياض المجلس التنفيذي لوكالة الانباء الاسلامية وناقش نشاط الوكالة خلال المرحلة الماضية وقرار وزراء خارجية الدول الاسلامية في المؤتمر السابع الذي عقد في اسطنبول فيما يتعلق بانشاء وكالة الانباء الاسلامية ودورها في خدمة العالم الاسلامي وقضاياه .

وتناول المجتمعون بالنقاش التقرير الفني عن مشروع الوكالة للاتصالات السلكية واللاسلكية والتعديلات التي يقترح ادخالها على نظامها المالي والاداري .

● بلغ مجموع ما صرفته رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة من الكتب ثمانية ملايين وثلاثمائة وثلاثين الف كتاب منذ انشائها في 14 ذي الحجة 1362 هـ .

وتقوم الرابطة بتشجيع 25 صحيفة اسلامية في مختلف بلاد العالم وتعمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب المسلمة كما تساهم في انشاء المدارس والمعاهد الاسلامية في كافة انحاء العالم الاسلامي .

الكويت :

● صدرت في الكويت الترجمة العربية لثلاث مسرحيات من أعمال (جون ملنجتون سنج) وهي (ظل الوادي) و (الراكبون الى البحر) و (زفاف السمكرى) . الترجمة بقلم الدكتور احمد السيد النادي والمسرحيات الثلاث صدرت بتقديم (يونا ايلس فيرمور) ضمن سلسلة المسرح العالمي .

الهند :

● انعقد في مقاطعة (تاميللى نادو) بجنوب الهند المؤتمر الاسلامي العالمي للدراسات والفنون الاسلامية القديمة بحضور ثلاثة الاف عالم اسلامي .

واعتبر المؤتمر جزءا من الاحتفالات بالعيد الذهبي لمعهد الدراسات الاسلامية في المقاطعة الهندية .

المانيا الغربية :

● ظهرت في مكتبات المانيا الغربية مجموعة من الترجمات العربية لكتب من الادب الالماني . منها: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري) لادم متز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، (اقنعة الحب) للدكتور وليم شتيكل وترجمة احمد سامح الخلدي .

انجلترا :

● اصدر الكاتب الانجليزي بيتر ما نسفيل كتابا تاريخيا بعنوان (العرب) تناول فيه تطور الاحداث التي طرأت على الامة العربية منذ ظهور الاسلام وحتى وقتنا الحاضر .

وقد اعتمد الكاتب على تحليل الاحداث في الرقعة العربية كما تحدث عن بعض الاقطار العربية كل على حدة .

● صدرت الترجمة الانجليزية لكتاب (شكسبير للمرة الالف) الذي كتبه الناقد الايطالي (انريكو دي كريكو) عن دار كونستابل في حوالي (237) صفحة .

ويقترب الكتاب من حياة شكسبير الخاصة اكثر من تعرضه لاعماله وانتاجه المسرحي .

ويحاول الكتاب ان ينفي كل الشائعات التي صدرت من قبل البعض للتشكيك في حقيقة نسب اعمال شكسبير اليه .

الولايات المتحدة :

● يصدر اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا عددا من الكتب الاسلامية باللغة الانجليزية ويوزعها على نطاق واسع في الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات الاسلامية ودور النشر الكبرى .

كما يصدر الاتحاد مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية الجادة وباخبار العالم الاسلامي ويقبل عليها الطلبة والدارسون في الغرب .

البرازيل :

● احتفلت مجلة « المراحل » الادبية التي تصدر في البرازيل باللغة العربية بمرور اثنين وعشرين عاما على انشائها .

والمجلة تديرها الاديبة العربية « مريانا دعبول فاخوري » وتسد فراغا هائلا في المهجر الامريكي وتعتبر صلة الوصل بين العرب وثقافتهم الوطنية

ان احدث العلوم وهو الطب النفسي ينوه بمبادىء الدين ، وان الاطباء النفسانيين ، ادركون ان الايمان بالله واستحضاره في القلب كفيلان بأن يقهر القلق والمخاوف والتوتر العصبي وبأن يشفيا اكثر من نصف الامراض التي نشكوها ، وقد تأكد لي ان المرء المؤمن حقا ، لا يعاني قط مرضا نفسيا .